٣٣٢ ، ٣٠١

مجلة الأزهر

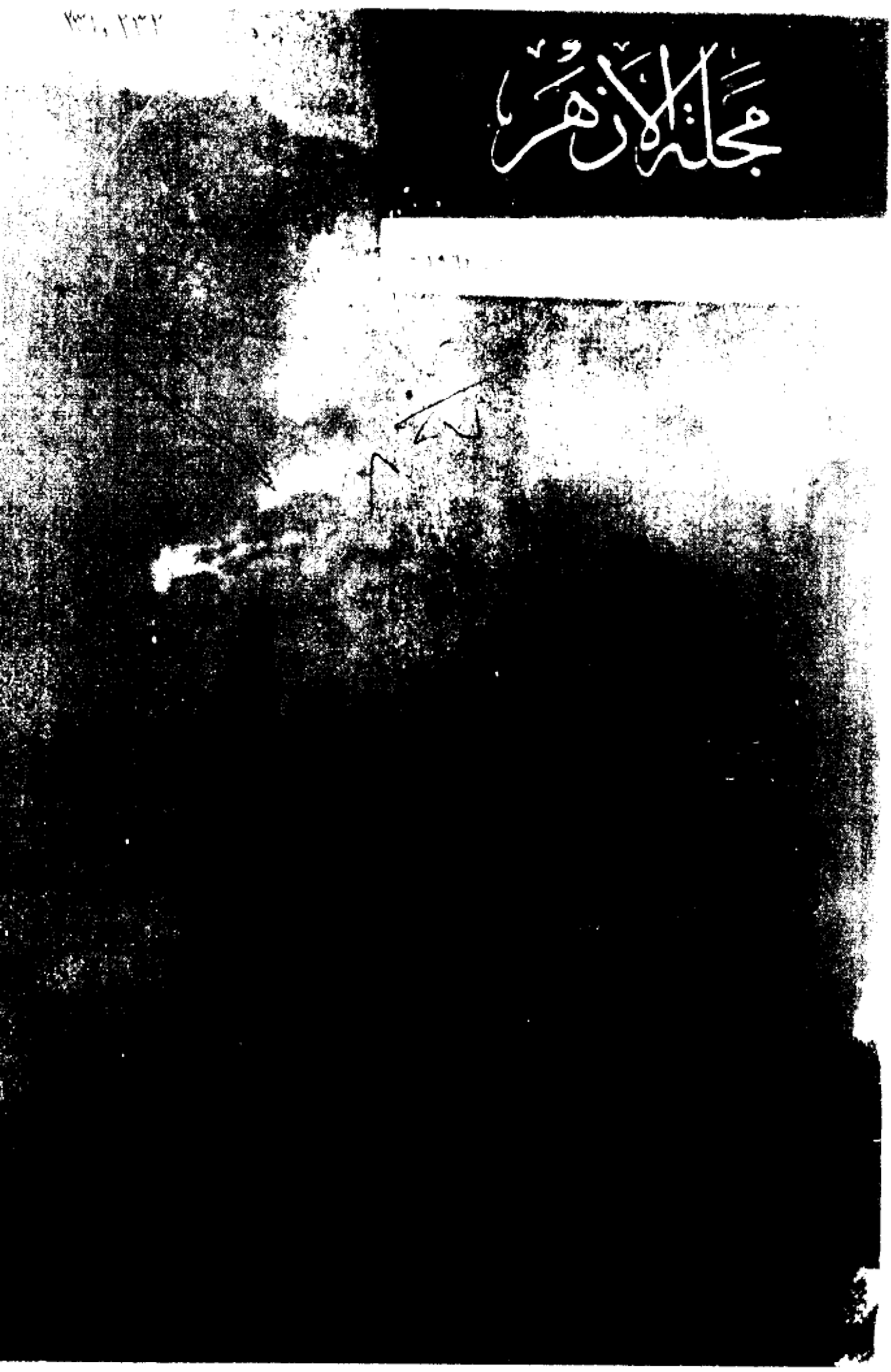

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

يشترك في القيد
عبد الرحمن محمود العقاد
بدل الاشتراك
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزءان السابع والثامن - السنة الخامسة والثلاثون - رمضان وشوال سنة ١٣٨٣ هـ - فبراير ومارس ١٩٦٤ م

مدى التجديد المقبول في الأدب

بقلم : أحمد حسن الزيات

التجدد والتجديد طبيعة في الحياة والحي . سنة الله في كونه . . لا تجد شيئاً يثبت على وضع ، ولا إنساناً يدوم على حال . إنما هو التطور الحتمي الذي يخرج بالخليقة من النقص إلى الكمال ومن الحسن إلى الأحسن ، تبعاً لعوامل تؤثر في الفكر الاجتماعي من دين وعلم وحضارة وخلق .

واللغة علومها من أدب وقواعد وأساليب محكومة بهذا القانون الطبيعي لا تستطيع أن تجمد والإنسان يتطور ، ولا أن تقف والعالم يسير . ولقد ظلت أداة التعبير وما يصدر عنها من نثر ونظم جارية على سنن الجاهليين والإسلاميين في الألفاظ والتراكيب والأساليب لا يختلف فيها شاعر عن شاعر ولا خطيب عن خطيب ، اللهم إلا ما اقتضاه التحضر من إيثار اللفظ الرقيق وتوخي الأسلوب العذب . . لذلك كان النقاد الأقدمون إنما يختلفون في شكل الشعر لا في مضمونه . فهم يتكلمون في اللفظ الجزل والركيك ، والأسلوب الرصين والمهلهل ، والمعنى المسروق والمطروق ، والتشبيه المنتزع من وجوه البادية أو من صور الحضر ، والمطلع الجيد

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والردىء ، والتخلص الحسن والقبيح . ويجرون فى كل أولئك على أذواق تختلف باختلاف الطبقات والبيئات والصناعات والأجناس . وعذرهم فى ذلك واضح . فإن الشعراء لأسباب فطرية واجتماعية لم يقدموا إليهم إلا نوعا واحداً من الشعر هو ما يتصل بالوجدان والعاطفة . فكان النقاد أمام وحدة الشعر العربى ونقصه مصروفين إلى أن يحصروا جهودهم فى لفظه . والشكل الخارجى حكمه حكم اللباس والأثاث والآنية : يتغير بحكم الزمان والمكان والحالة ، ليس لأحد فى ذلك حيلة .

لم يحدث التجديد الحق فى الأدب إلا حين ازدهرت الحضارة العربية فى العراق والأندلس واقتضت الأحوال الاجتماعية تطور النثر والنظم فاستحدثوا فى فنون الكتابة الرسائل والمقالات والمقامات والقصص ، وفى فنون الشعر الموشح والزجل والدوبيت والمواليا . وزادوا فى العروض المستطيل والممتد ، وفى القافية المسمط والمزدوج . ثم انحسرت ظلال الأدب العربى قبل أن تعبد طرقه وتمحص قواعده ويكمل نقصه . وطمت سيول العجمة على ما بذر عبد القاهر وابن الأثير من بذور البلاغة والنقد فأعاقته عن النماء والتفرع . وأخـــذت الألسنة العيية تتحرك فى هذا التراث المضاع بالهراء والهذر ، فعفوا طرائقه وشوهوا حقائقه ، ثم ألقوه بين أيدينا جثة يتردد فيها ذماء ، وصورة لا يجول فيها رونق ولا ماء . فنظرنا فيه فإذا هو مسيخ الخلق منكر الطلعة لا إلى القديم ولا إلى الحديث . فأخذنا نجدد هذا الأدب البالى بالشرح والتلخيص والدرس دون أن ندعم أساسه الواهى ولا أن نرفع بناءه المنقض .

لقد اختلفت مذاهب الكلام وتعددت أغراض الكتابة وتنوعت فنون الشعر ، ورأى شبابنا فى الأدب الأدبى صوراً حقيقية حية لما يجول فى نفوسهم من الهوى والأمل والفكر فأقبلوا عليه وتركوا أدبنا الصناعى التقليدى يدوى على ألسنة المحافظين وأقلام الجامدين من بقايا العهد القديم .

فالحال إذن تنادى بإعادة النظر فى علوم الأدب ليصلح منها الفاسد ، ويتم الناقص ، ويفصل المجمل حتى تتسع لأغراض الحياة ومقتضيات الحضارة ومطالب العصر وحاجات الناس ، فإن الأدب أصبح اليوم شعبيا فيه لكل نمط نصيب ولكل حال صورة ولكل غاية مسلك .

فأما التجديد فى اللغة فيكون بقبول ما وضع المولدون والمحدثون من الألفاظ والتراكيب والمصطلحات ، لأن اللغة ألفاظ يعبر بها كل

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

قوم عن أغراضهم وأفكارهم ، والأغراض لا تنتهى والمعـــانى لا تنفد ، والناس لا يستطيعون أن يعيشوا خرسا وهم يرون الأغراض تتجدد والمعانى تتولد والحضارة ترميهم كل يوم بمخترع والعلوم تطالبهم كل ساعة بمصطلح . ولا علة لهذا الخرس إلا أن البدو المحصورين فى حدود الزمان والمكان لم يتنبئوا بحدوث هذه الأشياء ، ولم يضعوا لها ما يناسبها من الأسماء . بذلك ينهار السد الذى أقامه اللغويون والأدباء الأولون بين الفصحى والعامية فتكسب الفصحى من العامية السعة والمرونة والجدة ، وتكتسب العامية من الفصحى السلامة والصيانة والسمو ، فيكون لنا من تداخل اللغتين وتفاعلهما لغة تجمع بين محاسن هـذه ومحاسن تلك . أما مساوئ الفصحى أو عنجهيتها فتموت كما يموت الحوشى المهجور فى كل لغة . وأما مساوئ العامية أو حثالتها فتبقى على الألسنة التى تستذيقها من دهماء العامة ، وتكون هى العامية التى لا بد منها فى كل لغة من لغات العالم ، ولكن بالنسبة الضئيلة التى لا تطغيها على الفصحى ولا تفرضها على الناس .

وأما التجديد فى قواعد اللغـــة من نحو وصرف وبلاغة فيكون بحذف الغث من التقديرات والتعليلات التى فلسف بها النحاة النحو ، ونبذ الأوجه الإعرابية التى بقيت فى اللغة أثراً من اختلاف اللهجات فى الجاهلية فبلبلت الألسن وهوشت القواعد وجعلت كل صواب خطأ وكل خطأ صواباً . وكان من أثر هذه الفوضى فى القواعد وسوء تعليم اللغة فى المدارس أن زهد النشء فيها وانصرفوا إلى استعمال العامية فى الصحافة والإذاعة والتمثيل ؛ لأن العامية حرة تنبو على القيد ، وطبيعية تنفر من الصنعة ، فهى تقبل من كل إنسان وتستمد من كل لغة ، وتصوغ على كل قياس . وبذلك اتسعت دائرتها لكل ما استحدثته الحضارة من المفردات المـــولدة والمقتبسة فى البيت والحديقة والسوق والمصنع والحقل. والناس فى سبيل التفاهم يؤثرون السهل ، ويستعملون الشائع ، ويتناولون القريب. وتخلف اللغة عن مسايرة الزمن وملاءمة الحياة معناه الجمود ، والنهاية المحتومة لجمود اللغة اندراسها بتغلب لهجاتها العامية عليها وحلولها محلها ، إذ تكون بسبب مرونتها وتجددها أدق تصويراً لأحوال المجتمع ، وأوفى أداء لأغراض الناس .

على أن تيسير القواعد العربية لا ينبغى أن يبالغ فيه حتى يجردها من خصائص القوة والخصوبة والبراعة فتصبح أشبه بالهيكل

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

النظمى فيه الخفة والبساطة والشكل ، وليس فيه العضل والعصب والروح .

وأما التجديد فى العروض والقافية فسبيلنا إليه سبيل الشعراء العباسيين والأندلسيين فى عصرنا الأدبى الذهبى : نبتكر أوزاناً تكون أنسب للسرحية والأغنية فى سرعة الحركة وحلاوة النغمة . وتعدد البحر ونتوع القافية فى المطولات ، ونوحدهما فى المقطوعات ونعالج القصيدة باعتبارها كائناً حياً تتساعد أعضاؤه على أداء تجربة معينة . وكل أولئك مع المحافظة على سلامة الوزن وتساوى التفعيلات ولزوم القافية . فإن النظم بدونها يفقد الشعر موسيقيته وهى كل شىء فيه ، ويجعله ضرباً عجيباً من الكلام لا هو نثر ولا هو نظم .

ولا بأس باستعمال الشعر المرسل فى نظم المسرحية كما فعل الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى فى مسرحية (جميلة) ، ولا باصطناع الزجل والمواليا وما يشبههما من الأوزان التى استحدثت بالعامية . فإن الأدب الشعبى يجب أن يرد إليه اعتباره حتى لا نقع فيما وقع فيه الأقدمون . فقد احتقر اللغويون لغة المولدين فلم يدونوها ، واحتقر الأدباء أدب العامة فلم يحفظوه . ولو أنهم فعلوا لوفروا للغة الفصحى وللأدب العالى مورداً ثرا مما دار على الألسنة فى جميع الطبقات والبيئات من الأمثال والحكم والمجازات والكنايات والطرف فإن العامة كانوا تسعة أعشار الأمة العربية وهى فى أوج سلطانها ، واستبحار عمرانها ، وأكثرهم أعقاب أمم مختلفة الجنسية والعقلية والعقيدة قد اتخذوا العامية لغة لهم أودعوها معانيهم ، وتصوراتهم ، وأفضوا إليها بأسرار لغاتهم ، فكانت أمثالهم تسير ، وأقاصيصهم تحكى ومصطلحاتهم تنقل ، ومواضعاتهم تذاع . فليس مما ينفع الأدب إذن الا يفتح للأدب الشعبى باباً فيه مادام الازدواج اللغوى حقيقة واقعة . والتقريب الذى يعمل له مجمع اللغة العربية بالقاهرة ابتغاء المصالحة بين الفصحى والعامية لتأخذ كل منهما محاسن الأخرى ، كفيل بأن يرفع مستوى الأدب الشعبى إلى الأفق الذى يستسيغه فيه الرجل المثقف .

تلك هى الحدود التى لا يجوز فى رأيى أن يتعداها تطوير اللغة ولا تيسير القواعد ولا تجديد الشعر ، وهى حدود تفرق بين الجمود والتمييع ، أو بين التزمت والاستهتار ، والطبيعة فى قضايا التطور هى القانون . والمنطق فى مشكلات التجديد هو الحكم .

عن مجلة قافلة الزيت .

أحمد حسن الزيات

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الشيوعية عند قدامى اليهود

بقلم : الدكتور على عبد الواحد وافى

انقسم اليهود فى العصور الأخيرة السابقة للميلاد إلى عدة فرق ، منها فرقة كانت شيوعية فى شئونها الاقتصادية وغريبة فى كثير من نظمها الأخرى ومختلفة كل الاختلاف عما عداها من فرق اليهود ، تلك هى فرقة الحسديين (من كلمة « حسديم » العبرية بمعنى المشفقين ، وقد يطلق عليهم اسم « الإسينيين » أو « الآزيين » Esseniens) .

وقد وصلت إلينا أخبار هذه الفرقة عن طريق ما كتبه عنها الفيلسوف فيلون (Philon فيلسوف يونانى من أصل يهودى ولذلك اشتهر باسم فيلون اليهودى ، ولد حوالى سنة ٢٠ قبل الميلاد) والمؤرخ اليهودى يوسف فلافيوس يوسف Flavius Joséphe من أقدم وأشهر من كتب فى تاريخ اليهود ولد سنة ٣٧ وتوفى سنة ٩٥ بعد الميلاد) ، وقد أشار كذلك إلى هذه الفرقة مشيداً ببعض نظمها العلامة الفرنسى مونتسكيو فى كتابه « روح القوانين » .

ومن أهم ما تمتاز به هذه الفرقة نظامها الشيوعى وذلك أنها حرمت الملكية الفردية وأوجبت أن تكون جميع الملكيات ملكيات جماعية ، وطبقت مبادئها هذه على أفرادها الذين اعتزلوا المجتمع الإسرائيلى وعاشوا جماعات حول شواطئ البحر الميت فقد ألغوا فيما بينهم نظام الملكية الفردية ، وجعلوا جميع ما تحت أيديهم من أرض ومنقول وملابس وأطعمة ومتاع ملكا جماعيا شائعاً يحفظ ما يزيد منه عن الحاجة العاجلة فى مخازن عامة ، ويشرف على شئون إدارته وتوزيعه حراس يختارون من بينهم بطريق الانتخاب العام المباشر ، ويتفرغون كل التفرغ لأعمال وظيفتهم هذه . وحتى المنازل نفسها اعتبروها ملكا جماعيا ، وتركوها فى كل قرية من قراهم مفتحة الأبواب لكل « رفيق » من جماعتهم سواء أكان من أهل القرية أم قادما من خارجها وهذا على عكس الفرق اليهودية الأخرى التى كانت تجيز الملكية الفردية وتحيطها بسياج من الحماية ، وقد خصص لأحكام الملكية الفردية وطرق انتقالها وحقوقها وواجباتها حيز كبير فى أسفارهم .

وبجانب هذا النظام الشيوعى أخذت هذه الفرقة أتباعها بأوضاع اقتصادية غريبة ، فمن ذلك أنها حرمت عليهم التجارة لما تبعثه فى النفوس من جشع وحرص على جمع المال

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وجنوح إلى ابتزاز الناس ، كما حرمت صناعة الأسلحة والذخيرة وسائر آلات الحرب لتنافر الغاية التى تقصد من هذه الصناعات مع أهم مبادئهم وهو أن يعيش الناس فى سلام دائم ، وحرمت استخدام الذهب والفضة والتعامل بهما ، لما يبعثانه فى النفوس من زهو وما يحملان عليه من جشع وشح ، ولذلك اقتصر نشاطهم الاقتصادى على الزراعة والصيد وما يحتاجان إليه ويتصل بهما من صناعات ، وهى فى ذلك تختلف اختلافا جوهريا عن سائر فرق اليهود ، فقد كان من أهم مظاهر النشاط الاقتصادى لهذه الفرق شئون التجارة وصناعة السلاح والتعامل بالذهب والفضة ، بل لقد كانت هذه الفرق تنظر إلى هذين المعدنين نظرة تقرب من التقديس ؛ بل إنهم حينما عبدوا العجل لم يعبدوا فى الحقيقة إلا الذهب المصنوع منه .

ومن أهم ما تمتاز به هذه الفرقة فيما يتعلق بالشرائع والنظم الإنسانية العامة أنها تنكر التفرقة العنصرية وتقرر مبدأ المساواة بين الناس فى القيمة الإنسانية المشتركة ، وتحرص على التعايش السلمى بين جميع الشعوب .

فمن مبادئها العمل على إلغاء الحروب وأن يعيش العالم فى سلام دائم ، ومجانبة الإضرار بالخلق وعدم إيذاء أى إنسان حتى لو كان ذلك لتربيته وتعويده الامتثال والطاعة ، ومراعاة الصدق والأمانة والوفاء بالعهد حيال جميع الناس سواء فى ذلك الإسرائيليون منهم وغير الإسرائيليين ، وتحريم طرائق الكسب غير المشروع وابتزاز الناس واستغلال عوزهم وحاجتهم سواء فى التعامل مع اليهودى أو غير اليهودى ، وهذا على عكس الفرق اليهودية الأخرى التى كانت نظمها تقوم على التفرقة العنصرية ، فتجعل اليهود الشعب المختار الذى اصطفاه الله وفضله على العالمين ، وتنظر إلى ما عداه من الشعوب نظرتها إلى شعوب وضيعة فى سلم الإنسانية ، وتضع قوانينها ونظمها على هذا الأساس فتفرق بين هؤلاء وأولئك أمام القانون وفى كثير من شئون الاجتماع ، وتبيح لأفرادها فى علاقاتهم ومعاملاتهم مع غير اليهود ما لا تبيحه فى علاقاتهم ومعاملاتهم بعضهم مع بعض فمن ذلك مثلا أنه ما كان يجوز للإسرائيلى أن يتعامل بالربا مع أخيه الإسرائيلى ولا أن يأخذ منه رهنا بدينه وإذا أخذ منه فى الصباح رهنا من المتاع الذى لا يستغنى عنه فى حياته اليومية كالرحا وما إليها وجب أن يرده إليه فى المساء ، أما غير الإسرائيلى فيباح للإسرائيلى أن يمتصه ويتعامل معه بأشنع أنواع الربا الفاحش (١) .

ومن أهم ما تمتاز به هذه الفرقة فيما يتعلق بمبادىء الحرية أنها تحرم نظام الرق وتحظر أن يملك الإنسان أخاه الإنسان وأن يحرم

(١) انظر فقرة ٣ إصحاح ١٥ ، وفقرة ٢٠ إصحاح ٢٣ من سفر التثنية .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أى فرد من حريته . وهذا على عكس الفرق اليهودية الأخرى التى كانت نظمها تقوم على الرق ، وقد خصص للرق وأحكامه حيز كبير فى أسفارهم . بل إن أسفارهم لتقرر أن شعب كنعان قد كتب عليه فى الأزل أن يكون رقيقاً لبنى إسرائيل ، وأنه لا ينبغى أن يكون لأفراد هذا الشعب وظيفة ما فى الحياة غير هذه الوظيفة ، فإن تمردوا عليها أو طمحوا إلى الحرية وجب على بنى إسرائيل أن يردوهم إليها بحد السيف . وتقرر أسفارهم أن هذا الوضع قد فرض عليهم لدعوة دعاها نوح على كنعان ونسله وذلك أن نوحا - حسب ما يزعمه سفر التكوين - قد شرب مرة نبيذ العنب الذى غرس كرمه بيده بعد الطوفان بدون أن يعلم خاصته المسكرة فسقط وهيه ، وانكشفت سوأته ، فرآه ابنه حام على هذه الصورة فسخر منه ، وحمل الخبر إلى أخويه سام ويافث ، ولكن هذين كانا أكثر أدباً منه ، فحملا رداءا وسارا به القهقرى نحو أبيهما حتى لا يقع نظرهما على عورته ، وسترا به ما انكشف من جسمه ، فلما أفاق نوح وبلغه ما كان من موقف أولاده حياله ، لعن كنعان بن حام ودعا على نسله أن يكونوا عبيدا لعبيد أولاد سام ويافث [1] .

ومن أهم ما تمتاز به هذه الفرقة عن بقية فرق اليهود فيما يتعلق بالعبادات أنها تحرم الأضحية والقرابين ، مع أن الأضحية والقرابين كانت تعتبر عند الفرق الأخرى من أهم العبادات ، وقد خصص لها قسم كبير من سفر من أسفار توراتهم المزعومة ، وهو سفر اللاويين ، بل إن هذا السفر ليذكر فى أكثر من موضع أن « الضحايا المحرمة » (وهى التى تحرق أجزاؤها فى المذبح تحت إشراف أحد اللاويين) يرتاح لها الإله ويفيد منها وينتعش من رائحة الدخان المتصاعد من حرقها وأنه يغضب كل الغضب إذا لم تقدم إليه أو إذا قدمت إليه فى صورة غير الصورة المقررة فى شريعتهم ، وأنه قد يصب حينئذ سوط عذابه على المقصرين فيرسل عليهم ناراً تحرقهم كما فعل مع ولدين من أولاد هارون ، قدما الأضحية على غير وجهها المقرر وعلى مزاعمهم هذه يرد القرآن الكريم إذ يقول : « لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم » .

ومن أهم ما تمتاز به هذه الفرقة فيما يتعلق بنظام الأسرة أنها تحرم الزواج وتوجب التبتل والبعد عن النساء . وهذا على عكس الفرق اليهودية الأخرى التى كانت ترى أن الزواج واجب دينى على كل قادر عليه ، وأن من يحجم عن الزواج مع القدرة عليه لا يقل جرمه عن جرم القاتل ، لأن كليهما ، على حد تعبيرهم : « يطفئ نور الله ، وينتقص ظله من أرضه ، ويبعد رحمته عن إسرائيل » .

---

(١) فقرات ٢٠ - ٢٩ إصحاح ٩ من سفر التكوين .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من ذكريات النصر في تاريخ الإسلام

للأستاذ محمد محمد المدني

من ذكريات النصر في تاريخ الإسلام يومان خالدان أراد الله أن يكونا في شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن.

هذان اليومان هما: يوم بدر، ويوم الفتح.

فأما يوم بدر فهو ذلك اليوم الذي أسس فيه مجد الإسلام، وانبنت عزته، وأصبح المسلمون دولة تخشى وترجى، ويستمع إلى كلمتها، ولا يقضى أمر في جزيرة العرب دون أن يحسب حسابها.

وأما يوم الفتح فهو ذلك اليوم الذي استقر فيه الأمر للمسلمين، وبطل الشرك وحطمت الأوثان، وطهر البيت الحرام، وارتفعت راية الإسلام، ودان العتاة والطغاة بالطاعة والخضوع، وأصبح الحكم لله وحده ودخل الناس في دين الله أفواجا.

* * *

لم يكن المسلمون قبل غزوة بدر إلا فريقا من الناس نبا بهم وطنهم، ونبذهم قومهم

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

ومع أن مبادئ الحسديين فيما يتعلق بالتبتل لم يتح لها الانتشار بين اليهود ولم تطبق إلا بين الحسديين أنفسهم وفي مواطن منعزلة عن الناس، فإنها تركت آثاراً ذات بال في الديانة المسيحية التي جاءت بعد ذلك. فقد ساد في المسيحية الاعتقاد بأن العزوبة أمثل من الزواج وأن الحصور أدنى إلى الله ممن يقرب النساء.

ومن أهم ما تمتاز به فرقة الحسديين فيما يتعلق بالحياة الفردية أنها تحارب الترف والحياة الناعمة وتدعو إلى الزهد والتقشف والبعد عن جميع متع الجسم وتنظر إلى هذه المتع على أنها شرور.

ومن هذا يظهر أن هذه الفرقة تخالف في معظم ما تذهب إليه تعاليم توراتهم المزعومة وتلمودهم، على الرغم من أنها تعتبر نفسها ويعتبرها المؤرخون من فرق اليهود. والحقيقة أنه لا يربطها ببقية فرق اليهود إلا رابطة الجنس، لأن أفرادها كانوا من بني إسرائيل.

ولم تعمر هذه الفرقة طويلا، فقد انقرضت في أواخر القرن الأول الميلادي، أي إنها لم تعش إلا نحو قرنين أو ثلاثة قرون.

وقد ذهب بعض المؤرخين إلى أن يوحنا المعمدان (هو سيدنا يحيى بن زكريا عليهما السلام) كان من هذه الفرقة. ولكن لم يقدم أصحاب هذا الرأي بين يديه دليلا يعتد به.؟

دكتور علي حسن الخربوطلي

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من ذكريات النصر في تاريخ الإسلام

للأستاذ محمد محمد المدني

من ذكريات النصر في تاريخ الإسلام يومان خالدان أراد الله أن يكونا في شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن.

هذان اليومان هما: يوم بدر، ويوم الفتح.

فأما يوم بدر فهو ذلك اليوم الذي أسس فيه مجد الإسلام، وانبنت عزته، وأصبح المسلمون دولة تخشى وترجى، ويستمع إلى كلمتها، ولا يقضى أمر في جزيرة العرب دون أن يحسب حسابها.

وأما يوم الفتح فهو ذلك اليوم الذي استقر فيه الأمر للمسلمين، وبطل الشرك وحطمت الأوثان، وطهر البيت الحرام، وارتفعت راية الإسلام، ودان العتاة والطغاة بالطاعة والخضوع، وأصبح الحكم لله وحده ودخل الناس في دين الله أفواجا.

* * *

لم يكن المسلمون قبل غزوة بدر إلا فريقا من الناس نبا بهم وطنهم، ونبذهم قومهم

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

ومع أن مبادئ الحسديين فيما يتعلق بالتبتل لم يتح لها الانتشار بين اليهود ولم تطبق إلا بين الحسديين أنفسهم وفي مواطن منعزلة عن الناس، فإنها تركت آثاراً ذات بال في الديانة المسيحية التي جاءت بعد ذلك. فقد ساد في المسيحية الاعتقاد بأن العزوبة أمثل من الزواج وأن الحصور أدنى إلى الله ممن يقرب النساء.

ومن أهم ما تمتاز به فرقة الحسديين فيما يتعلق بالحياة الفردية أنها تحارب الترف والحياة الناعمة وتدعو إلى الزهد والتقشف والبعد عن جميع متع الجسم وتنظر إلى هذه المتع على أنها شرور.

ومن هذا يظهر أن هذه الفرقة تخالف في معظم ما تذهب إليه تعاليم توراتهم المزعومة وتلمودهم، على الرغم من أنها تعتبر نفسها ويعتبرها المؤرخون من فرق اليهود. والحقيقة أنه لا يربطها ببقية فرق اليهود إلا رابطة الجنس، لأن أفرادها كانوا من بني إسرائيل.

ولم تعمر هذه الفرقة طويلا، فقد انقرضت في أواخر القرن الأول الميلادي، أي إنها لم تعش إلا نحو قرنين أو ثلاثة قرون.

وقد ذهب بعض المؤرخين إلى أن يوحنا المعمدان (هو سيدنا يحيى بن زكريا عليهما السلام) كان من هذه الفرقة. ولكن لم يقدم أصحاب هذا الرأي بين يديه دليلا يعتد به.؟

دكتور علي حسن الخربوطلي

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وأهلوهم ، فخرجوا تاركين الوطن والمال والمساكن والمنافع والمتاع ، وانضموا إلى فريق آخر آمن بمثل ما آمنوا به ، يقاسمونهم بلدهم ومنازلهم وأموالهم ويربطون مصيرهم بمصيرهم.

وكان أمر أولئك وهؤلاء فى الجزيرة العربية عجبا : فلم يألف الناس أن يروا أشخاصا من البداة الرعاة تملكهم فكرة تتغلغل إلى هذا الحد فى أعماق نفوسهم ، وتجعلهم يستهينون فى سبيلها بالصعاب ، ويستعذبون العذاب ، ويضحون بالنفس والنفيس ، فكان أمرهم حديث الناس ، عليه تجتمع الأسمار ، وبه تفيض الأخبار ، بين شامت بهم ، ومستهزئ بدعوتهم ، ومتربص لفشلهم

وكان أهل مكة يومئذ فى عنفوان طغيانهم واستكبارهم ، ومالهم ولا يطغون ولا يستكبرون وقد طوحو بهؤلاء المعارضين لهم إلى حيث الفقر والبؤس والقلة والذلة ، وصفا لهم جو مكة ، أصبحوا سادة البيت الحرام ، وظنوا لن الدهر لن يزال لهم مواليا ، ويحفظ لهم حواليا ، وأنه لا سلطان يغلب سلطانهم ، ولا كلمة تعلو كلمتهم ، وهكذا تعبث القوة دائما بعقول الطغاة والمستكبرين فلا يفكرون إلا فى يومهم ، وتعمى أبصارهم فلا يرون إلا ما أمامهم ، بينما يعمل القدر عمله فى تقويضهم وزلزلتهم ، لأنهم أهل الباطل ، وأعوان الظلم ، وليس للباطل ولا للظلم فى سنة من بقاء .

ولم يكن المسلمون يظنون أنهم سيلتقون بالمشركين فى ذلك اليوم ، وإنما كانوا يتطلعون إلى قافلة تجارية لقريش يريدون أن يصادروها فى مقابل ما فعلته قريش من مصادرة أموالهم ومساكنهم ، ولكن الله - جلت حكمته - أراد أمرا هو أسمى من ذلك وأعلى ، ولو أنهم فوجئوا به دون هذا التدبير الإلهى لكان عليهم شديدا ، ولظنوا أنهم عليه غير قادرين ، ذلك الأمر هو أن يلتقى الخصمان وجها لوجه فى أول معركة بين الحق والباطل ، وسيعلم المؤمنون أن من الممكن أن تنتصر القلة على الكثرة ، وأن الباطل لا يلبث أن تدركه رهبة الحق فيخر صريعا مجندلا ، وفى ذلك يقول القرآن الكريم : « وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم ، وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين . ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون » .

فالله تعالى قد وعدهم أن يفوزوا بإحدى الطائفتين : إما طائفة العير ، وهى القافلة التى كان على رأسها أبو سفيان ، وكانت راجعة إلى مكة من رحلة تجارية ، وإما طائفة النفير ، وهى طائفة المحاربين الذين نفروا من مكة لملاقاة النبى وأصحابه والدفاع عن تجارتهم وأموالهم ، وكان المسلمون يودون أن يفوزوا بالطائفة الأولى ، لأنها كسب سهل لا يكلفهم حربا هوانا ليسوا مستعدين لخوض غمراتها ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ولكن الله قضت حكمته بأن يتلاقى المسلمون والمشركون . ففرت طائفة العير ، ونجت الأموال والتجارة ، ولم تر قريش أن ترجع إلى مكة طائفة الحرب والنفير ، بل قالوا لا بد لنا من أن نرد بدراً ونقيم عليه ثلاثا ننحر الجزر ، ونطعم الطعام ، ونسقى الخمر ، وتعزف علينا القيان ، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبداً بعدها .

واستعد المسلمون بعد أن فاتتهم طائفة العير ، فنزلوا بدراً وتمكنوا فيها تمكنا حربياً ملائماً ، وبنوا للنبي صلى الله عليه وسلم عريشاً ، حتى إذا لم يكن النصر فى هذه الموقعة للمسلمين لحق النبي بأصحابه الباقين فى يثرب ، ولم يقع فى يد المشركين .

ثم شجر القتال بين المؤمنين والمشركين لأول مرة ، ووقفت القلة المؤمنة ، أمام الكثرة المغترة بقوتها وعددها ، وشهد التاريخ كيف استطاعت هذه القلة أن تتحدى قوة تفوقها مرات ، وأن تغلبها ، وأن تحطم هاماتها ، وتعلق رءوسها بما تسلحت به من سلاح الإيمان ، وقوة الحق ، وعزيمة اليقين ، وهكذا تمت كلمة ربك الحسنى على المؤمنين بما صبروا ، وأحق الله الحق ، وأبطل الباطل بتدبير من الله ليس لأحد يد فيه ! .

وعاد المسلمون إلى المدينة ، وقد أمر أمرهم ونفيت الأضغان إلى قيمتهم وخطرهم ودعوتهم ، وأصبح الذين كانوا بالأمس يستهزئون بهم ، أو يتربصون لفشلهم ؛ خائفين منهم ، يحسبون حسابهم ، ويعدون العدة لهم ، وأصبح المسلمون من جانبهم لا ينظرون إلى أنفسهم كأنهم قوم مشردون مستضعفون ، ولكن على أنهم رجال دعوة وجيش فكرة ، قد بدأ بينهم وبين خصومهم أول عراك ، ولا بد أن خصومهم فكروا فى الانتقام لأنفسهم ، فهى الحرب إذن ، وهو الجهاد والجلاد ، فليأخذوا هم أيضا أهبتهم ، وليستيقظ وعيهم ، وليحسبوا لكل أمر بعد اليوم حسابه .

إن هذا التنبه والتيقظ ، وما كان من تجربة المسلمين لأسر المشركين فى ساحة القتال وتجرئهم عليهم ، وهذا الشعور الجديد الذى شعروا به فى أنفسهم ؛ لهو أساس النصر الحقيقى الذى تكونت به هذه الدولة الفتية الناشئة التى اختارها الله لإعزاز دينه ، وإعلاء كلمته .

* * *

ظلت الحرب بعد ذلك سجالا بين المؤمنين والمشركين ، حتى أذن الله للنور أن يتم ، وللبناء أن يتم ، فهيأ الله للفتح المبين ، كما هيأ من قبل للأساس المتين ، وذلك أنه كان بين المسلمين والمشركين عهد رضى به المسلمون على مضض ، وذاقوا فى شروطه كثيراً من المرارة ، حتى حسبه بعضهم عارا ومذلة وضعفاً واستكانة ولكن الله دبر به للمسلمين

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

تدبيراً محكماً ، فقد امتلأت نفوس المسلمين غيظاً على المشركين ، وحماسة الدعـــوة الإسلامية ، نتيجة للكبت والشعور بالظلم والضيق بسلطان الباطل ، والتبرم بعدوانه المتلاحق ، والحذاق بشئون الحرب ، وظروف القتال يرون ذلك كسباً معنوياً عظيماً بل يعملون عليه إذا لم تسمح به الظروف والأحوال ، فيخلقونه خلقاً ، ثقة منهم بأن نفعه عظيم ، وبأنه إذا لم تظهر في أول الأمر آثاره ، فستظهر تلك الآثار فيما بعد ، حين ينفجر المرجل بعد غليانه ، فتراه حينئذ يقذف بالحمم ، ويرمي بالموت في ثورة جامحة غاضبة لا تبقي ولا تذر !

بهذا هيأ الله المسلمين لأمر أراده ، وبهذا نفسه هيأ الكافرين لتلقي الضربة الحاسمة وهم أضعف ما يكونون احتمالا ، ذلك بأنهم زعموا لأنفسهم أنهم قد ظفروا بالمسلمين في هذا العهد ، وغلبوهم سياسة وختلا ، وأنهم بغير حاجة إلى أن يتقوا بعد اليوم بأسهم ، وبذلك أهملوا فضعفوا ، ثم أسلمهم هـذا الغرور والاستنامة لآمال السلامة والأمن إلى أن نقضوا عهد رســـول الله صلى الله عليه وسلم ، وبذلك أعانوه على أنفسهم ، ومكنوه من توجيه ضربته لهم وهكذا فتحت مكة بأيسر جهد ، بل فتحت بما يشبه أن يكون معجزة محمدية بهرت الناس ، وهذا هو أبو سفيان بن حرب ، تدركه رهبة ذلك اليوم العظيم حين وقف إلى جانب العباس ، وفي حمايته ، بمضيق الوادي عند خطم الجبل ، ينظر إلى جنود الله تمر أمام عينيه كتيبة بعد كتيبة ، حتى مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتيبته الخضراء من المهاجرين والأنصار ، لا يرى منهم إلا الحدق من الدروع والحديد - يرى ذلك فتدركه الرهبة ، وتخطفه الحقيقة السافرة ، فيقول : ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة ، والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيماً ! .

ثم لا يلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدخل الكعبة فيأمر بأصنامها أن تحطم وهو يقول : « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا » .

* * *

هؤلاء هم الطريدون المشردون عادوا قادة فاتحين ، وجندا مظفرين ، هذا هو الباطل الذي علا في الأرض حينا حتى حسبه الناس ذاهبا في السماء ، وظنوا أن لن يناله خفض ولا زوال ، ها هوذا جاثيا على منخريه في الرغام ، ضريع اليدين والفم ، يستجدي العفو ، ويلتمس الصفح الجميل .

لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده ؟ ...

محمد محمد المدني

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

نفحات القرآن

تأليف القلوب وتوحيد الصفوف
مقصد من مقاصد الزكاة

للأستاذ عبد اللطيف السبكي

إنما الصدقات للفقراء ، والمساكين ، والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين ، وفي سبيل الله ، وابن السبيل فريضة من الله ، والله عليم حكيم .

١ لم يكن تشريع الزكاة في الإسلام لمجرد المواساة لأرباب الحاجة : وإن كان ذلك من أهم مقاصدها .

وإنما فرضت الزكاة بجانب هذا لأهداف تتعلق بكيان المجتمع الإسلامي .

والناظر في آية الموضوع يرى أسباب الاستحقاق متنوعة : ما بين فقر ، ومسكنة ، وخدمة في تحصيلها ، وتوزيعها إلخ .

ولكنه يرى جميع الأسباب تهدف إلى غرض رئيسي واحد ، تلتقي عنده وجوه الاستحقاق.

فإن يكن الفقر - مثلا - سببا يبرر الأخذ منها لسد الحاجة ، وإشعار المحتاج أنه مكفول برعاية الجماعة الإسلامية واحتسابه في عدادها بجانب المياسير من قومه ، حتى لا يتخلف عن موالاة المجتمع في المجال الإنساني العام بسبب شعوره بالمذلة ، أو بسبب الحقد والتمرد على النظام ، والتطاول على الأموال بدافع الحاجة .

إن يكن ذلك : فهناك مصارف أخرى ، يكون الاستحقاق فيها لغير الحاجة الشخصية فحسب .

وأعني بها .. المؤلفة قلوبهم ... والغارمين وابن السبيل .

(أ) والمؤلفة قلوبهم : هم الذين يدخلون في الإسلام على شيء من وهن العقيدة أول أمرهم ...

(ب) والذين لم يدخلوا فيه ، ويتأثرون بدعوة الإحسان أكثر من تأثرهم بالرمح والسنان ...

(ح) والذين لهم في قومهم سلطان ، يمكنهم أن يدرءوا عنا أذاهم ، وشرور من يتابعهم .

هؤلاء جميعاً يستحقون العطاء من الزكاة : لا لفقرهم : ولكن ترغيباً لهم في التثبت على

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الدين إن كانوا ضعافا فيه ، أو فى الجنوح إلينا ، أو درء ما يدهمونه عنا ، أو بالدعاية لنا ولو إلى حين .

هؤلاء المؤلفة قلوبهم موجودون غالبا فى المواطن الإسلامية ، أو حولها .

وكانت سياسة المسلمين جارية على إعطائهم من مال الزكاة منذ صار للمسلمين جماعة ، وصارت لهم حصيلة من الزكاة تتسع للعطاء ، وذلك تشريع القرآن بصريح عبارته .

وقد بلغ عطاء النبي - صلى الله عليه وسلم - للواحد منهم مائة من الإبل ، أو بقدر ما يرجى منه فى الخير ، حسب نظرة الإمام المتولى أمور المسلمين .

٢ — غير أن هـــذا العطاء للمؤلفة كان موضع اجتهاد بين الصحابة فى عهد أبى بكر وعمر رضى الله عنهما .

رأى عمر أن المسلمين صاروا ذوى قوة عددية يعتمدون عليها فى نشر دعوتهم عند الحاجة إلى القوة الدفاعية ، وأن تأليف المؤلفة من غير المسلمين لم تعد إليه حاجة كما كان : فيكون الحكم بإعطائهم منتهيا لانتهاء علته ، ووافقه أبو بكر ، ولم ينكر عليهما أحد من الصحابة يومذاك ، ولا فى عهد عمر - رضى الله عنهم جميعاً - .

ولكن أئمة الفقه بعد هـــذا نظروا ، واعتبروا الحكم باقياً ، فإن التشريع فيه لم يتعطل بنسخه ، أو بانتهاء علته ، وإنما وقف العمل به حين الاستغناء عن المؤلفة .

فإذا رأى ولى الأمر فى وقت ما أن تأليف القلوب نافع لنا ، فله أن يعود إلى الإعطاء من حصيلة الزكاة ، كما له فى اعتبارنا أن يعطى من بيت المال ما دام فى ذلك صلاح لأمر المسلمين .

وقد عرف أن امتناع عمر كان أولا فى عهد أبى بكر ، ثم فى عهده .. وعرف أن الامتناع كان تعززاً بكرامة المسلمين ، وشموخا عن ذلة الحاجة إلى غيرهم ... وهذه غيرة عمر فيما يعهد عنه.

ولكن العطاء فى حقيقته ، وفى اعتبار العلماء وسيلة لإعزاز الدين فإن يكن التعزز بالمنع عن المؤلفة وقت صولة المسلمين ، فإنه يكون بتأليف القلوب كذلك عندما يبدو لولى الأمر هذا .

وهو كلام معقول ، ومرونة فى السياسة الشرعية ، والاجتماعية مع مقتضيات الظروف.

٣ — كذلك نظر القرآن إلى الغارمين .. وهم الذين استدانوا لأنفسهم حتى ركبهم الدين ولا يجدون وفاء .. أو الذين تحملوا عن الغير حمالة مالية للصلح بين المتخاصمين ولو كان الغارم غنياً .. فالإسلام يعطى الغارم من مال الصدقات ما يسد به دينه كله ، أو بعضه بقدر ما يستطاع .

والشرط فى استحقاق الغارم ألا يكون سفيها فى تصرفه ، وألا يكون دينه فى شهواته

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

المحرمة ، وفى هذا الاشتراط حيطة رشيدة ، حتى لا يستهين الناس فى تصرفاتهم ، معتمدين على معونة الصدقات . . فإن القصد إصلاح . لا تشجيع على الإتلاف .

وظاهر أن إعطاء الغارم مرحمة إنسانية بمن ركبه الدين ، حتى لا يستسلم للذلة بين الناس ، فضلا عن مساورة الهم للمدين فى كل آونة .

كما يعتبر إعطاء الغارم لإصلاح ذات البين تخفيفا عنه وتقديرا لمروءته ، وتشجيعا على عمل المعروف والتعاطف بين الجماعة الإسلامية وصونا للعزة القومية أن تنال منها دسائس الأعداء .

* * *

٤ — ثم عطف القرآن على ـ ابن السبيل ـ وهو المسافر المنقطع عن ماله ، ولو كان فى ذاته من أهل اليسار . . وفى معناه عند الفقهاء من كان مقيما وغاب عن ماله فى بعد ، أو فى أيدى الناس ، ولو ببلده . . فذلك موضع المواساة من مال الصدقات ، حتى لا يشعر بالإعراض عنه ، وبالقطيعة المنافية لعاطفة الإخاء وإذا تصورنا غارما ، أو ابن سبيل وأنه فى عزلة عن التراحم المنشود له أدركنا ما يشعر به من جفاف الحياة ، وقسوة القلوب ، وتهاوله من ناحية مجتمعه الذى يعيش فيه .

ثم إذا تصورناه مشمولا برعاية المجتمع له ، ومستأنسا بتوجيهات الإسلام نحوه حتى جعله صاحب حق معلوم فى أموال الموسرين ، وتصورناه حاصلا على ذلك الحق فى غير كد ، ولا امتنان من أحد أدركنا فى وضوح ما يريده الإسلام لأهله من تعزيز ، وتكافل ، وترفع عن الأنانية ، والإمساك عن القدر اليسير الذى فرضه الله لرأب تلك الثغرات فى حياة الأفراد ، وفى صفوف الأمة .

لقد عنى الإسلام بتلك الجوانب فيما عنى به من تشريع الزكاة ، وفيما أهدف إليه من تلك المقاصد حتى كرر القرآن دعوته إلى إيتاء الزكاة ، وقرنها فى كل مقام بذكر الصلاة كركن فى الدين .

وأشاد كثيرا بمن يستجيب لدعوته ، ويتقى شح نفسه ، ولا يكتنز المال بخلا به عن وجوه الإحسان ولا يعرض نفسه لأن يكوى فى جهنم بماله الذى بخل به اليوم ، حينما يحمى عليه بالوقود من ماله هذا ، ويوبخ بالتأنيب المرير بما فرض الله عليه من شئ ليس كل ماله ، ولا نصف ماله ، ولا ثلث ماله : وإنما هو العشر ، أو نصف العشر ـ مثلا ـ فيما يحصده من زرع . . أو هو ربع العشر فيما يملكه من النقود المدخرة الفاضلة عن حوائجه مدة عام .

لقد اهتم القرآن بجانب الإحسان فى تصريف الأموال ، حتى أفسح دعوته للعطف بالصدقات المندوبة على غير المسلمين من أهل الكتاب . . فإن ذلك رحمة بالإنسانية ، وتقويما لروابط المجتمع العام .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

٥ — وغايتنا من هذا الحديث — على إيجازه — أن نلتمس من تشريع الإسلام للزكاة على جهة الفرضية كل غاية نبيلة يتوخاها ، لتحقيق الخير للفرد ، وللمجتمع ، لندرك فى اطمئنان أن البناء الاجتماعى فى اعتبار الإسلام إنما يقوم على المؤاخاة ، والمواساة ، والأخذ بالفضيلة من طريق البذل عن طيب نفس .

وليس يكفى أن نقف عند الجانب الروحى فى الصلاة أو نحوها من شئون التعبد الشخصى وكأن هذا الجانب المادى من قبيل الجهاد ، أو هو فى حقيقته جهاد .

وطالما تحدث القرآن عن شأن المجاهدين بالنفس ، وبالمال . والجهاد بالمال يكون فى كل سبيل خيرة .

وأولاها ما يكون نفعه متصلا بالناس ، وبالدين جميعاً كالزكاة .

ويبدو ذلك كله فى نهاية الآية . . حيث ختمها الله تعالى — بقوله : « فريضة من الله ، والله عليم حكيم » .

فذلك تأكيد قاطع بأهمية الصدقات المفروضة ، وتأكيد لمقاصدها عامة ، وعلى النحو الواسع الذى عرجنا عليه .

فليس صوابا أن يفهم الناس فى الزكاة أنها مجرد مواساة للمحتاج .

ولو كان شأنها على هذا الضيق كما يتوهم الواهمون لكان يكفى فى الدعوة إليها بعض ما ورد فى شأنها من نصوص التشريع ، ولكن أهميتها عند الله أكبر مما يدرك قصار النظار ، فالإكثار من الحديث عنها مطابق لما يقتضيه مقامها فى حياة الناس .

٦ — وقديما تخلف عن دفع الزكاة أقوام فى بعض جهات من البلاد العربية ، وحسبوها موقوتة بزمن الرسول — صلى الله عليه وسلم — وتحكم فيهم الشح ، ولعب بعقولهم النفاق ، وتهمهموا العاملين على تحصيلها منهم فى أول عهد أبى بكر — رضى الله عنه — فجهز لهم جيوشه ، وأعمل فيهم سيوفه ، حتى أرضخهم لحكم الله ، وعرفهم أن كلمة التوحيد — الشهادتين — لا تكون سياجا لمن ينكر الزكاة أو نحوها من معالم الدين وأن هذا الإنكار ردة صريحة عن الإسلام .

ودماء المرتدين هدر ، وقتلهم واجب ، وبهذا أزهقت أرواح الكثيرين منهم ، فى غير إبقاء عليهم ، ولا رحمة بهم ، حتى رشد من رشد منهم عن بينة ، وهلك من هلك عن بينة .

واستقام فى الناس جميعاً حكم الزكاة على ما شرح الله — ورضى الله عن الصاحبين : أبى بكر ، وعمر وعن بقية أصحاب الرسول .

٧ — ويمكن أن ندرك من هذا فى سهولة ما يملكه ولى الأمر من حق مشروع فى تحصيل الزكاة ، وفى صرفها فى مصارفها أو بعض مصارفها الثمانية المبينة فى الآية ، لتحقيق

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ما يناط به من القيام على أمر المسلمين ، وتحقيق ما يراد بالزكاة من أغراض

وهذا لا يمنع من حق المعطى للزكاة أن يتولى بنفسه بذلها فيما يريد من مصارفها ... إذ القصد إيصال هذا الحق إلى أربابه ، وأن تسدد به ثغرات المسلمين على ما رسم الله فى تشريعه وحينما يرى ولى الأمر أن يهيمن على تحصيل الزكاة ، ويضعها فى مواضعها يكون حقا على الأمة أن تظاهره فى هذا ، ليستخلصها من أيدى البخلاء ، والمتهربين بها ، والجاهلين لشأنها ... فى الحق أن كثيرين من أرباب الأموال التجارية ، وأصحاب المحاصيل الزراعية ، والمدخرين للرصيد لا يشعرون بحكم الزكاة ، ولا يقدرون لأثرها قدراً فى حياة المستحقين ، ولا فى دعم النظام العام : حتى إن بعضهم يبخل بها عن ذوى القرابة منه وإن كانت حاجتهم بادية له ولعل هذا من أسباب الضائقة التى يعانيها المجتمع ، وتعانيها الأسر الفقيرة : فضلا عن جفاف المودة ، وتحجر العواطف بين ذوى الأرحام ... وما هكذا تكون المودة فى الله ، وفى القربى !!

كنا قبل اليوم فى رضوخ لسياسات دخيلة أو لسياسات تتعثر فى خطاها العملية ، ففترت فينا مشاعر المودة ، وخمد الوعى الدينى ، وتغلبت الأنانية وتباعدت القلوب وتقطعت حبال يريد الله توثيقها فينا ويحضنا على الاعتصام بها ليظل بيننا ولاء ، وتعاطف ، ونكون أقوياء البنيان .

وقد أصبحنا - والحمد لله - بفضل ثورتنا الإصلاحية فى حياة أصيلة ، تقوم على وعى جديد ، وعزم أكيد .

وهذه بوادر الأمل الصادق، وملامح الرجاء الموفق ، يلاحق بعضها بعضا فى كل وقت ، وفى كل ما نرى ، ونسمع .

ومن بين ذلك - فيما يتعلق بموضوعنا أن بادرت ثورتنا إلى إنشاء مؤسسة الزكاة فى ضاحية المرج ، وهى دار تقوم على أكثر من مائة فدان من الأرض وفيها أجنحة ، وجوانب ومصانع تبهر الناظر وتسر الخاطر ورسالتها إيواء الأحداث المهملين والعجزة المتعطلين ، وتثقيفهم بالتعليم ، وإعدادهم للحياة الكريمة ، وللإنتاج فى المجال العام .

فإذا توافرت لهذه المؤسسة أسباب النجاح من كل وجه فإنها ستمحو عارا كان لا صقا بمجتمعنا قديما ، وسترفع جمهرة منا إلى المستوى المنشود .

وإنها لوثبات رشيدة ، ومحاولات مجيدة وحفظ الله للعروبة رجلها المجاهد ، وصحبه وأيدهم بتوفيقه حتى تظل مصر وشعبها فى طليعة الأمم الناهضة ؟

عبد اللطيف السبكى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من أمجاد العلماء

قضاة المذاهب يحجبون الطغاة

للأستاذ محمد رجب البيومي

لم يكن قانصوه الغوري وقد شارف الستين من العمر يظن أنه سيصبح سلطان البلاد، تسلم له القيادة عن رهب وامتثال ، فالرجل قليل الحول ، ضعيف الأتباع ، وهناك من الأمراء الأفذاذ من يجمعون حولهم الجنود والعدد ، ليفوز أعظمهم خطراً بسلطة الديار ، فالتزاحم على أشده بين ذوي القوة من مماليك الجركس ! وماذا عسى أن يصنع شيخ كبير لا يقاس حوله بأقل المتنافسين خطراً ومهابة ، ولكن هذا الحـــول الضعيف كان عامل الترجيح في اختيار قانصوه ، لأن المتزاحمين الأشاوس قد تعادلت بهم القوى في كفة واحدة ، ولم يستطع أحدهم أن يميل ببعض الضغط إلى كفته فاتفقوا على تولية قانصوه كحل مؤقت للصراع الملتهب ، فالرجل شيخ مسن لا يظن أن الزمن سيتنفس بعمره غير مدى محدود ! وفي مكنة كل أمير أن ينتهز بقاءه المحدود فرصة مواتية ليحصن قلاعه ، ويميل بمركز الثقل إلى جانبه ، لذلك فوجيء السلطان الغوري ذات يوم مفاجأة صعبة ، حين تقدم إليه الأميران الخطيران مصرباي وقيت الرحبي وهما أبرز المتصارعين جميعاً على السلطنة يطلبان منه أن يلي العرش عن سماحة واقتناع ، وارتعد الشيخ وتخاذل إذ أنه يعرف أن هذا المنصب الخطير محاط بالمؤامرات والدسائس ، وهو بعد قليل النصير والحول فلا يعدم من يثور عليه فجأة ، فيسيل دمه هدراً دون موجب ، وقد عاش بعيداً عن هذه المؤامرات المملوكية طيلة حياته ، فلماذا يقف في مهب العاصفة بعد الستين ! وطال امتناع الرجل وتأبيه ، حتى التهبت حماسة الحاضرين ، فأقسموا على المصاحف أن يطيعوا السلطان ، وألا يفكر أحدهم في التآمر والاغتيال ، وبكى الشيخ طويلا وهو يرتدي الجبة البنفسجية والعمامة السوداء مما يسمونه شعار السلطنة ، ثم يركب فرسه الأصيل ومن فوقه المظلة السلطانية ذات الطيور الفضية يحملها في ركابه الأمير قيت الرحبي نفسه ! وسار الموكب السلطاني ، وفي نفس الشيخ خواطر وشجون !

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وقد أظهرت الأيام أن تباكي الشيخ المتمنع كان خديعة ماكرة ، يعرف بها من أين تؤكل الكتف ، فقد عمد إلى مسلك حاذق يوطد به دعائمه ، إذ أوهم كلا من مصرباى وقيت الرجبي أنه يمهد لسلطانه !

وأخذ يخلو بكليهما خلوات مغرضة حيث يملي لهما في الأماني ، ويخلق من الحيل ما يخدم سياسته ، حتى أوهم قيت الرجبي أنه بسبيل التخلص من مصرباى ، لأجل خاطره ، فمال المخدوع إلى طلائه وساعده على استئصال شأفة غريمه ، وإذ ذاك أخذ الغوري يلوذ بأتباع مصرباى ، مستعيناً بهم في الخفاء على قيت ، حتى تم له التخلص منه أيضا ! وأصبح سيد الموقف دون شريك !

ولئن كان تاريخه السياسي فيما بعد ذلك من الذيوع والاشتهار ، بحيث لا يخفى عن الدارسين فإننا سنميل بالحديث هنا إلى ملكات الرجل العلمية ، ومكانه في الأدب والشعر ، فقد تناقلت عنه في ذلك مبالغات مغرقة ، وكنا بصدد تصديقها لو لم ينشر الدكتور عبدالوهاب عزام رحمه الله طرفا من مجالسه الأدبية ، كما دونها اثنان من كبار مريديه ، فهذه المجالس وحدها تحدد مركز السلطان العلمي ، ولن نحكم عليها بثقافة عصرنا الراهن فهي بإزائه لا تساوي شيئا بالمرة ، ولكننا حين نحكم عليها بثقافة عصره المملوكي نجدها لا ترتفع أيضا إلى مستوى مشرف ، وأكبر الظن أن الدكتور عزاما قد نشرها ليعرض على الناس صورا من تفكير السلاطين في بعض العصور السالفة ، لا ليرى بها مظنة استفادة وتثقيف ! وحسبها أن تكون وثيقة تاريخية ينتفع بها في تشخيص البيئة المملوكية من ناحية ، والعقلية السلطانية من ناحية أخرى ، وإن كان الشيخ حسين بن محمد الحسيني وهو أحد من دونا هذه المجالس ، يذهب في تقدير السلطان من الجهة العلمية تقديراً لا يستبعد إغراقه من متجول يتكسب بلقاء الملوك فهو يقول عنه بعد ثناء حفيل :

« وكل هذه الأوصاف والمناقب بها قرن به من محبة العلم والعلماء ، والتفتيش عما وضعته الحكماء في كل نوع من العلوم ، لو يقول البشر في وصف هذا المظهر إنه هو سلطان العلماء المحققين ما هو كذب في حقه ، أو يقول في مدحه إنه سلطان العارفين ما هو عيب في وصفه » .

وإذا كان قول الرجل إنه سلطان العلماء المحققين مبالغة فيما نسب إليه من العلم فإن قوله سلطان العارفين بمدلولها الصوفي مبالغة مضحكة فيما ينسبه للرجل من المعرفة الربانية والولوع الإلهي ! إذ أن ما أغرق فيه مصر من المظالم ومصادرة الأموال وسفك الدماء ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والاستخفاف بأقدار الناس حتى إنه كان يفرض على الخليفة المستمسك بالله العباسى أن يركع أمامه ويقبل الأرض بين يديه ! ويدعى بعد ذلك أنه يستمد السلطنة من تأييده الروحى ! كل ذلك لا يجعلنا نقبل ما سطره رواد هذه المجالس من جامعى البدو وآكلى الموائد إلا بتهوين كثير ...

وسنعرض الآن حادثة تاريخية كان لها صداها الرنان فى عصره ، لنستدل بها على مبلغ تضلعه الفقهى تارة ومدى احترامه لنصوص الشرع تارة ثانية ثم لنسجل بها وصمة نفر من العلماء لا يخشون فى الحق لومة لائم ، بل يجهرون السلطان فى مجلسه بما يردع أهواءه فتثور ثائرته ، ويعلن نقمته ، ثم يخرجون من مجلسه وقد أخلصوا ضمائرهم لله صادقين !

لقد نمى إلى (صاحب الحجاب) وكان يقوم بمهمة مدير الأمن فى المحافظة ، أن رجلا من الناس يأتى بيت صديقه فى غيبته وأنه على صلة منكرة بزوجته ، فأخذ الحاجب للأمر أهبته وراقب المنزل حتى دام الصديق مع معشوقته ، وما زال بهما ضرباً وتبريحا حتى أقرا بالفاحشة ، وإذ ذاك حملا معاً على حمارين وطيف بهما فى ملاء من الصبية والرعاع لتعلن فضيحتهما على الناس ، جرياً على المألوف من تقاليد هذا العصر ، ثم فرضت عليها غرامة فادحة قاما بأدائها فى أسف نادم وخزى شنيع ! وكان من الميسور أن ينتهى الموقف دون أن يعقب صداه فى دائرة السلطان !

ولكن بعض الذين يحبون أن تشيع أصداء الفاحشة فى كل مجلس ! حتى فى نفس مجلس الغورى نفسه !

قد نقل الأمر إلى الرجل ، وهو - بعد - ليس غريبا عن سمعه ، فقد رأى أمثاله فى عصره المتطاول ، ولكن الناقل المغرض أردف ذلك بأنه يأمل أن يصدر السلطان أمره برجم المذنبين فيكون أول من أحيا شريعة الإسلام من المماليك ! وقد راقت الفكرة لدى الغورى فحول المسألة إلى القضاء وطلب أن يصدر قرار الرجم سريعاً لتقوم به الدولة على ملأ مشهود بحضره السلطان !

وقد طار النبأ إلى المذنب المسكين فأشار عليه بعض ناصحيه أن يعدل عن إقراره لأنه اعترف بالزنا تحت سياط الحاكم ، والرجوع عن الإقرار حتى ولو لم يكن مع الإكراه بل لدى الاختيار الكامل يمنع الحد كما أجمع عليه العلماء ، ولهم بصدد ذلك نصوص وأقيسة ووقائع لا تقبل التأويل ! ! وقد أثمرت النصيحة ثمرتها فرجع الرجل عن إقراره ، وكتب صاحبه فتوى طاف

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بها على العلماء بهذا الشأن فأجابوا جميعا بتوقيعاتهم الواضحة وأعلنوا أن الرجوع عن الإقرار يسقط حد الزنا دون نزاع! وكان من الطبيعي أن ينتهي الأمر للسلطان، ولو كان ذا بصر فقهي لأدرك مغزى الشارع العادل في هذا الحكم الصائن ، ولعرف ما روى عن ماعز وغيره ممن راودهم الرسول على الإنكار ، مؤكداً أن مجرد الرجوع يمنع الحد ! ! فالإسلام لا يريد اشتهار الفاحشة بل يحاصرها في مكانها الضيق بعد أن يتعقبها تعقب الحريص الدءوب فإذا نزوة طائشة من بعض المتهورين كان من الصون للجماعة الإسلامية بأجمعها أن تدرأ الحدود بالشبهات فلا تفاجأ أمـــة القرآن كل حين بمرجومة ومرجوم ، وفي التقرير ما يكفي للتأنيب والردع ! تلك هي وجهة الشارع ملخصة في سطور يعوزها البسط والتحليل- إذ ليس مجالها هذا المقال — نقول لو كان الغوري ذا إلمام بنصوص الشرع ما ارتكب الشطط حين صمم على الرجم ، ودعا القضاة والعلماء لمناقشة الموضوع في مجلس خطير تصدره السلطان !! واكتنفته الأسنة والحراب .

كان العلماء على بينة مما يحاك ، فأجمعوا أمرهم على أن يقولوا كلمة الحق دون مبالاة وكان شيخهم الأكبر زكريا الأنصاري عضدهم في حومة الجدال ، وثقوا في همته وأطمأنوا إلى مؤازرته فله من المكانة في بلاد الإسلام والرسوخ في علم الشريعة والأستاذية لمن تلاه من الشيوخ ، والمؤلفات الذائعة في شتى العلوم مع ما اشتهر عنه من النزاهة البريئة في القضاء والسيرة العاطرة في الناس ، والسعي الدائب في الإصلاح ... له من ذلك كله ما لا يستطيع السلطان أن يعصف به في مجلس علمي يعتمد على الحجة ويلوذ بالدليل ، والحق أن رأي شيخ الإسلام زكريا الأنصاري في هذه القضية مما صعب على الغوري أن يهجنه ببعض التحامل أو الادعاء فقد أجمع من كتبوا سيرة الشيخ الأكبر على ثنائه وتقديمه ، إلا كلمات خطها السخاوي في ضوئه اللامع وهي من التناقض والتأرجح بين الجد والمؤاخذة بحيث تكون في مجموعها حجة لشيخ الإسلام ودليلا على تحامل المؤرخ الصديق كما يصف مودته للأستاذ ! ورأي عظيم سلم من السخاوي حتى يسلم منه الأنصاري على جلاله وبعد مرقاه ! لقد ادخر الحق لخذلان الغوري سهاما صائبة وقد فتح لها صدره في غطرسة كاذبة حين دعا العلماء إلى النقاش وفي مقدمتهم شيخ الإسلام .

كان المجلس رهيبا رائعا ، وقد شاء السلطان أن يوجه كلامه لزكريا الأنصاري بادىء ذي بدء بعد أن نظر في غضب إلى من حوله من العلماء ، فصاح في غضب :

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

كيف ياشيخ زكريا يضبط رجل فى منزل صاحبه مع عشيقته ويقر بالجريمة ثم يتراجع فتقرون أنتم بالرجوع !

فسكت زكريا الأنصارى قليلا ، وقال أحد تلاميذه من القضاه فى اعتداد : للمعترف بالزنا أن يرجع عن اعترافه ، وقد كان رسول الله يراجع المعترفين فيقول لأحدهم لعلك كذا ولعلك كذا ليفسح له السبيل ! !

فاحمر وجه الغورى وتوقدت عيناه من الغيظ وصرخ يقول أنا ولى الأمر ، لى الحق فى إصدار الحكم بالرجم وليس لكم أن تقفوا أمامى باسم الدين .

فانبرى قاض متحمس يقول : نعم لك الحق أن تصدر الحكم إذا كان متفقا مع الشرع الكريم فإذا أصررت على رجم المتهمين فأنت مذنب وعليك دينهما .

ارتج المجلس الحاشد ، إثر هذه العبارة ، ارتجاجا عنيفا ، فأظهر بعض أمراء المماليك كلمات نابية منكرة ، وتطور أحقهم فسحب العالم من ثيابه ، وأجبره على الخروج ، أما السلطان فقد وقف مغيظا يضرب الأرض بقدمه ، ويلوح بسيفه مهددا متوعدا ، وقد ندت منه عبارات ما كانت تصدر من شيخ محنك كبير ثم التفت إلى الشيخ زكريا وصاح وأنت ياشيخ الإسلام ما تقول فرد زكريا الأنصارى ، وكان قد جاوز التسعين ، لكنه احتفظ بقوة الأداء ، وارتفاع الصوت وكأن الحق أعاد إليه شباب حنجرته فقال :

إن الرجوع بعد الاعتراف يسقط الحق وجمهور الأئمة على ذلك ، وفى مقدمتهم صاحب المذهب رضى الله عنه .

فأظهر السلطان استهزاءه ، وصاح متهكما . هل هذا ما ترتضيه ذمتك ياشيخ الإسلام افرد الأستاذ زكريا الأنصارى يقول فى لباقة : ليس هذا ما ترتضيه ذمتى وحدى ولكنه ما ارتضته ذمة ساكن مصر الإمام الشافعى ! صاحب المذهب وذمته الشريفة لا تقبل التجريح بحال !

فزاد غضب الغورى ورد متعجلا : أنت شيخ قد كبرت وضعف عقلك ، أما أنتم أيها القضاه فلا أحب أن أراكم بعد الآن ، وقد عزلتكم جميعا عن القضاء !

وخرج السلطان مزبدا سابا لاغبا فانفض المجلس أسوأ انفضاض ! ! ثم هتف الغورى ببعض أعوانه فأصدر أمره بمصادرة أموال البعض ، ونفى البعض الآخر إلى الواحات وضرب نائب مذهب الشافعى الشيخ الونكلونى مع أولاده بالعصا ، حتى كادوا يموتون لأنه فى اعتقاد السلطان قد هيأ للتهم سبيل الرجوع عن الاعتراف وبذلك أمكن القضاة من معارضته على رءوس الأشهاد .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أما المتهمان فقد صدر الأمر بشنقهما علنا وعلقت جثتيهما يومين كاملين ليرى الناس فى مصر قلة حيلة القضاة وهل استطاعوا أن ينتصروا على السلطان ! !

هذا وقد لبث الشعب المصرى يتحدث زمناً غير قصير عن هذه المأساة المحرجة ، فأذاعت الجماهير مختلف النكات عن الغورى وأخذت تتحدث عنه بما برعت فيه من أساليب التورية والفكاهة ، وكان كل ذلك يصل إلى السلطان فيزيد من أزمته النفسية ، ولكنه لا يستطيع أن يتخذ إجراء رادعا لأن الكلام ذو وجهين ، ومحاولة التحقيق فيه مما يثبت الوجه المذموم فى الإشاعة ، فيعظم تداوله ، ويساعد السلطان بذلك على إذاعة ذمه ، فيحقق ما يبتغى مناوءوه .

بنى مسجده الشهير بالغورية ، وأنفق من الأموال المصادرة فى تشييده وزركشته ما كان موضع حديث الناس ، وقد سئل عن جدواه فقيه ممن اضطهدهم السلطان ، فقال فى ملأ من الناس إنه المسجد الحرام ! فضج الجمهور بالتصفيق ، وطار النبأ إلى الغورى فانفجر غيظا ، وأمر بإحضار الفقيه ليؤاخذه على قولته ! وكان المتهم لبقا فقال فى ثبات : أردت أنه شبيه بالمسجد الحرام فى مكة وعلى الناس أن يخصوه بالتعظيم والإجلال ، فهز الغورى رأسه وقال فى ضيق : لقد أردت شيئاً آخر أيها الخبيث !

فنظر الفقيه فى شجاعة وقال : لماذا يحاول السلطان أن يحرف كلام الناس ! فكظم الغورى غيظه وصاح به : لا أريد أن أرى وجهك بعد الآن .

ومضت الأيام فإذا حادثة القضاة مفخرة باهرة تسجل فى كفاح العلماء ، فتصبح مثلا خلقيا فى الاعتداد بالحق ومجابهة الطغيان !

محمد رجب البيومى
المدرس الأول بدار المعلمات بالفيوم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

إن أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل أشركه الله فى حكمه ، فأدخل عليه الجور فى عدله

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

تداخل المذاهب الفقهية

للدكتور علاء الدين شلبي

معروف أن مذاهب الفقه الإسلامى لا تقف عند هذه المذاهب الأربعة التى تدرس الآن بالأزهر ومعاهده وإنما هى مذاهب متعددة كانت هذه المذاهب أشهرها وظفرت دونها بالبقاء وقد انقرضت المذاهب الأخرى قبل نهاية القرن السابع الهجرى عدا مذهب الظاهرية الذى ينسب لداود بن على الأصبهانى فقد بقى بالأندلس وبعض بلاد المغرب حتى القرن الثامن الهجرى وكان بقاؤه وانتشاره هناك رد فعل الدعوة الباطنية التى أذاعها الفاطميون وكان فى القرنين الثانى والثالث وأيضا فى القرن الرابع مجتهدون أمثال البخارى والأوزاعى والطبرى وغيرهم لم يقدر لمذاهبهم البقاء والانتشار .

وقد تردد كثيراً على ألسنة فئة من رجال الفقه الإسلامى فى العصر الحاضر فكرة إدماج هذه المذاهب الأربعة وجعلها مذهباً واحداً يقوم على الرأى الأنسب والأقوى من أى منها وتبقى آراء الأئمة وآراء المجتهدين فى كل مذهب روافد تمد هذا المذهب الموحد وتغذيه ثم يكون له من اختلاف الآراء وتباين وجهات الرأى مرونة تجعله أكثر قابلية للتطورات وأدنى إلى مجاراة الأحداث وتقلب الحضارة ولتنمية هذا المذهب الواسع وتغذيته لا يقف به عند المذاهب الأربعة بل تتخذ من درس المذاهب التى انقرضت والأخرى الشيعية الباقية إلى الآن عناصر لسعته وشموله ما وجدنا فيها قوة وصلاحية لذلك غير أن هذا الرأى ما زال فكرة بين جدران الجامعات ولم يجد مجالا لتنفيذه .

حقاً إن مدرسى الشريعة الإسلامية فى كليات الحقوق جميعا لم ينظروا إلى تفرقة مذهبية وكذلك قانون الأحوال الشخصية المعمول به الآن ولكن هذا كله يعد مجالا ضيقا ما دامت الجامعة الكبرى التى تتوفر على درس الفقه الإسلامى والتى إليها المرجع فيه لم تأخذ بهذا الرأى وأظن أنه فى ظل التطور الجديد للأزهر وبأخذ كلياته بالنظم الجامعية الحديثة سيجد هذا الرأى مجالا لتنفيذه فى المعاهد الثانوية والإعدادية وهذا فضلا عن أن توحيد الرأى والفتيا يخفف على الطلاب عبئا ثقيلا من درس الفقه على الطريقة القديمة وفى الكتب المعقدة الملتوية .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ولا ندعو بطبيعة الحال إلى طرحها وإنما نستبقيها إلى مرحلة أعلا يكون التلميذ فيها قديراً على فهمها ومناقشتها والاستفادة منها . وإننا إذ نرجع إلى تاريخ هذه المذاهب وظروف نشأتها نجد فيها تداخلا يدعو إلى هذا التوحيد . وقبل أن نلم بهذا التاريخ نلاحظ أن التعصب والتنازع الشديد بين أتباع المذاهب إنما حدث بين المتأخرين ولم يكن بين الأئمة أنفسهم .

وكلما امتد الزمن وغفل الأتباع عن تواريخ أئمتهم اشتد التعصب بينهم وزاد العداء .

وقد كان التزاحم على المناصب وخصوصا منصب القضاء مما أذكى هذه الخصومة ودفع كل جماعة إلى الإشادة بإمامهم وانتقاص منافسه حتى أفتى بعض الأحناف مرة بأن الفتاة الشافعية ليست كفئا للفتى الحنفي ثم اشتهرت هناك قاعدة هي أن يعتقد تابع كل مذهب أن مذهبه صحيح يحتمل البطلان وأن مذهب غيره باطل يحتمل الصحة وكثيراً ما قام بين أتباع المذاهب مجادلات أدت إلى شجار ومعارك ولم يكن هذا في الأزهر فقط بل كان قبله أيضا .

كان أبو يوسف صاحب أبي حنيفة أثيراً لدى الرشيد وكان الخليفة جعل إليه تعيين القضاة فكان يؤثر فقهاء المذهب الحنفي ويفضلهم على غيرهم وجرى خلفاء بني العباس على هذه السنة طوال عهدهم - ولا شك أن هذا كان يغيظ الفقهاء الآخرين . ولما جاءت الدولة الفاطمية جعلت قضاتها من الشافعية لأول مرة في مصر وكان من قضاتها أيضا مالكية ولم يعين قاض حنفي في عهدهم حتى ردهم لهذا المنصب صلاح الدين الأيوبي ولعله كان من حسنات الظاهر بيبرس أن جعل القضاة أربعة من كل مذهب واحد .

هذه بعض الأسباب التي دعت إلى التفرقة أما إذا رجعنا إلى نشأة كل مذهب وصلته بالآخر فإننا نجد تداخلا وقربا .

كان مذهب أبي حنيفة أول هذه المذاهب ظهوراً نشأ بالكوفة بعيداً عن مشرق الدعوة ولم يكن أبو حنيفة غزير المادة من الحديث فاعتمد على الرأي ومال إلى القياس والاستنتاج وكان شديد الذكاء واسع الحيلة . أعجب مالك بذكائه وفهمه وقال : إنه لو أراد أن يقيم الدليل على أن سارية المسجد من ذهب لفعل . وتأثر المذهب الحنفي ببيئة العراق تأثراً جعله يختلف عن مالك اختلافا كبيراً فهي بيئة متحضرة تتلون فيها الحياة وتتجدد الأحداث وهي مهد لفلسفات قديمة وحياة عقلية لم يهيأ مثلها لبيئة الحجاز فكان أبو حنيفة يميل إلى كثرة الافتراض وتشقيق الآراء بينما كان مالك يكره ذلك كل الكراهية ولكن لم يحدث أن طعن واحد منهما الآخر أو أذرى بمذهبه .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ومذهب مالك هو المذهب الثانى فى الظهور، وكان مالك معاصراً لأبى حنيفة وهو على خلافه محدث له محصول غزير من الحديث وله بصر برجاله وعلم بسنده فهو يعتمد عليه ويتحفظ فى الأخذ بالرأى فإذا أشكلت عليه مسألة رجع إلى عمل أهل المدينة وهى قاعدة انفرد بها فى اجتهاده ويسرت له دون أبى حنيفة .

ولم يكن من أصحاب الرأى وأتباع الأثر على طرفى نقيض ولم يكن أحدهما يعيب الآخر . فمذهب أبى حنيفة لا يخلو من أثر وقد زاد عليه أبو يوسف فى هذا وخالف الإمام فى مسائل كثيرة محتجا لرأيه بأحاديث صحت عنده ولم تصح عند الإمام ومذهب مالك أيضا لا ينكر الرأى ولا يتخلى عنه بل أغناه عن كثرة الاعتماد عليه وجود ما يغنيه عنه من الآثار . وقد وجه مالك كلا من محمد بن إدريس الشافعى وإسحق ابن الفرات بعد أن فرغا من القراءة عليه إلى العراق ليستفيدا من مذهب أبى حنيفة ورأيه وفى هذا كله خطوة تقريبية بين هذين المذهبين وإن كانت ضئيلة الأثر .

نجد خطوة أوسع عند محمد بن الحسن الشيبانى صاحب أبى حنيفة والرأس الثانى من المجتهدين فى مذهبه - قرأ محمد على كل من أبى حنيفة وأبى يوسف فلما قضى وطره مما عندهما رحل إلى المدينة فمكث بها أكثر من ثلاثة أعوام يتلقى عن مالك وعن شيوخ المدينة فلما رجع إلى العراق كان يحمل عناصر جديدة للاجتهاد واستقاها من فقهاء المدينة ومن مالك على الأخص . . هذا سر ما نجده من مخالفاته الكثيرة لكل من أستاذيه وفى أكثر هذه المخالفات نجده يتفق مع مالك أو مع مذهبه بوجه عام والواقع أنه مزج بين المذهبين مزجا قرب بينهما وإن كان ميله الأكبر إلى مذهب الحنفى . وهذا أمر طبيعى لأن البيئة العراقية أكثر تلاؤما مع هذه الأفكار .

أما عمل ابن الفرات فكان أوسع دائرة من هذا ، فقد قام برحلة واسعة بين المغرب ومصر والشام والحجاز والعراق ، وفى هذه الرحلة قرب بين هذين المذهبين وكون منهما وأيضا من فقه الأوزاعى مؤلفا حسنا فى الفقه ولكن مذهب مالك هو الغالب عليه على عكس ما فعل محمد الشيبانى .

فى رحلته إلى المدينة قرأ على مالك ثم اتجه إلى العراق بعد أن فرغ من القراءة على مالك فلقى كلا من أبى يوسف ومحمد صاحبى أبى حنيفة وغيرهما ، وكان يحمل مجموعة من المسائل المتفرقة من فتيا مالك عرضها هناك ونوع فيها ، وهى التى عرفت فيما بعد باسم المدونة ومن يقرؤها الآن يجد أثر المذهب العراق

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الشاعر كما جاء فى المقدمة ، ثم ذكر غزوتى بدر وأحد .

وانتهى هذا الجزء بعودة النبى الكريم إلى المدينة بعد غزوة أحد ، والشاعر فى تصوير هذا الجزء من السيرة كان دقيقاً شديد الحرص على ألا يترك شيئاً مما ورد فى السيرة دون تصوير كخيمة أم معبد ... وسراقة بن مالك وبناء مسجد قباء ... والعهد الذى تم بين النبى الكريم واليهود بالمدينة ...

وهذا الجزء يقع فى ٨١ صفحة ، وعدد أبياته ١٢٣٥ بيتاً ، ولكن ليست جميعها من بحر واحد ، ولا من قافية واحدة ، بل هى قصائد يتلو بعضها بعضا ويصل بينها تسلسل الأحداث .

وتتفاوت هذه القصائد فى الطول إذ تتحد فى الوزن والقافية حسب الحادث الذى يدور حوله الحديث ، فمثلا تجد القصيدة الأولى من بحر واحد وقافية واحدة (١) ، وهى من خمسة وثمانين ومائة بيت ، وكذلك وصف غزوة بدر فى عشر ومائة بيت (٢) . فى حين أنه ذكر غزوة « السويق » فى أربعة وثلاثين بيتاً فقط (٣) ، وجاءت غزوة أحد فى خمسة من خمسين مقطعاً ، وبعض هذه المقطوعات أكثر من خمسة أبيات . وهكذا نعل فى بقية أجزاء الإلياذة من حيث عدم التزام قافية واحدة أو بحر واحد .

فإذا ما انتقلنا إلى الجزء الثانى : وجدناه استمرار للغزوات ، وهو فى ٤٤ صفحة وعدد أبياته ٩٤١ ، ويبدأ بذكر غزوة حمراء الأسد التى كانت عقب غزوة أحد ، وينتهى بغزوة بنى قريظة ، وذكر مدح سعد ابن عبادة رضى الله عنه .

ولقد اعتاد محرم أن يذكر فى مقدمة وصف الأحداث والغزوات بكلمة يعرف فيها المناسبة التى سيغشد فيها (فمثلا عند حديثه عن غزوة ذات الرقاع قال :

(كانت سنة ٤ هجرية - سببها تأليب بنى محارب وبنى ثعلبة أهل نجد على النبى وصحبه ، وقد حدثت فيها عجائب حتى سميت بغزوة العجائب ، وقيل سميت « بذات الرقاع » لأن المسلمين ثقبت أقدامهم ، وسقطت أظفارهم ، فلفوها بالخرق .. ولما بلغ نجداً أراد المشركون أن يوقعوا به فى صلاة الظهر ، فقربوا صلاة العصر ، ولكن نزلت آيات صلاة الخوف : « وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة » ثم يذكر القصيدة وهى ٧٤ بيتاً وهى:

إلى القوم الألى جمعوا الجموعا
إلى نجد ، كى نجداً هجوعا
أبت شمس الهدى إلا طلوعا
فضاض شعاعها يغشى الربوعا

(١) الخفيف ، والقافية رائية .
(٢) الكامل ، والقافية (حاء) .
(٣) الطويل ، والقافية (دال) .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ويسطع فى جوانبها سطوعا
إلى غطفان : إنهم استبدوا
وظن غواتهم أن ان يهدوا
بنى غطفان : جدوا ، ثم جدوا
جرى القدر المتاح ، فلا مرد
بنى عطفان : صبراً أو هلوعا الخ

والجزء الثالث : كان استمراراً لبقية الغزوات وهو فى ٧٧ صفحة وعدد أبياته ١٧٥٦ وأول غزوة ذكرت به هى غزوة بنى لحيان فى السنة السادسة الهجرية .. وآخر غزوة تبوك ، وهى آخر غزواته عليه الصلاة والسلام ، وآخر قصيدة وردت بهذا الجزء كانت عن « مسجد الضرار » ..

وقد ذكر أسباب غزوة « بنى لحيان » .. وعذرهم برسل النبي الكريم .. ووصف فزعهم وهروبهم إلى قمم الجبال عندما أحسوا بإقبال النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه عليها ومن ذلك :

بنى لحيان : لوذوا بالجبال
وقوا مهجاتكم حر القتال
أمن غدر ، إلى جبن ؟ لعمرى
لقد ضقتم بأخلاق الرجال
بنى لحيان : واعجبى لبأس
خبت جمراته بعد اشتعال
فررتم تتقوت الموت زحفا
على القمم الشواهق والقلال
هو المسخ المبين ، فمن أسود
تصيد القانصين إلى وعال ؟؟
دعوا الشرك المذل إلى حياة
من الإسلام وارفة الظلال
هو الدين الذى يحيى البرايا
ويصلح أمرهم بعد اختلال
يظل النور فى الآفاق يسرى
ويسطع ، ما تلا القرآن تال

وعند منصرف النبي عليه الصلاة والسلام من تبوك جمع أصحابه وخطبهم ناصحا ومزوداً إياهم بقواعد الإيمان فوصف بحرم ذلك الموقف :

خطب الرسول ، فكل سمع منصت
فى الخافقين ، وكل قلب خاشع
قل يا محمد : كل شئ مطارق
يرجو المزيد ، وكل شئ سامع
قل ما يعلمك الذى هو عالم
إن النفوس إلى الفساد نوازع
أدب بدين الله قومك أنه
دين لأشتات الفضائل جامع
هذا تراث العالمين بأسرهم
يجرى عليهم نفعه المتتابع
فلكل عصر منه ورد سائغ
ولكل جيل منه كنز نافع

أما الجزء الرابع : فقد خصص لذكر الوفود التى جاءت فى العام التاسع بعد فتح مكة تبايع النبي الكريم من مختلف الجهات ، ثم كتب النبي إلى الملوك ، ثم السرايا .

وقد ذكر فى مقدمة الجزء الثالث أنه لم يذكر السرايا بحسب ترتيبها التاريخى ، وأنه آثر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ويتخذونه ، ألا تراهم قد اختصوا الخيل والإبل والغنم والكلاب وما ثبت معهم واتخذوه بأسماء كزيد وعمرو ؟ .

عبقرية :

وعلى كل حال فهل تكون هذه محاولة من العرب فى ماضيهم السحيق للخروج بلغتهم من نطاق اللغة الساذجة التى لا تعبر إلا عن المدلولات الحسية والخارجية إلى مجال اللغة العلمية التى تعنى بتحديد المعانى والحقائق الذهنية ، إذ كان ذلك هو ملحظهم الأول فى وضع علم الجنس؟ إنه هذا إذا صح يكون من أعظم الأدلة على عبقرية الفكر العربى حتى فى عصر الجاهلية .

تعريفات وشروح :

ومما يلاحظ أنه بعد تخطى عتبة القرن السادس ، بدأ النحاة يتعثرون بالتعريفات المنطقية المعقدة التى يضعونها لعلم الجنس ، وانتهى أمر تلك الحدود البسيطة التى تعتمد على الأحكام اللفظية والخواص التقريبية . فابن مالك وإن قال فى الألفية :

ووضعوا لبعض الأجناس علم
كعلم الأشخاص لفظا وهو هم

فلم يخرج فى الظاهر عما قاله النحاة قبله من أنه علم موضوع للجنس وهو كعلم الشخص فى اللفظ تجرى عليه أحكامه وإن فارقه معنى فى كون دلالته عامة بموجب وضعه للجنس ، إلا أنه عاد فوضح مذهبه هذا فى شرح التسهيل بقوله : « إن أسامة ونحوه نكرة معنى ومعرفة لفظا وإنه فى الشياع كأسد ، وقد وافقه على ذلك الرضى وغيره . وعليه يكون علم الجنس مرادفا لاسم الجنس النكرة فى المعنى ، فلا فرق بين أسامة وأسد إلا فى الأحكام اللفظية ، فإطلاق اسم العلم عليه حينئذ تجوز .

ولكن المرادى رد ذلك بأن تفرقة الواضع بين أسامة وأسد فى الأحكام اللفظية ، تؤذن بفرق من جهة المعنى . ومما قيل فى ذلك أن أسدا وضع ليدل على شخص معين ، وذلك لا يمتنع أن يوجد منه أشكال ، فوضع على الشياع فى جملتها . ووضع أسامة لا بالنظر إلى شخص بل إلى معنى الأسدية المعقولة التى لا يمكن أن توجد خارج الذهن ولا يمكن أن يوجد منها اثنان أصلا فى الذهن ، ثم صار أسامة يقع على الأشخاص لوجود ما هو ذلك المعنى الكلى فى الأشخاص .

قال : والتحقيق فى ذلك أن تقول : اسم الجنس هو الموضوع للحقيقة الذهنية من حيث هى ، فأسد موضوع للحقيقة من غير اعتبار قيد معها أصلا ، وعلم الجنس كأسامة موضوع للحقيقة باعتبار حضورها الذهنى الذى هو نوع تشخص لها مع قطع النظر عن أفرادها ونظيرها المعرف باللام التى للحقيقة . ثم قال : « وفى كلام سيبويه إيماء إلى هذا الفرق ، فإنه قال فى ترجمة هذا باب من المعرفة يكون الاسم الخاص

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فيه شائعاً فى أمته ليس واحد منها بأولى من الآخر ما نصه : (وإذا قلت هذا أبو الحارث فأنت تريد هذا الأسد أى هذا الذى سمعت باسمه أو هذا الذى عرفت أشباهه ، ولا تريد أن تشير إلى شئ قد عرفه بعينه قبل ذلك كمعرفته زيداً ، ولكنه أراد هذا الذى كل واحد من أمته له هذا الاسم) انتهى .. فجعله بمنزلة المعرف بالألف واللام التى للحقيقة .

زيادة بيان :

وبهذا يعلم أن علم الجنس هو من قبيل اسم الجنس المعرف بلام الحقيقة لا من قبيل اسم الجنس النكرة . فأسد الموضوع لفرد غير معين من أفراد الجنس هو غير الأسد المعرف باللام ، إن هذا يشير إلى الحقيقة أى الأسدية كما يشير إليها أسامة ، غاية الأمر أن هذه الحقيقة تستفاد فى علم الجنس من جوهره وفى مصحوب أل منها ، فإذا قلنا أسامة أجرأ من ثعالة ، فكأننا قلنا الأسد أجرأ من الثعلب ، فمن أين يتطرق إليه التنكير ؟ .

رجوع إلى الأصل :

ولا نمعن فى هذه الخلافات النظرية ، وهى طويلة عريضة . لاسيما وقد أصبحت عناية العرب كلهم موجهة إلى تبسيط قواعد النحو وتجريده من ماحكات العلل وأحكام المنطق . وقد قام باستنكار هذه المباحث نحاة سابقون ، كانوا لا يرون فيها إلا خروجا عن السذاجة الأصلية للنحو العربى ، وتنادوا بالرجوع به إلى بساطته الأولى . ومن هؤلاء أبو حيان الذى علق على تحقيق المرادى المتقدم بقوله : « إنه رأى بعض من يميل إلى المعقول ، ويريد أن يجرى القواعد على الأصول . يروم به أن يوجد لأسامة ونحوه وجها يدخل به فى المعارف ، وهو بعيد عما تقصده العرب » .

وسأل الأستاذ عبد المهيمن الحضرمى ، وهو من شيوخ ابن خلدون ، الإمام أبا عبدالله المقرى ما الفرق بين اسم الجنس وعلم الجنس؟ فقال له : زعم الخسروشاهى أنه ليس فى الديار المصرية من يعرفه غيره ، وأنا أقول : ليس فى الدنيا عالم إلا وهو يعرفه غيره ، لأنه حد لفظى أوجب تقديره المحافظة على ضبط القوانين كعدل عمر عن عامر . فاستحسنه عبدالمهيمن .

كتاب فى علم الجنس:

ونظراً لهذه الأقوال المضطربة فى علم الجنس، فقد ألف فيه أبو جعفر بن خاتمة من علماء الأندلس كتاباً نبيلا سماه إلحاق العقل بالحس فى الفرق بين الكلى والعلم الجنسى وهو يعنى بالكلى اسم الجنس كانسان وأسد وفرس. ولم نقف على هذا الكتاب وإنما ذكره ابن غازى فى حاشيته على الألفية ، وقال إنه أجاد فيه ما شاء ونقل منه نقولا مفيدة ومن جملة ذلك قوله فيه : « يظهر لى أن هذا المعنى استأثر به اللسان العربى دون اللسان اليونانى ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لاتساع عباراته ولطائف إشاراته ، إذ لو كان في اللسان اليوناني لوجد في كتب المنطق المترجمة وتداولته مناطقة الإسلام في كتبهم كأبي نصر الفارابي وأبي علي بن سينا والقاضي أبي الوليد بن رشد الحفيد وغيرهم .

أحكام :

وقد علم أن علم الجنس يساوي علم الشخص في أحكامه اللفظية ، وهذه الأحكام هي أنه لايضاف ولا يدخل عليه حرف التعريف ولا ينعت بالنكرة ، ويبتدأ به وتنصب النكرة بعده على الحال ويمنع من الصرف مع سبب آخر زائد على العلمية كالتأنيث في أسامة ووزن الفعل في بنات أوبر وابن آوى وزيادة الألف والنون في كيسان علم على الغدر .. ومن أحكامه الخاصة أن ما كان منه مبدوءا بابن كابن عرس وابن آوى وابن أوبر يحمل في الجمع على لفظ المؤنث فيقال بنات عرس وبنات آوى وبنات أوبر ، وكذلك في العدد فيقال ثلاث أو أربع أو خمس بدون تاء . وفي نوادر اليزيدي يقال أبناء آوى وبنات آوى بالوجهين .

تقسيمات : ينقسم علم الجنس :

أولا : باعتبار وضعه إلى قسمين ، عربي ومولد كما ذكر ذلك ابن خاتمة في كتابه المشار إليه على ما نقله عنه ابن غازي . ولم نر من ذكر هذا التقسيم غيره وبمقتضاه يكون علم الجنس غير مقصور على السماع . وهو خلاف مايفهم من كلامهم وماصرح به بعض الشراح عند قول الألفية (ووضعوا لبعض الأجناس علم) والأمثلة التي مثل بها ابن خاتمة لهذا القسم الثاني أعني المولد هي أبو زياد للحمار وأبو دغفل للفيل وأبو المضاء للفرس وأبو خداس للثور وأبو اليقظان للديك قال : « وهذا النوع غير منحصر » وهذه العبارة أيضاً من كلامه تفيد أنه لا يختص بالسماع .

والملاحظ أن الأمثلة التي أتى بها كلها مبدوءة بأب ، وأنها لما يؤلف من الحيوان على خلاف الأصل في علم الجنس ، فهل المولد منه هو الذي من هذا القبيل ؟

ثم إننا نسجل أن أبا المضاء عندهم مما جاء قليلا لما يؤلف من الأجناس على خلاف الأصل ، فهل يكون ذلك هو الداعي إلى الحكم بتوليده عند ابن خاتمة ، ويكون كل ما ضاهاه كذلك ولو لم يبتدأ بأب كهيان بن بيان للمجهول ؟

ومصداقا لقول ابن خاتمة أن هذا النوع غير منحصر ، نجد في كتاب المزهر للسيوطي في النوع السادس والثلاثين وهو المخصوص بمعرفة الآباء والأمهات والأبناء والبنات والإخوة والأخوات والأذواء والذوات ، عدداً كثيراً من هذه الأسماء التي تذكر في علم الجنس مبدوءة بأب أو أم أو ابن أو بنت ، ومن بينها أمثلة ابن خاتمة ما عدا أبا اليقظان فإنه أورد بدله أبا حماد ، وبعضها مما يلوح عليه أثر الأعرابية وبعضها الآخر مما يحمل

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

طابع التوليد ، فهل كل هذه الأسماء مما يندرج فى علم الجنس ، وما يكون منها لما يؤلف بعد من قبيل المولد ؟ .

إن هذه مباحث بحاجة إلى التمحيص ، وإن أول ما نستفيده منها هو فتح هذا الباب أيضاً فى وجه العاملين على نمو اللغة العربية وتوسعها ومسايرتها لروح العصر فى النهضة والتقدم .

ثانياً : وينقسم باعتبار مدلوله إلى قسمين أيضاً عند ابن خاتمة : قسم خاص بالأعيان ، وقسم خاص بالمعانى ، وجعله غيره ثلاثة أقسام فاستخرج من قسم الأعيان قسما خاصا بما يؤلف منها وهو القسم الذى استبعده ابن خاتمة وجعله من قبيل المولد .

أمثلة من القسم العينى

أم غيلان للسماء ، وذكاء ويوح بالمثناة وبوح بالموحدة وبراخ للشمس ، وبنات نعش للنجوم الشمالية المعروفة ، وبنات بخر للسحاب ، وبنات مخر وبحر لسحائب تجىء قبل الصيف منتصبات وقاق وأم راشد للفأرة ، وأم الظباء للفلاة ، وأم صبار للحرة وابن النعامة للطريق ومخاوض الثعلب وملاحس البقر ووحش أسمت وبلد أصمت وعين دبار لأبعد الأرض الذى يحار السائر فيه عن القصد ، وبنات أوبر لضرب من الكمأة ردىء ، وتبدة لمائة من الابل ، وبنات رباط للخيل ، وبنات صعدة للحمر الوحشية وأم حلس وأم المنبر للأتان ، وأم فروة للنعجة وأبو الحارث وأسامة للأسد وذؤالة ودا لأن بفتح الهمزة وإسكانها وأبو جعدة وأبو جعادة للذئب ، وثعالة وأبو الحصين وسميم للثعلب ، وجيأل وألفاظ كثيرة للضبع ، وابن آوى وابن عرس لنوعين من السباع وابن مقرض لدويبة تقتل الحمام ، وسام أبرص وأبو بريص للوزغ ، وحمار قبان لدويبة كثيرة الأرجل تنقبض عند ما تلمس ، وبنات وردان لنوع من الحشرات يكون فى البيوت . وأبو براقش لطائر فيه ألوان يتلون ريشه فى النهار عدة ألوان ، وأبو جعران لذكر الخنافس ، وأبو حباحب لدويبة صغيرة تضىء ليلا ، وأم قشعم وشعوب للمنية وبنت المطر لدويبة حمراء تظهر عند المطر ، وشبوة وأم عريط وأم العريط باللام للعقرب وأم العوام للسلحفاة ، وأم حفصة وأم جعفر للدجاجة ، وأم مهدى للحمامة ، وأبو المرقال وابن دأية للغراب ، وعامر بن عامر للبرغوث ، وأبو صفرها المخترع للشىء ، وابن أحذار للحذر ، وابن أقوال للنطيق ، وأبو ذبان للأبخر ، وابن عبراء للص ، وأبو دراص وأبو ليلى وأبو الدغفاء للأحمق وابن أبى وهيان ابن بيان للمجهول الذى لا يعرف ، وجابر وابن حبة ويقال جابر ابن حبة للخبز إلى غير ذلك .

ولا يخفى أن فى هذه الأمثلة كثيراً مما هو للمألوفات من الأناسى والحيوانات وقد

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ذكرها ابن خاتمة فى قسم الأعيان من «علم الجنس» العربى ولم يستشعر أى فرق بينها وبين ماحكم عليه بأنه مولد وهذا هو موطن الغرابة .

أمثلة للقسم المعنوى

برة للبرة ، وفجار للفجور ، ويسار لليسر ، وسبحان للتسبيح على مافيه من خلاف . وكيسان للغدر ، ومنه سموا الضربة بالرجل على مؤخر الإنسان بأم كيسان وبنات عير للكذب وقيل للباطل ، وعاط بن باط للتخليط والكذب ، وأبو عمرة وأبو مالك للجوع ، وأم ملدم بالدال والذال وأسماء أخرى للحمى وأم الربيق كزمير وبنت طبق وألفاظ أخرى للداهية ، وأم دفر وألفاظ أخرى للدنيا ، وابنا سمير وابنا جير لليل والنهار ، وابن ذباء للصبح ، وابن جلا لأول النهار ، فى قول ، وفينة بمعنى الحين بعد الحين وغدوة وبكرة وسحر إذا قصدت من يوم بعينه وقيل مطلقاً فى الأولين . والأعداد إذا قصدت معانيها مجردة من المعدودات نحو ثمانية ضعف أربعة والأمثلة التى يوزن بها كقولك فعلان فعلى صفة لا تنصرف .

تعقيب :

مما يلاحظ فى هذه الأعلام أن صفة ما لوحظت فيها مع العلمية ، كحضاجر للضبع فيه معنى انتفاخ البطن ، وابن دأية الغراب لوقوعه على دأية البعير ونحو ذلك وقد ألمع إلى ذلك سيبويه حين قال : « ومن ذلك ابن قترة وهو ضرب من الحيات فكأنهم إذا قالوا هذا ابن قترة فقد قالوا هذه الحية التى من أمرها كذا وكذا » الخ .

ويلاحظ أيضاً أن بعض هذه المسميات مما له اسم وكنية ، وبعضها ليس له إلا أحد الأمرين ، وبعضها وهو غريب ليس له اسم جنس ، وإنما يعرف بعلمه كحمار قبان وابن مقرض .

ومما يستشكل كون ذكاء ويوح وما إليها من علم جنس الشمس ، فإذا كان معناه الحقيقة الذهنية فإنها هنا واحدة فى الذهن والخارج ، ولا أفراد لها فيما تراه العين إلا ما يقوله الفلكيون من أن هناك شموسا عديدة ، ولكن الواضح لم يقصد ذلك قطعا على أن اسم يوح وجدنا أنه كان يطلق فى غير العربية من اللغات السامية على الشمس ، ولا ندرى أهو فيها معرفة أم نكرة ؟ وأيا ما كان فإن الاستشكال قائم بالنسبة إلى صفته فى العربية وهى العلمية الجنسية ، إلا أن نقول أن الجنسية هنا معتبرة بالنظر إلى الزمن وتنقلات الشمس فى أبراجها .

والخلاصة أن علم الجنس موضوع طريف فى اللغة العربية وهو يقتضى تضافر الجهود لتحقيق مباحثه .

عبد الله كنون

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

عباد الرحمن

للأستاذ محمود الشرقاوى

رمضان سنة لا شهر ، كما كتب مرة أستاذنا الزيات . فإذا كنا نتلو قول الله تعالى : « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » . فنعرف أن الله كرم رمضان خصه بأن بدأ نزول القرآن فيه ، وجعلناه لذلك شهر العبادة والقرآن والخير . وإذا كنا نعرف من حديث الرسول الكريم أنه : « كان أجود الناس ، وكان أجود ما يكون فى رمضان » . فجعلناه نحن أيضا شهر البر والمعروف والصدقة ، إذا نحن قرأنا ذلك وعرفنا ووعينا ثم أطعنا وعملنا فلن نكون عاملين طائعين إلا إذا كان رمضان وكان عملنا هذا فيه يشمل أيامنا كلها ويستوعب الشهور كلها والعمر كله أى أن يكون ذلك وكد حياتنا ومحور أعمالنا ذلك وأساس كل تصرف نقدم عليه وكل فكرة لنا أو خاطر .

إذا التزم كل منا ذلك فى رمضان وغيره كان ذلك دليلا على صدق الإيمان وصفاء القلب ونقاء الضمير ، وإيذانا بأننا قد التزمنا « مكارم الأخلاق » التى بعث النبى عليه السلام لإتمامها . وأننا انتهينا عن الفحشاء والمنكر » الذين جعل الله الصلاة ناهية عنهما . وهذا الالتزام لمكارم الأخلاق والانتهاء عن المنكر والفحشاء ، هما ثمرة الإيمان ، فى رمضان وغير رمضان .

ومن منا نحن الصائمين العابدين المطيعين فى رمضان وغيره لا يريد أن يكون من عباد الرحمن . . ؟

ولكن : من هم عباد الرحمن هؤلاء الذين نريد أن نكون منهم . . ؟

لقد نسبهم الله إلى صفة « الرحمة » فسماهم : « عباد الرحمن » ، ووصفهم فكان أول ما ذكر لهم من الأوصاف اثنتين من فضائل الأخلاق : التواضع والسماحة وكرم الخلق : « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا : سلاما » . ثم عقب فذكر صلاتهم وعبادتهم المخلصة الخالصة : « والذين يبيتون لربهم سجداً وقياما » . ثم ذكر خشيتهم لله ودعاءهم أن يصرف عنهم غضبه وسخطه وعقابه : « والذين يقولون : ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما » . ثم ذكر أنهم السويون العادلون المعتدلون « والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وكان بين ذلك قواما » . والذين يؤمنون بالله وحده فلا يخشون أحداً غيره ولا يخضعون لأحد سواه : « والذين لا يدعون مع الله إلها آخر » . والذين يقدرون الحياة الإنسانية حق قدرها والشرف والعرض : « ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون » . والذين يعرفون للحق حرمته ويتجاوزون عن إساءة المسيء ، تفضلا وكرما وصيانة : « والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما » . والذين يسمعون آيات الله بآذانهم فتتأثر بها نفوسهم وتخشع قلوبهم ، « والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا » . وأنهم الذين يدعون ربهم أن يهبهم ، من زوجاتهم وأزواجهم ، قرة الأعين من الأبناء والبنات ، وأن يجعل منهم القدوة الخيرة للمتقين : « والذين يقولون : ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما » .

من منا ، نحن الصائمين المطيعين ، في رمضان وغيره ، لا يريد أن يكون واحداً من عباد الرحمن هؤلاء الذين بشرهم الله بأكرم بشارة : « أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما . خالدين فيها حسنت مستقراً ومقاما » [1] .

هذه العبادات التي أمر بها الله وأوجبها على كل مكلف لابد أن توجد في النفس ملكة «التقوى» والرعاية لله والخلق والفضائل حتى لا تكون حركات لا تؤدي غاية ولا توصل إلى ثمرة .

فقد أمر الله بالبر والصدقة ، مثلا ، ولكنه جعل لهذا البر وهذه الصدقة « آدابا » لا بد أن تراعى وتلتزم . وفقدان هذه الرعاية وهذا الالتزام يحبط هذا العمل الصالح - كما قال الله تعالى - لأن العمل نفسه قد تكون له دوافع غير كريمة من الأثرة والأنانية والتظاهر والمن : « يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى . كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر . فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين » [1] .

فنحن نعلم من هذه الآيات الكريمة أن الفضائل والآداب التي تلابس الصدقة والبر وبذل المال ، والدوافع التي تحرك النفس لها ، قد تكون أهم من المال المبذول نفسه ، على حب النفس للمال وحرصها عليه . فستر الصدقة واصطحابها بالكلمة الطيبة المواسية التي تباعدها عن المن والأذى ،

(١) عباد الرحمن : الآيات ٦٣ - ٧٧ من سورة الفرقان .

(١) الآية ٢٦٤ من سورة البقرة .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أو بالصمت المهذب المطوف ، مقصد أسمى تدعو إليه هذه الآية الكريمة عند البذل والصدقة وتقديم المعروف . أما من يصحب بذله بالمن والأذى فمثله كما صورت الآية الكريمة ، ونتيجة عمله وبذله أنه كمن لم يكسب ثواباً ولم يعمل خيراً ولا معروفاً ، مع أنه أنفق وبذل وتصدق . ولكنه قد امتن وآذى فحبط عمله .

ثم نعرف من حديث الرسول الكريم أن امرأة تكثر من الصلاة والصيام والصدقة وقد تتطوع بالأيام تصومها وبالليالى تقومها وهى مع ذلك من أهل النار . ولا عجب فى ذلك فى مقياس الحقائق والنتائج والثمرات هذه المتصدقة المتطوعة بالصوم الكثير والتهجد الطويل من أهل النار لأن عبادتها لم تكن صادقة ولا خالصة فلم تهذب نفسها ولم تحجزها عن أذى جيرانها كما سنجد فى الحديث الشريف ، الذى نعرف منه أيضا أن امرأة أخرى قليل صيامها قليلة صلاتها قليلة صدقتها وهى مع ذلك من أهل الجنة ، لأن صيامها هذا القليل وصلاتها القليلة وصدقتها القليلة أيضا كانت صادقة خالصة قد فهذبت نفسها ومنعتها من أذى جيرانها وعصمتها عن إيقاع الشر بهم .

عن أبى هريرة قال : قال رجل : يا رسول الله فلانة ، يذكر من كثرة صلاتها وصيامها وصدقتها ، غير أنها تؤذى جيرانها بلسانها . قال - أى النبى عليه السلام - هى فى النار . قال الرجل : يا رسول الله : فإن فلانة يذكر من قلة صيامها وصدقتها وصلاتها ، وأنها تتصدق بالأثوار[1] من الأقط[2] ولا تؤذى جيرانها بلسانها . قال عليه السلام : هى فى الجنة [3] .

ولا بد أن يكون المراد بالصلاة والصوم والصدقة فى الحديث ما زاد على الصلاة المفروضة وصوم رمضان والزكاة المفروضة أيضا .

* * *

والآن نذكر نماذج ثلاثة من هؤلاء المؤمنين الذين امتثلوا أوامر الله فصاموا وصلوا وتعبدوا وأطاعوا ، فأثمر هذا كله ثمرته فى قلوبهم وضمائرهم ، ثمرة من الإيمان والتقوى تحجزهم عن كل شهر وتدعوهم إلى كل خير ، فهى رقيبة على كل ما يأتون ويدعون من عمل :

(١) كان أبو حنيفة ، كما نعلم ، تاجراً . ولكن حب المال وشهوة الكسب لم تطغ

---

(١) فى النهاية من غريب الحديث والأثر : الثور : إناء من صفر أو حجارة قد يتوضأ منه وقد يشرب فيه يشير الحديث إلى أنها كانت تتصدق بالشىء القليل

(٢) الأقط ، أو الأقط : طعام يتخذ من اللبن المخيض ، وهو من ألبان الإبل خاصة أو المعز .

(٣) مسند أحمد ج ٢ ص ٤٤٠ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

على قلبه ، ولم تنسه حق الله والدين والخلق ولم تجعله من الذين قال الله فيهم : « الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون . وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون »[1] . فلم يخدع ولم يرض بالخداع ولو كان من ورائه ربح جزيل .

كان حفص بن عبد الرحمن شريكا له فى التجارة ، وترك أبو حنيفة لحفص ثوبا معيباً وأخبره بعيبه وأن ينقص من ثمنه بما يساوى هذا العيب ، وأن يبين لمن يشترى الثوب ما فيه من عيب حتى يشتريه عن بينة . وباع حفص الثوب ونسى أن يبين لمن اشتراه عيبه ، واستوفى منه الثمن كاملا . وعرف أبو حنيفة ما كان من أمر شريكه فأرسل إليه أن يبحث عن المشترى ليخبره بعيب الثوب ويرد له بعض الثمن ، وبحث حفص عن المشترى فلم يجده ، ولم يرض أبو حنيفة أن يقبل ثمن هذا الثوب ولا أن يضمه إلى ماله ، بل تصدق به كله ، وفض ما بينه وبين حفص من الشركة ، تحرزاً وحيطة وتقوى .

(ب) وكذلك كان محمد بن المنكدر تاجرا غاب عن متجره فلما عاد وجد غلامه باع ثوبا بعشرة دراهم ثمنه خمسة ، فظل يبحث عن المشترى نهارا كاملا حتى وجده فقال له لقد أخطأ الغلام فى ثمن الثوب الذى اشتريته باعه لك بعشرة وثمنه خمسة فلك نصف ما دفعت ، وقال المشترى : إنى قد رضيت بالثمن وما شكوت غبنا . فقال ابن المنكدر : وإن رضيت ، فإنا لا نرضى ، ورد إليه ما دفع من الزيادة .

(ج) ومثل ذلك فعل يونس بن عبد الجليل كان فى متجره أثواب وحلل متفاوتة الثمن بعضها بمائتين من الدراهم وبعضها بأربعمائة ، وذهب يوما إلى المسجد وترك أخيه فى الدكان وجاء زبون يشترى فعرض عليه الأثواب فاختار منها ثوبا بمائتين راقه واستحسنه ، وتقاضى منه ابن أخى يونس أربعمائة ، وانصرف المشترى يحمل حلته على يده فالتقى به يونس وعرفها ، فاستوقفه يونس وسأله عن ثمنها فأخبره ، وقال له يونس : إن ثمنها مائتان لا تزيد ، فأجابه المشترى : إنها فى بلدنا تساوى خمسمائة ، وقد اشتريتها ورضيت ثمنها واخترتها بنفسى ولا أجدنى مغبونا ولكن يونس لم يتركه حتى عاد معه إلى المتجر وهو يقول : إن النصح فى الدين والأمانة فى الربح خير من الدنيا وما فيها ، ورد عليه مائتى درهم واختصم ابن أخيه فى ذلك لائما زاجراً يقول : أما تتقى الله فى بيعك ؟ تربح ضعف الثمن ... ؟ فأجابه : إن المشترى قبلها راضيا عنها وعن ثمنها ، فقال له يونس : وإن كان إنا لا نرضى لغيرنا إلا ما رضينا لأنفسنا .

* * *

(١) الآية : ٢ ـ ٣ للمطففين .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

كلنا يريد أن يكون من عباد الرحمن ، ولذلك سعى وعمل وصدق إيمان لا يصل إليه أولئك : (الذين تراهم أبعد الناس عن التدين الصحيح ، وأبطأ الناس عن تلبية الدعوة إلى الخير ، يقبضون أيديهم عن البذل والعطاء ، ويثقل عليهم أداء الحقوق ، يقطعون الأرحام ولا يصلون الفقير ولا يحضون عن عن مكروب ، يصفهم الله فيقول : « أرأيت الذى يكذب بالدين ... ؟ فذلك الذى يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين ، فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون . الذين هم يراءون ويمنعون الماعون) [1] .

عباد الرحمن الذين يريد كلنا أن يكون منهم هم الذين وصفهم الله تعالى بأوصافهم وذكرناهم هم أولئك الذين (امتلأت قلوبهم بخشية الله وسلطانه ، وظهر أثر ذلك الإيمان فى أخلاقهم فلا غل ولا غضب ولا بغضاء ولا شح ولا قطيعة ولا جبن ولا أثرة ، هؤلاء هم المؤمنون الذين : « إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون [2] » .

هذا هو الدين : عقيدة نقية ، ونفس سخية ، وأخلاق رضية ، وقلوب وفية) [3]

محمود الشرقاوى

---

(١) سورة الماعون :

(٢) الآية ٢ من سورة الأنفال

(٣) للمرحوم الأستاذ الأكبر الشيخ شلتوت

قال عمر بن الخطاب : ثلاث يثبتن لك الود فى صدر أخيك : أن تبدأه بالسلام ، وتوسع له فى المجلس ، وتدعوه بأحب الأسماء إليه .

وقال : كفى بالمرء غياً أن تكون فيه خلة من ثلاث : أن يعيب شيئاً ثم يأتى مثله ، أو يبدو له من أخيه ما يخفى عليه من نفسه ، أو يؤذى جليسه فيما لا يعنيه .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

نظرات فى الأدب والتصوف :

تطور التصوف

للأستاذ محمد ابراهيم الجيوشى

التصوف فى القرن الرابع والخامس :

وعندما أقبل القرن الرابع كانت هذه التعاليم قد انتشرت فى آفاق العالم الإسلامى ، وكان كل شيخ من هؤلاء قد وفد إليه المريدون والأتباع ، ونشطوا فى إشاعة مبادئهم وإذاعة آثارهم وظهر فى خلال هذا القرن كثير من الطرق والفرق الصوفية .

من هذا العرض السريع رأينا كيف نما التصوف وازدهر خلال القرنين الثالث والرابع بكثرة مشايخه وانتشارهم ، ولم يقف عند هذا الحد ، بل كان له مظهر آخر ، ذلك أن الصوفية أخـــذوا ينظمون أنفسهم ، ويجتمعون على شكل فرق لكل منها لون خاص وتقاليد متميزة ، يخضعون لها ، ويلتزمون مراعاتها ، وأساس ذلك أن يجتمع طائفة من المريدين والأتباع حول شيخ يعلمهم طريق السلوك ، ويرشدهم إلى ما يجب على المريد التزامه حتى يتحقق له كمال العلم وكمال العمل ، وكان من نتيجة ذلك أن وجدت الفرق الفرق الآتية :

(ا) السقطية نسبة إلى السرى السقطى .

(ب) الطيفورية نسبة إلى أبى يزيد طيفور البسطامى

(ج) الجندية نسبة إلى الجنيد .

(د) والخرازية نسبة إلى أبى سعيد الخراز .

(هـ) والملامتية أو القصارية نسبة إلى حمدون القصار (١) .

وفى زحمة هذه الفرق التى أشرنا إليها ، وبين مجيج آرائها المتسمة بالجرأة الفائقة ، من مثل ما ظهر على لسان الحلاج والبسطامى الذى كان يقول : « سبحانى ما أعظم شأنى » . ويقول : « رفعنى مرة فأقامنى بين يديه ، وقال لى : يا أبا يزيد إن خلقى يحبون أن يروك فقلت : زينى بوحدانيتك ، والبسنى أنانيتك ، وارفعنى إلى أحديتك حتى إذا رآنى خلقى قالوا : رأيناك ، فتكون أنت ذاك ، ولا أكون أنا هناك » .

هب الفقهاء يردون على هذه الأقوال التى تدل دلالة صريحة على كفر قائلها . وتناولوها وقائليها بالرد العنيف والتجريح القاسى لأن الأمر فى اعتقادهم يتعلق بالعقيدة التى يجب أن تظل نقية من الشوائب ، خالصة من الأدران ، ولم يقف الصوفية أمام هذا الهجوم العنيف من جانب الفقهاء مكتوفى الأيدى ،

(١) الحياة الروحية فى الإسلام .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بل انبرى منهم فريق يردون اتهام الفقهاء ، محاولين تبرئة شيوخهم مما لصق بهم ، أو تأويل كلامهم بما يتفق مع معتقدات الجمهور وآرائهم ، واستعرت نار الحرب بين الفريقين ، واتسعت شقة الخلاف ، ومنذ ذلك الحين أخذ كل من الفريقين ينأى عن الآخر بجانبه ، ويشيح عنه بوجهه ، وألقيت الاتهامات العريضة من جانب الفقهاء على الصوفيه يرمونهم بالكفر والزندقة ، وانبرى الصوفية يقولون إن هذه مقامات لم يصل إليها الفقهاء ، ولم يبلغوا إدراكها . ولو وصلوا لعرفوا ، ومن ذاق عرف - كما يقولون - وظل الخلاف على أشده بين الفريقين ، ونجم عن ذلك ظهور فكرة علم الشريعة والحقيقة ، والعلم الظاهر والعلم الباطن

وذهب الصوفية إلى أن النفس بدوام المجاهدة والرياضة تصفو وتشف حتى تستطيع أن تصل إلى مراتب من العلم والمعرفة ، يطلعهم الله فيها على كثير من من الأسرار ، لا يستطيع الوصول إليها أهل العلم الظاهر ، كما ذهبوا إلى أن العقل الذى يعتمد عليه الفقهاء فى إثبات الأشياء ليس سفيراً أمينا قوياً يستطيع أن يصل إلى هذه المدارك .

بل الذوق والقلب هما الطريق المأمون ، وأقبل القرن الخامس وحمل فيما حمل من المفاقرة والعظماء أبا حامد الغزالى ، وأطلعه فى أفقه شهابا ساطعا ، فوجد هذا الخلاف المستعر وأخذ ينظر فى أسبابه ودواعيه ، وأى الفريقين على حق وأى على باطل ، ثم أخذ يتنقل فى أطوار البحث والعلم من طريق إلى طريق ، ومن مذهب إلى مذهب ، كما عبر عن ذلك فى كتابه « المنقذ من الضلال » فقد كشف فيه عن حيرته ، حتى انتهى به الأمر إلى تفضيل طريق الصوفية ، وأنه هو الطريق إلى السعادة والنجاة وصرح الغزالى بذلك بعد أن درس الفلسفة وعلم الكلام ، وانتهت إليه الرياسة فى علوم الشريعة ، ثم أقبل على طريق الصوفية فخذقه علما وعملا ، واستطاع بما أوتى من قوة البيان ، وفصاحة الحجة والقدرة على الجدل والحوار ، وفقاذ البصيرة أن يمزج بين علوم الشريعة والتصوف وأن يدخل كثيرا منه فى مباحثها ، وأبان أن هذا متمم لذاك ، وقد تقبل أهل السنة بعده خلال القرنين السادس والسابع هذا الصنيع بالقبول الحسن ، وخفت حدة الخلاف بين الفريقين .

القرن السادس والسابع :

اختلط الصوفية فى القرنين السادس والسابع بالشيعة الإسماعيلية ، وتلقوا كثيرا من الفلسفات التى غزت العالم الإسلامى آنذاك ، فبدا فى كلامهم القول بالقطب ، وهذا الاتجاه مأخوذ عن الشيعة فى قولهم بالإمام المستور .

وذهبوا إلى القول بكشف حجاب الحس ، والاضطلاع على الأمور قبل وقوعها

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والتصرف فيها وأن ذلك إنما يكون بالمجاهدة والرياضة، وقتل نزعات النفس، وإماتة قوى الجسد، حتى تقوى الناحية الروحية في الإنسان فتستطيع أن تفعل ذلك.

وظهرت أيضا فكرة الاتحاد والحلول والوحدة، ونظرية الإنسان الكامل، مما يعد مزيجا من آراء الفرق الدينية والفلسفية المنتشرة في ذلك العصر، وأوضح مثال لذلك السهروردي المقتول في كتابيه «حكمة الإشراق» و«هياكل النور».

ومن عالقة الصوفية في هذا القرن محي الدين ابن عربي، وفي كتبه بين نظم ونثر فيض من هذه الآراء الجريئة.

وفي شعر ابن الفارض وخاصة التائية الكبرى أوضح بيان لمذهب الوحدة عند الصوفية.

وقد لجأ الصوفية إلى الرمز في التعبير عن هذه الآراء، وحتى من تناول كلامهم بالشرح لم يخرج عن هذا الفلك الذي داروا فيه بما أرادوا من رموز، وأقوى مثل على القول بوحدة الوجود محي الدين بن عربي في قوله: سبحانه خالق الأشياء وهو عينها. وقوله:

يا خالق الأشياء في نفسها
أنت لما تخلقه جامع
تخلق ما لا ينتهي كونه
فيك فأنت الضيق الواسع

وكان التصوف خلال هذين القرنين يجمع بين الناحيـــة العملية والناحية النظرية، وقد تعددت فيهما الطوائف الصوفية أكثر من ذي قبل، ويعتبر هذا غاية ما وصل إليه التصوف من أفكار وآراء ونظريات.

أما بعد ذلك فالتصوف لم يعد أن يكون شرحا لهذه النظريات أو اختصاراً لها، أو تعليقا عليها، إلى غير ذلك، ولم يكن له أثر يذكر، وإن كان التصوف في القرون المتأخرة قد قام بدور كبير في تكييف الحيـــاة الاجتماعية.

بهذا التطواف السريع مع الصوفية في تاريخهم ومراحلهم المختلفة نكون قد وقفنا على أهم التعاليم والمبادئ والنظريات والمثل التي آمنوا بها وعملوا من أجلها وكانت منطلق تفكيرهم وإحساسهم، ونستطيع أن نقول إن أظهرها وأقواها. الخوف، والحزن، والزراية على الدنيا والزهد فيها والشوق إلى الله، والحب لذاته، ثم الفناء فيه، والاستغراق في وجوده، وكذلك القول بوحدة الوجود، والتجلي والشهود والاتحاد.

وسنرى فيما بعد أن أدب الصوفية يدور حول هذه المعاني، ويجول في ساحات هذه الأغراض، فما هو ذلك الأدب؟ وما مظاهره؟! وما مدى الصلة بين الأدب والتصوف؟

سنحاول أن نجد إجابات عن هذه الأسئلة إن شاء الله.

محمد ابراهيم الجيوشي

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

رأي في بعض القواعد النحوية

مفاعل ومفاعيل

للأستاذ أحمد مختار عمر

المشهور بين الباحثين أن كل ما بدىء بميم زائدة من أسماء الفاعلين والمفعولين لا يصح جمعه جمع تكسير ، وإنما يجمع جمع مذكر سالما . أو جمع مؤنث سالما . ولا يستثنى شيء من ذلك . وقد نص الزمخشري على أن هذا النوع مما يستغنى فيه بالتصحيح عن التكسير ، وأيد ابن يعيش هذا الرأي واعتبر أن ما جاء من هذا النوع مكسرا من قبيل الشاذ الذي يحفظ ولا يقاس عليه[1]

ولكن سيبويه يفصل ، فيجيز في مفعل (بضم الميم وكسر العين) الذي يكون للمؤنث ولا تدخله الهاء أن يكسر ، وذلك نحو مطفل ومطافل ، ومشدن ومشادن ويمنع تكسير ما عدا ذلك[2] .

ومع ذلك نلاحظ على سيبويه أن عبارته ليست صريحة في المنع ، فهو يقول : « قالوا مكسور ومكاسير ، وملعون وملاعين ، ومشئوم ومشائيم ، ومسلوخة ومسالیخ .. فأما مجرى الكلام الأكثر فأن يجمع بالواو والنون ، والمؤنث بالتاء . وكذلك مفعل (بضم وفتح) ومفعل (بضم وكسر) . إلا أنهم قد قالوا منكر ومناكير ، ومفطر ومفاطير ، ومؤسر ومياسير » . فكلمة الأكثر تفيد أن جمع التكسير كثير لا قليل .

وهذا الذي اشتممته من كلام سيبويه ، كان حافزي إلى محاولة درس هذه القاعدة من جديد ، وتتبعها في كتب اللغة والنحو والأدب . وبعد جولة طويلة في عشرات من أمهات مصادرنا ، تبين لي أن هذا المنع لا مسوغ له ، ولا يستند إلى واقعنا اللغوي ؛ ودليلي على ذلك ما يأتي :

أولا : أنني وجدت من اللغويين من صرح بصحة التكسير ، ومن هؤلاء الفارابي (أبو إبراهيم إسحق بن إبراهيم صاحب ديوان الأدب . وقد توفي سنة ٣٥٠ هـ) فقد قال : « وإذا كانت الزيادة ميما مفتوحة فهو اسم الزمان والمكان والمصدر . هذا إذا كانت العين مفتوحة . . وإذا كانت العين مكسورة

---

(١) شرح المفصل لابن يعيش ٥ - ٦٢ .

(٢) الكتاب ٢ - ٢٠١

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مع فتح الميم فهو اسم المكان والزمان مما كان مستقبله على يفعل بكسر العين . وما كان بضم الميم وفتح العين فهو اسم المكان والزمان والمصدر والمفعول من أفعل يفعل . وإذا كسرت العين منه فهو اسم الفاعل من هذا الباب . . وإذا كانت الميم مكسورة والعين مفتوحة فهو ما يعتمل به وينقل [1] . . . وجمعها جميعا بالهاء كان أو بغير الهاء . على مفاعل [2] » .

وقد وجدت هذا الرأى كذلك عند الميداني صاحب « السامى فى الأسامى » إذ يقول : « وإذا كان أول حرف منه ميما زائدة جمع على وجه واحد سواء كانت الميم مفتوحة أو مضمومة أو مكسورة ... وكذلك القياس فيما رابعه حرف مد ولين نحو مملوك ومماليك ومفرود ومفاريد ... وكذلك إن كان مثقل العين نحو مخنث ومخانيث » [3] . فهذا صريح فى جواز هذا الجمع .

كذلك يؤخذ من كلام ابن سيدة فى مقدمة « المحكم » قياسية هذا الجمع إذ يقول : « لا يلزم إذا كان لفظ الجمع مفاعل أن يكون الواحد مفعلا (بفتح وكسر) ، بل قد يكون مفعلا (بفتح وكسر) ومفعلا (بفتح الميم والعين) ومفعلا (بضم وكسر) فى بعض المواضع » .

ويقول بعد أن عدد منهجه فيما تركه : « ومنه أنى لا أذكر تكسير المزيد من الثلاثى ولا تكسير بنات الأربعة ، ولا إمتل على بذكرى متائم فى جمع متأم ونحوه ، فإنما أذكر ذلك لأشعر أن مفعلا (بضم وكسر) فى قلة مفعال » [1] . ومفهوم هذا أن جمع متأم على متائم قياس .

ثانيا : أن هذا الجمع قد تردد كثيراً فى كلام اللغويين الثقات ، دون أن يكون مثاراً للنقد ، رغم كثرة ما ألف فى نقد اللغويين وتتبع زلاتهم ، ومن ذلك قول ابن قتيبة فى كتابه « أدب الكاتب » بعد أن ذكر بعض الكواكب ومنازلها « فهذه الكواكب ومنازل القمر مشاهير الكواكب » [2] .

ويقول الفارابى فى معجمه « ديوان الأدب » : « وإبل دقاق أى مهازيل » ويقول « ابن مناذر (بضم الميم) شاعر ، وبعض يفتح الميم منه فيقول مناذر يريد جمع منذر » ، ويقول : « وحفتهم الحاجة إذا كانوا محاويج » ويقول « الخذف بالحصى الرمى به بالأصابع ، وهو أحد مناكير قوم لوط » [3] . وقد استعمل

(١) يعنى به اسم الآلة .

(٢) ديوان الأدب الورقة السادسة .

(٣) السامى فى الأسامى . لوحة ٣ .

(١) مقدمة المحكم ص ٧ ، ١١ .

(٢) ص ٩٦ ، ٩٧ .

(٣) ديوان الأدب . ورقة ٢٥١ ، ٦٦ ، ٢٦٤

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

النير وزأبادى فى قاموسه كلمة « المشاهير »[1] واستعمل الزبيدى فى مستدركه كلمة المشاكل[2]

ثالث : أن هذا الجمع قد تردد فى كثير من الشواهد النثرية والشعرية ، ومن ذلك قوله تعالى : « وحرمنا عليه المراضع من قبل » ، وقول الشاعر :

قالت سليمى لا أحب الجعدين
ولا السباط إنهم مشائين

وقول الآخر :

ترى أنفا دغما قباحا كأنها
مقاديم أكيار ضخام الأرانب[3]

وقول الهذلى :

كأن مصاعيب غلب الرقا
ب فى دار صرم تلاقى مريحا[4]

وقول الفرزدق :

مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة
ولا ناعب إلا ببين غرابها[5]

وقول أبى ذؤيب :

وإن حديثا منك لو تبذلينه
جنى النحل فى ألبان عوذ مطافل

وقول الراجز :

ألا انهماها إنها مناهيم[1]

وغير ذلك .

رابعا : أننى رجعت إلى كثير من كتب اللغة لأحصى ما جمع من هذا النوع جمع تكسير ، فأحصيت ما يربو على الثمانين كلمة .

ولا أزعم أننى أحصيتها كلها ، كما لا أزعم أنها كل ما جمع من هذا النوع جمع تكسير ، وهذه هى الكلمات مرتبة ترتيبا هجائيا بحسب حرفها الأول :

همزة : مؤتمر (بضم وكسر ومعناه شهر المحرم) ومآمر ومآمير ـ مأسور ومآسير .

باء : مبسق (بكسر السين من أبقت الناقة وقع فى ضرعها اللبأ قبل النتاج) ومسابق ومباسيق ـ مبهلة (بكسر الهاء ، الناقة لا خطام عليها) ومباهيل .

تاء : متهم (بضم وكسر) ومتام ومتاهيم ـ متأم ومتائيم .

ثاء : مثلوج ومثاليج ـ مثقوب ومثاقيب .

جيم . مجالح (بكسر اللام ، الناقة تدر على الجوع) ومجاليح ـ مجهض (بكسر الهاء) ومجاهيض ـ مجسد (بفتح السين ، ما أشبع صبغه من الثياب) ومجاسد ـ مجرع (بكسر

---

(١) ١ ، ٢٢ .

(٢) تاج العروس ـ مادة شكل .

(٣) لسان العرب مادة تبن وكبر

(٤) ديوان الهذليين ١٣٠ .

(٤) كتاب سيبويه ١ ، ٤١٨ .

(١) ديوان الأدب ورقة ١٠٦ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الراء ، الناقة ليس فيها ما يروى) ومجاريع ـ مجهولة ومجاهيل ـ مجنون ومجانين .

حاء : محنق (بكسر النون ، وهو الضامر) ومحانيق ـ محدث (بكسر الدال ، الناقة دنا نتاجها) ومحاديث ـ محرم (بتشديد الراء وفتحها) ومحارم ومحاريم ـ محتاج ومحاويج .

خاء : (مخرط بكسر الراء ، الناقة تفقد لبنها) ومخارط ومخاريط .

دال : مدنية ومدان .

ذال : مذهب (بفتح الهاء) ومذاهب

راء : مرد (بكسر الراء وتشديد الدال ، الناقة شربت الماء فورمت) ومراد ـ مرء (الناقة استبان حملها) ومراء ـ مرسل بفتح (السين) ومراسيل . مرصع (بكسر الصاد ، النحلة لها قراخ) ومراصيع ـ مرجوع ومراجيع .

زاى : مزمور ومزامير .

سين : (مسند بفتح النون) ومسانيد ـ مسلوخة ومسالخ ـ مسنفة (بكسر النون ، متقدمة) ومسانيف .

شين : مشرق (بتشديد الراء وفتحها) ومشارق ـ مشئوم ومشائيم ـ مشدن (بكسر الدال ، الظبية شدن ولدها أى طلع قرنه) ومشادن ومشادين .

صاد : مصعب (بفتح العين) ومصاعب ومصاعيب .

ضاد : مضمون ومضامين .

طاء : مطفل ومطافل ومطافيل ـ مطرف (بفتح الراء ، رداء من حرير مربع) ومطارف .

عين : معضلة ومعاضيل ـ معجل (بكسر الجيم) ومعاجيل ـ معصر ومعاصر ومعاصير ـ معوز (بكسر الواو) ومعاوز .

غين : مغد (بكسر الغين وتشديد الدال) ومغاد ـ مغتلم ومغاليم .

فاء : مفرق (بكسر الراء) ومفارق ـ مفيق ومفاويق ـ مفطر ومفاطير .

قاف : مقعنسس ومقاعس ـ مقلوب ومقاليب ـ مقرب (بكسر الراء) ومقاريب ـ مقطوع ومقاطيع ـ مقيد ومقاييد ـ مقدم ومقدم (بكسر الدال) ومقاديم .

كاف : مكسور ومكاسير ـ مكمر (بكسر العين ، ولد الناقة إذا نبت فى سنامه الشحم) ومكاعير ـ مكبون (من صفات الفرس) ومكابين .

لام : ملعون وملاعين ـ ملقح (بكسر القاف) وملاقح ـ ملقوحة وملاقيح .

ميم : ملط (بكسر اللام ، الناقة ألقت جنينها) ومماليط ـ ملص (بكسر اللام)

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ومعاليص ـ معز (بكسر الغين ، الناقة تحلب لبنا خلطه دم) ومغاير ـ معجر (بكسر الجيم ، الشاة التى لا تستطيع النهوض) ومعاجر ـ علوك ومعاليك .

نون : منغر ومناغير ـ منهوم ومناهيم ـ منجد ومناجد ـ مغسوب ومناصيب ـ منزوح ومنازيح ـ منقية (سمينة) ومناق ـ منتن ومناتين ـ منجب ومناجبة ـ مندب ومنادبة ـ منكود ومناكيد ـ منكر (بفتح الكاف) ومناكير .

هاء : مهرع (بفتح الراء) ومهـــارع ـ مهذب (بتشديد الذال وفتحها) ومهاذيب ومهاذبة ـ مهزول ومهازيل .

واو : موقرة (بكسر القاف وفتحها) وموقر (بكسر القاف وفتحها) وموقرة جمعها مواقر ـ موس ومواس ومياس ومياميس .

ياء : ميسور ومياسير ـ ميمون وميامين ـ موسر ومياسير .

ولا يفوتنى فى هـذا المقام أن أسجل على النحاة تناقضهم مع أنفسهم بخصوص هذا الجمع ، فمع أنهم يمنعونه ـ كما سبق النقل عنهم ـ نجدهم عند حديثهم عن حذف بعض حروف المفرد التى تخل بالجمع ، لم يلتزموا ما قالوه من عدم جمع هـــذه الكلمات جمع تكسير ، وابن مالك نفسه يقول فى ألفيته :

والسين والتاء من كمستدع أزل
إذ بينا الجمع بقاهما مخل
والميم أول من سواه بالقا
والهمز والياء مثله إن سبقا

ويقول ابن عقيل فى شرح الألفية : إذا كان الخماسى مزيدا فيه حرف ، حذفت ذلك الحرف إن لم يكن حرف مد قبل الآخر ، فتقول فى فدوكس فداكس وفى مدحرج دحارج . ويقول تعقيبا على بيتى ابن مالك السابقين : مستدع تقول فى جمعه مداع ، فتحذف السين والتاء وتبقى الميم لأنها مصدرة ومجردة الدلالة على معنى . ويقول الخضرى : كلام المصنف يشمل ما كان رباعى الأصول زيد فيه حرف كدحرج أو حرفان كمتدحرج فيقال دحارج . ويقول : حرف اللين الأصلى كمختار ومنقاد لا يقلب بل يحذف . ويقال : مخاتر ومناقد . وفيه نظر ظاهر ، إذ القياس أن يقال : مخاير ومقايد .

وأظننا ـ الآن ـ بعد هذه الجولة الطويلة لا نجد حرجا فى استعمال كلمات مثل معاجم ومشاكل ومواضيع ومفاهيم ومضامين ومشاريع ومراسيم ومظاريف وغيرها ، مما شاع استعماله على ألسنة المتحررين من الكتاب ؟

أحمد مختار عمر
ماجستير فى فقه اللغة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

عبد القاهر الجرجاني وآراؤه في الشعر والشعراء

للأستاذ الدكتور أحمد أحمد بدوي

— ٣ —

ويرى عبد القاهر أن أبا تمام لم يوفق في استخدام كلمة (الأخدع) [١] في قوله :

يا دهر ، قوّم من أخدعيك ، فقد
أضججت هذا الأنام من خرقك

كما وفق الشاعر الحماسي في استخدامها ، عند ما قال :

تلفت نحو الحي حتى وجدتني
وجعت من الإصغاء ليتا [٢] وأخدعا

وكما وفق البحتري في استخدامها في قوله :

وإني وإن بلغتني شرف الغنى
وأعتقت من رق المطامع أخدعي

فإنك تجد الكلمة عند أبي تمام من الثقل على النفس ، ومن التنغيص والتكدير ، أضعاف ما تجد الكلمة عند الشاعرين من الروح والخفة ، والإيناس والبهجة [٣] .

بل إن الكلمة عنده قد تجعل في موضع دون آخر ، مثال ذلك أنك تنظر إلى لفظة (الجسر) في قوله :

لا يطمع المرء أن يجتاب لجته
بالقول ما لم يكن جسراً له العمل [١]

وقوله :

بصرت بالراحة الكبرى ، فلم ترها
تنال إلا على جسر من التعب

فترى لها في الثاني حسنا لا تراه في الأول [٢] .

وبرغم أن أبا تمام مولع بالصنعة ، وبالإسراف فيها ، وقد يدفعه ذلك إلى الغموض والتعقيد ، فإن عبد القاهر يعترف بما يأتي به من جيد هذه الصناعة ، كقوله :

وأنجدتم من بعد إتهام داركم
فيا دمع أنجدني على ساكني نجد [٣]

كما يثني على ما يقرضه أبو تمام من الشعر الجيد ؛ فيرى من الكناية النادرة قوله :

أبين ، فما يزرن سوى كريم
وحسبك أن يزرن أبا سعيد [٤]

* * *

(١) الأخدعان : عرقان في جانبي العنق .
(٢) الليت : صفحة العنق .
(٣) دلائل الإعجاز ص ٣٨ .

(١) يجتاب : يقطع . واللجة : معظم الماء .
(٢) دلائل الاعجاز ص ٦٢ .
(٣) أسرار البلاغة ص ١٠ :
(٤) دلائل الاعجاز ص ٢٤١ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وكان عبد القاهر معجباً بتشبيه ابن الرومى وحسن تعليله ، فعند ما يصف المصلوب قائلا :

كأن له فى الجو حبلا يبوعه
إذا ما انقضى حبل أتيح له حبل

يمانق أنفاس الرياح مودعا
وداع رحيل لا يحط له رحل

يرى فى هذا الشعر لونا من الدقة التى تعطى صورة المصلوب على وجهها الصحيح ، فاشتراطه أن يكون له بعد الحبل الذى ينتهى ذرعه حبل آخر يبوعه ، يستوفى الشبه ؛ لأنه إذا كان لا يزال يبوع حبلا لم يقبض باعه ، ولم يرسل يده (١) .

ومما وقف عنده وقفة إعجاب وتقدير قوله فى تفضيل النرجس على الورد :

خجلت خدود الورد من تفضيله
خجلا توردها عليه شاهد

لم يخجل الورد المورد لونه
إلا وناحله الفضيلة عائد (٢)

للنرجس الفضل المبين وإن أبى
آب ، وحاد عن الطريقة حائد

فصل القضية إن هذا قائد
زهر الرياض ، وأن هذا المارد

شتان بين اثنين : هذا موعد
بتسلب الدنيا ، وهذا راعد (١)

اطلب بعقلك فى الملاح سمية
أبداً ، فإنك لا محالة واجد

والورد إن فكرت فرد فى اسمه
ما فى الملاح له سمى واحد

هذى النجوم هى التى ربتهما
بحيا السحاب ، كما يربى الوالد

فانظر إلى الأختين من أدناهما
شبهاً بوالده ، فذاك الماجد

أين الخدود من العيون نفاسة
ورياسة ، لولا القياس الفاسد

ويشرح عبد القاهر جمال هذا النص ، فيقول : ترتيب الصنعة فى القطعة أنه عمل أولا على قلب طرفى التشبيه ؛ فشبه حمرة الورد بحمرة الخجل ، ثم تناسى ذلك ، وخدع عنه نفسه ، وحملها على أن تعتقد أنه خجل على الحقيقة ، ثم لما اطمأن ذلك فى قلبه ، واستحكمت صورته طلب لذلك الخجل علة ، فجعل علته أن فضل على النرجس ، ووضع فى منزلة ليس يرى نفسه أهلا لها ؛ فجعل يثوب من ذلك ، ويتخوف عيب العائب ، وغميزة المستهزئ ، ويجد ما يجد من مدح مدحة يظهر الكذب فيها ،

(١) أسرار البلاغة ص ١٦٤ .

(٢) عائد : مخالف للحق . وناحله : منسب إليه .

(١) أى أن النرجس المفضل عند العاشر يظهر فى أول الربيع ، فكأنه يعد بأن الأزهار والرياحين ستتلوه ؛ أما الورد المفضول فيظهر آخر الربيع فكأنه يتوعد الطبيعة بسأم بهجتها

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ويفرط حتى تصير كالهزء بمن قصد بها ، ثم زادته الفطنة الثاقبة ، والطبع المثمر فى سحر البيان ما رأيت من وضع حجاج فى شأن النرجس ، وجهة استحقاقه ، الفضل على الورد ؛ فجاء بحسن وإحسان لا تكاد تجد مثله إلا له (١) .

والجملة الأخيرة تدل على ما يحمله عبد القاهر لابن الرومى من الإكبار والتقدير .

* * *

ووجد صاحب الدلائل والأسرار فى شعر ابن المعتز معينا لا ينضب لما يريده من أمثلة للتشبيه . وابن المعتز مشهور بتشبيهاته فى الأدب العربى .

فمن التشبيهات التى أعجبت عبد القاهر عند ابن المعتز قوله :

وكأن البرق مصحف قار
فانطباقا مرة ، وانفتاحا

وإعجابه بهذا التشبيه لا يعود إلى أن المشبه به والمشبه مختلفان فى الجنس أشد الاختلاف فقط ، بل لأن حصل بإزاء الاختلاف اتفاق كأحسن ما يكون وأتمه ؛ فبمجموع الأمرين : شدة ائتلاف ، فى شدة اختلاف ، حلا وحسن ، وراق وفتن (٢) .

ويمجد التشبيه فى قوله يصف البنفسج :

ولا زوردية تزهو بزرقتها
بين الرياض على حمر اليواقيت
كأنها فوق قامات ضعفن بها
أوائل النار فى أطراف كبريت

غريبا عجيبا ؛ لأنه شبه نباتا غضا يرف ، وأوراقا رطبة ترى الماء منها يشف ، بلهب نار مستول عليه اليبس . ومبنى الطباع ، وموضوع الجبلة على أن الشئ إذا ظهر من مكان لم يعهد ظهوره منه ، وخرج من موضع ليس بمعدن له ، كانت صبابة النفوس به أكثر وكان بالشغف منها أجدر . ولو أنه شبه البنفسج ببعض النبات ، أو صادف له شبها فى شئ من الملونات ، لم تجد له هذه الغرابة ، ولم ينل من الحسن هذا الحظ (١) .

ولهذا البعد بين المشبه والمشبه به كان تشبيه البنفسج بالنار أعجب وأغرب من تشبيه النرجس فى قول ابن المعتز أيضا :

كأن عيون النرجس الغض حولها
مداهن در حشوهن عقيق (٢)

ويطول بى القول إن أوردت الأمثلة الكثيرة التى مثل بها عبد القاهر من شعر ابن المعتز فى باب التشبيه وحسن التعليل ، وغيرهما .

ولكنه يأخذ عليه أنه لا يحتاط فى تنقية عبارته ، فيرد فيها من الألفاظ ما ينبغى أن يحترز منه ؛ ويرى ذلك سبباً يلحق الضيم

(١) أسرار البلاغة ص ٢٤٧ / ٢٤٨ .
(٢) أسرار البلاغة ص ١٣٠ .

(١) المرجع السابق ص ١١٠ .
(٢) المرجع السابق نفسه

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بشعره . بل إنه يجعل ابن المعتز تلميذاً لأبى تمام ، ولا يراه من الشعراء المطبوعين (١) .

وإلى جانب تشبيهات ابن المعتز أورد كذلك من تشبيهات أبى فراس ، وأبى نواس ، وغيرهما من الشعراء .

٤ — وعبد القاهر لا يتعصب لشاعر قديم ، ولا يفضله على محدث لقدمه ، فهو يروى الشعراء الجاهليين والإسلاميين والمحدثين ، ويروى المشهورين والمغمورين ، فتراه يستشهد بشعر امرئ القيس وعلقمة وذى الرمة ، إلى جانب ابن لنكك وأبى الفتح البستى .

ولعله كان يرى هؤلاء الشعراء أساتذة تؤخذ قواعد البلاغة عنهم ، وربما كانت هذه النظرة ، برغم ذوقه المرهف ، سبباً فى إعجابه بشعر لا يصل إلى أن يرضى عنه ، فضلا عن أن يعجب به ؛ وخذ لذلك مثلا موافقته على استحسانهم قول الخليل فى انقباض كف البخيل :

كفاك لم تخلقا للنـــدى
ولم يك بخلهما بدعة
فكف عن الخير مقبوضة
كما نقصت مائة سبعة
وكف ثلاثة آلافهـــا
وتسع مثيها لها منعة

فهذا النظم الذى هو أشبه شىء بالألغاز لا يعد من الشعر فى شىء ، فضلا عن أن يكون شعرا جيدا ، ولن يغنى عنه ما أطال به عبد القاهر فى شرحه ، وبيان سر جماله (١) .

وعبد القاهر يرى أن الشعراء يأخذ بعضهم من بعض ، فمنه أخذ ظاهر ، كما نرى فى قول البحترى :

أترجو كليب أن يجىء حديثها
بخير ، وقد أعيا كليبا قديمها ؟!

فقد أخذه من قول الفرزدق :

أترجو ربيع أن تجىء صغارها
بخير ، وقد أعيا ربيعا كبارها (٢)

ومنه خفى كقول البحترى :

ولن ينقل الحساد مجدك بعدما
تمكن رضوى ، واطمأن متالع

وقول أبى تمام :

ولقد جهدتم أن تزيلوا عـــزه
فإذا أبان قدرسا وبلملم

فقد احتذى كل منهما على قول الفرزدق :

فادفع بكفك إن أردت بناءنا
ثهلان ذا الهضبات ، هل يتحلحل (٣)

ويرى الآخذ قسمين : قسم أنت ترى أحد الشاعرين فيه قد أتى بالمعنى غفلا ساذجا ، وترى الآخر قد أخرجه فى صورة تروق

(١) أسرار البلاغة ص ٢٦٢ .

(١) المرجع السابق ص ١٣٣ .
(٢) دلائل الاعجاز ص ٣٦١ .
(٣) المرجع السابق ص ٣٦٢ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وتعجب ؛ وقسم أنت ترى كل واحد من الشاعرين قد صنع فى المعنى وصور ، فمن القسم الأول الذى يكون المعنى فى أحد البيتين غفلا ، وفى الآخر مصورا مصنوعا ؛ ويكون ذلك إما لأن متأخرا قصر عن متقدم ، وإما لأن هدى متأخر لشىء لم يهتد إليه المتقدم .

ومثال ذلك قول المتنبى :

بنس الليالى ، سهرت من طربى
شوقا إلى من يبيت يرقدها

مع قول البحترى :

ليل يصادفنى ومرهفة الحشا
ضدين : أسهره لها ، وتنامه (١)

وذلك لأن البحترى لم يزد على أن تحدث عن نوم حبيبته وسهره ؛ فى حين أن المتنبى أبدى عجبه وسخطه على تلك الليالى التى يبيت فيها أرقا ، شوقا إلى حبيبة غافية .

ومن النوع الثانى الذى ترى فيه كل واحد من البيتين صنعة وتصويراً وأستاذية على على الجملة - قول رجل من الخوارج أتى به الحجاج فى جماعة من أصحاب قطرى ، فقتلهم ومكن عليه ليد كانت عنده وعاد إلى قطرى فقال له قطرى : عاود قتال عدو الله الحجاج ، فأبى ، وقال :

أأقاتل الحجاج عن سلطانه
بيد تقر بأنها مولاته

ماذا أقول إذا وقفت إزاءه
فى الصف واحتجت له فعلاته ؟

وتحدث الأقوام أن صنائعا
غرست لدى ، فخنطلت نخلاته

مع قول أبى تمام :

أسربل هجر القول من لو هجوته
إذاً لهجانى عنه معروفه عندى (١)

فكلا الشاعرين قد أبدع فى عرض معناه .

ولا يرى عبد القاهر السرقة فيما اشترك الناس فى معرفته ، وكان مستقراً فى العقول والعادات ، وإنما تكون السرقة فيما ينتهى إليه المتكلم بنظر وتدبر ، ويصل إليه بطلب واجتهاد .

ولم يعر عبد القاهر السرقة والأخذ كبير اهتمام ، اللهم إلا على أنها لون من ألوان اشتراك الشعراء فى المعنى ، وسبب يمهد للموازنة بين المعانى ، ويرى الفرق فى الصور التى يتناول بها الشعراء معنى واحداً .

وكانت دراسة لها وسيلة لدراسة ألوان المعانى الشعرية ، وأصول هذه المعانى (٢) ؟

دكتور محمد أحمد بدوى
أستاذ بكلية دار العلوم

(١) دلائل الاعجاز ص ٣٧٤ .

(١) المرجع السابق ص ٣٨٣ .
(٢) عبد القاهر الجرجانى ص ٣٧٣ - ٣٧٨ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الدّعـــوة الزّاحفـــة

للأستاذ محمد محمد خليفه

اختلست الدعوة خطاها بين دروب مكة إلى مضاجع الأرقاء والفقـــراء فمانقتها أحلامهم حين بدأت فكرة لها إشراقة الفجر ، ثم صارت عقيدة لها قوة الاستهانة بالوثنيين فى هذا الوجود فى سبيل الإيمان برب الوجود .

وتحسست الدعـــوة كذلك سبيلها إلى بعض السادة ممن رأوا فى الوثنية الصماء مهانة لإنسانيتهم الرشيدة ، فلما همست أصاخوا إلى همساتها وهى تنسرب بين قلوبهم فيتلقاها الوعى الواثق مرجعا همسها : لا إله إلا الله محمد رسول الله .

وعاشت الدعوة أول ما عاشت فى جو الوثنية الخانق تخطف أنفاسها التى تعيش بها وهى ماضية فى بناء النفوس وفى ملئها باليقين الذى يخلق فيها قوة قادرة على مجابهة الكثرة العاتية حول الأصنام تعبىء قواها للنيل ممن يسفهون الأصنام .

كذلك عاشت الدعوة حتى أمر الله نبيه أن يصدع بها وأن ينذر الناس ، فعلا جبل أبى قبيس - وليس للرهبة إلى نفسه المدرجة باليقين من سبيل - فصاح ورجعت الأصداء صيحته وهرع السادة والعبيد جميعاً إلى صوت النذير ، فلما اكتملت الحشود خطب وأنذر .

ومن هنا بدأت الدعوة حياتها المكافحة فثبتت للعواصف الثائرة حينا ، وللرمضاء الحارقة حينا ، وللضرب والشج أحياناً ، بل ثبتت للقتل فاستشهد فى سبيلها الرجال بل النساء ، وكان للنساء فخرهن أن كانت سمية أم عمار بن ياسر أول شهيدة فى الإسلام .

ولبثت الدعوة فى مكة تصارع أمواج البغى والعدوان أهوالا وأهوالا حتى أذن الله لها أن تزحف إلى يثرب لتتخذها معقلا ، ثم لتبدأ منها زحفها إلى الدنيا ، وكانت بيعة العقبة بمثابة الدعامة الأولى فى المعقل اليثربى كما كانت مفتاح الهجرة التى غيرت وجه التاريخ فهاجرت الدعوة من القيود التى ضربتها حولها الوثنية ، وانسلخت عن الدم الذى ضرجت به ، وفارقت استضعاف أعدائها لها إلى رحاب يثرب الفسيح وإلى صفو الأمن وإلى السموخ الذى ذلت له كبرياء

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

كسرى وجلجلت فى إيوانه صيحة الحق : الله أكبر الله أكبر ثم دان الفرس بالإسلام بل كانوا من أعلام علماء الإسلام ...

ولم تقنع الدعوة بذلك النجاح فتركن حينا إلى الدعة ولكنها مضت فى سبيلها لا يصدها جلال القياصرة ولا تردها رهبة جيوشهم التى روعت الزمن لأن القوة التى تنصر دعوة الله لن يخذلها الله ولن يعلو جاهها جاه .

وأمام جيوش الدعوة لزاحفه طارت قلوب الروم فى بلاد الشام بعد جولة وجولة كان فيها للحق صولة أى صـــولة ، ومكن الله للإسلام الاستقرار فى بلاد الشام بعد فتحها .

وتقدمت الدعوة فى أربعة آلاف مقاتل بل أربعة آلاف داعية إلى مصر لقاء الرومان الذين كانوا يحكمونها ولكن أصداء المعارك الماضية كلها وقعقعة سلاحها كانت ما تزال ترن فى قلوب الرومانيين فى مصر فاعتقدوا حين زحفت الجيوش الإسلامية إلى مصر أن هؤلاء ليسوا أربعة آلاف مقاتل فهم طبيعة المقاتلين وكرهم أو فرهم ولكنهم أربعة آلاف جائع قذفتهم الصحراء المجدبة على هذه البلاد ليلتهموها ومن ثم لم يجد الرومان بداً من أن يطلبوا الحياة لأنفسهم وراء الأسوار والحصون وأعمل العرب حيلتهم لاستدراجهم من الحصون ولم تلبث المعركة غير قليل حتى تمزق الرومان كل ممزق ولقيت الدعوة فى مصر النفوس الخصيبة ولم تجد من الاستقرار فى بلد ما وجدت فى مصر ثم تقدمت الدعوة بعد حين إلى شمالى إفريقية فانسالت عبر الصحراء حتى بلغت المحيط ، ووقف عقبة بن نافع قائد الجيوش الإسلامية على شاطىء المحيط يلقى بصره فوق أمواجه العاتية الصاخبة ثم يهتف : والله يارب لولا هذا البحر لمضيت مجاهداً فى سبيلك وكانت الدعوة تؤذن حيث تكون :

الله أكبر الله أكبر .

وبعد مائة عام أو يزيد قليلا من عبر الدعوة عبرت مضيق طارق إلى أوربا حيث أقامت فى الأندلس ثمانية قرون لم تترك فيها شبراً من الأرض لم تمسه جباه المصلين ، وإن آلاف المساجد التى أقامها المسلمون هنالك أدت رسالة المسجد فكانت مدارس لدعوة الله وتحفيظ القرآن ولغته وعلومه كما كانت محاريب للصلاة وبهذه وتلك حققت تلك المساجد ما تريده دعوة الله .

ثم طوردت الدعوة بعد الثمانية القرون من هذه البلاد فلم تستطع النفوس التى أضعفها الترف أن تضمن لها هنالك البقاء أو الحياة التى ضمنتها لها النفوس الصابرة المؤمنة التى فتحت تلك البلاد والتى مهدت للدعوة الحياة الصالحة الهادية ...

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ولكن الله عوض الدعوة الخير فى غير الأندلس حيث انفتحت أمامها آفاق وآفاق التقت مع البلاد السابقة فولت وجوهها معها شطر المسجد الحرام .

أيها المسلمون :

لقد آمن بالدعوة أول من آمن رجل وامرأة وغلام ثم زادوا قليلا ، ولكن هذه القلة كان لها من قوة الإيمان والاحتمال والتأثير ما جعلها تندفع بعد فتخلق القوى المحركة التى تصنع الكثير وتحيى الكثير ، فكانت كقوة الماء المندفع من الشلالات ، فتخلق القوى الكهربية الجبارة ، ونحن الآن مئات من الملايين ولكننا الكثرة الراكدة التى لم تعد تحرك الدنيا وتصنعها بل يستغلها سواها ويصنع منها الخير الذى يريده لنفسه .

إن الدعوة التى عاشت بمعانيها فى عشرات النفوس ومئاتها وامتدت فى الآلاف خلقت من كل أولئك القوة الغازية تعيش الآن فى مئات الملايين ألفاظا تجرى على الألسنة ماتت فيها المفاهيم والدلالات وكأنها لم تحمل تلك المعانى التى حملتها إلى المسلمين الأولين وحق لهذه المئات من الملايين الإسلامية التى تعيش الدعوة بينها غريبة أن تغزى وتستضعف وتستذل .

أيها المسلمون :

إن الأخوة فى الله أعظم ما يعتمد عليه نجاح الدعوة ، وقد قضت الأهواء والأنانية وحب السلطان ودسائس الاستعمار على تلك الأخوة فأصبحنا فى دنيا أشبه بتقطع الغنم منا بالمسلمين يجزر منا كل يوم شعب وتسلخ عنا فى كل حين بلاد .

لقد فقدنا كياننا كأمة واحدة كان لها بأسها حين كانت تستغيث المرأة فى عمورية فيلبيها المعتصم بجيشه الجرار ليثأر لكرامة العربية ممن جرحوا العزة العربية .

فما أحوجنا اليوم إلى أن نعود إلى دعوة الحق نتفهم معانيها ومراميها ثم نسلم أرواحنا إلى تلك المعانى والمرامى لنتفاعل معها لعلنا نؤمن بها بعد الإيمان الصانع لا المستصنع السالم لا المستسلم ، الإيمان الذى يجعل من مئات ملايين المسلمين قوة داعية إلى الله هادية إلى الحق كقوة المئات التى صنعت المعجزات ومزقت قوى الفرس والروم

إننا يوم نؤمن بهذه الدعوة ونعيش فيها ولها ستجد فينا القوة المندفعة فى العالم لتقوده كله إلى قبلة واحدة يسلم فيها الجميع الوجوه إلى رب الناس ملك الناس .

فمتى نؤمن لنقود الدعوة الزاحفة ؟

محمد محمد حليفة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

حياة سلمان الفارسي وإسلامه

للأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

— ٢ —

كانت هجرة الرسول إلى المدينة خيراً وبركة على الأوس والخزرج فقد أصلح الله بالنبي بينهم وأزال العداوة والبغضاء التي ظل اليهود يذكونها بدسائسهم ليستغلوا عداء أبناء العمومة في مصالحهم الخاصة.

وبينما يعيش سلمان في أحد جوانب المدينة يقوم على خدمة مولاه، إذ ارتجت جنبات المدينة واهتزت أركانها بقدوم الرسول وصاحبه وباحتفاء الأنصار بهما فقد صار قدومهما حديث المدينة أوسها وخزرجها، يهودها ومشركيها.

وذات يوم وسلمان يقوم لسيده بعمل في رأس نخلة إذ سمع سيده الجالس تحته وقد أقبل عليه ابن عم له ووقف عليه قائلا يا فلان (قاتل الله بني قيلة [1] لقد مررت بهم فوجدتهم مجتمعين بقباء على رجل قدم عليهم من مكة ويزعم أنه نبي).

فلما سمع سلمان هذا وهو فوق النخلة أخذته رعشة شديدة وأحس النخلة ترتجف به حتى كاد يسقط من فوقها، فنزل سريعاً يسأل ابن عم سيده وجعل يقول له ما هذا الخبر؟.

ماذا تقول؟، فغضب منه سيده ولكمه قائلا له: مالك ولهذا أقبل على عملك ... فليس هذا من شأنك، فعاد سلمان إلى عمله وقد انصرف كل تفكيره إلى ما سمع، حتى إذا كان المساء أخذ سلمان شيئاً مما جمع لنفسه وذهب إلى قباء حيث كان الرسول عليه الصلاة والسلام عند أصحابه، فلما دخل حيا الرسول وقال: إنه بلغني أنك رجل صالح ومعك أصحاب ذو حاجة، وهذا شيء كان عندي للصدقة وقد رأيتكم أحق به من غيركم فأتيتكم به، ثم وضعه بين يدي الرسول، فكف الرسول يده عنه وقال لأصحابه: كلوا، فأكلوا.

فلما رأى سلمان ما فعل محمد عليه السلام، من إمساكه الصدقة وعدم مشاركته أصحابه رغم ما كان عليه الرسول من حاجة، ولا سيما وقد ترك ماله وأهله في مكة. قال في نفسه: هذه واحدة.

وترك مجلس الرسول يفكر فيما رأى من محمد العظيم، فمال إليه وإلى من يلتفون حوله، وأحب أن يكون منهم، ولكن أنى له هذا وهو عبد رقيق لا يملك من أمر نفسه

(١) أصل الأوس والخزرج.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

قليلا ولا كثيراً وسيده قد يغضب عليه إن علم أنه مال مع محمد ويقسو فى معاملته .

ليته حر يتمتع بالحرية التى تخوله هذا المقام الرفيع ، بعيداً عن عنت سيده وفظاظته واستبداده به وقسوته عليه .

وبعد أيام جمع شيئاً من زاد وذهب به مرة أخرى إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلما دخل إلى مجلس الرسول ألقى السلام ، ثم قال بعد أن وضع المال بين يدى الرسول ، إنى رأيتك لا تأكل الصدقة ، فأحببت أن أهديك هدية تكريما لك ، فمد الرسول يده وأكل منها ودعا أصحابه فأكلوا معه . عند ذلك امتلأت نفس سلمان غبطة وسروراً وقال : هذه ثانية ، وعاد من حيث أتى يعمل فيما يكلف به .

ومرة ثالثة أتى الرسول عليه السلام ، فوجده قد تبع جنازة فى بقيع الغرقد وحوله أصحابه فسلم عليه ، ثم استدار خلف الرسول فلم يستطع رؤية خاتم النبوة الذى وصفه له الكاهن من قبل : فلما لحظ الرسول عمله هذا أدرك أنه يريد أن يرى شيئاً ربما وصف له ، فألقى رداءه عن ظهره الشريف ، فانكشف خاتم النبوة ، فلما رآه سلمان انكب عليه وقبله ثم بكى ، فقال له الرسول : تحول إلى ياسلمان ، ثم أجلسه بين يديه وسأله عما يريد فأخبره سلمان بقصته من يوم أن ترك بلده مفارقا أهله ، وقد استهوته عقيدة المسيحية ، وما كان بينه وبين الكهان الذين عاش معهم ، فامتلأت نفس النبي إعجاباً به وإكباراً له وذلك فى سبيل الوصول إلى الحقيقة كاملة .

* * *

وفى هذه المرة تحقق سلمان من محمد وعرف أنه طلبته وهو الرجل الذى وصف له وسعى للقائه وأنه هو النبي المرسل الذى حدثه عنه الراهب ، فمد سلمان يده ليبايع الرسول ويدخل فى دين الله ، وامتلأ قلبه بالإيمان وأشربت نفسه حب رسول الله ، فأخذ يتردد على الرسول يسمع منه ويروى نفسه العطشى من تعاليم الإسلام .

ولم يمض وقت طويل على إسلام سلمان حتى اشتبك المسلمون مع الكفار فى معارك دامية وصراع جبار ، ولم يستطع سلمان أن يشارك المعركتين الأولتين إذ كان لا يزال مملوكا يرسف فى قيد العبودية ويتجرع آلامها ويحتسى مرارتها فى خدمة ذلك اليهودى .

كان سلمان يريد ألا يفوته شيء من شرف القتال ، تشكا إلى رسول الله شوقه هذا ، وألم نفسه لهذا الحرمان القاتل ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : كاتب ياسلمان عن نفسك فعاد سلمان إلى سيده وما زال يحتال حتى كاتبه على أن يغرس له ثلثمائة نخلة ، ثم يحفر أرضها

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ويزرعها ويتعهدها حتى تخضر وعلى أربعين أوقية من ذهب .

إنه ثمن باهظ لا شك ومتى كان ثمن الحرية رخيصا ، وأنى لعبد لا يملك من أمر نفسه شيئا ، القدرة على كل هذا ، ولكن كل ذلك هان على سلمان فى سبيل الدين الجديد الذى أضاءت له جوانب قلبه ، وتحركت من أجله عواطفه وحسه ، فأخذ يعمل جاهدا فى سبيل استكمال حريته .

ولما أخبر رسول الله بما كان بين سلمان وبين سيده وكان جالسا بين أصحابه ، نظر إليهم وقال لهم عليه السلام : « أعينوا أخاكم بالنخل » ، فتسابق الصحابة إلى جمع النخل ومساعدة سلمان ، حتى اجتمع له العدد المطلوب ، فقال له الرسول اذهب يا سلمان واحفر لها الأرض ولا تضع واحدة منها حتى أضعها بيدى ، فذهب سلمان هو وبعض الصحابة وأعدوا الحفرات ، عند ذلك حضر الرسول وزرع النخل بيده ، فلم تتخلف واحدة عن الظهور . قال سلمان : (كنت آته بالنخلة فيضعها ويسوى عليها ترابا ، فانصرف ، والذى بعثه بالحق ما ماتت منها واحدة) .

بقى الشق الثانى من مكاتبة سلمان ، وإنه لأعز الشقين وأكثرهما مشقة ، وبينما الرسول جالس ذات يوم حضر أحد أصحابه وقدم إليه قطعة من الذهب ، كان قد وجدها فى منجم ، فقال الرسول لأحد الحاضرين : ادع سلمان المسكين المكاتب ، فلما حضر قدم له قطعة المعدن ، وقال له : خذ هذه فأد ما عليك ، فأخذها واستطاع أن يجمع إليها شيئاً آخر حتى أكمل الأربعين أوقية ، ثم دفعها إلى سيده ، الذى أخذها فرحاً مسروراً وفك أسره ، وبذلك أصبح سلمان حرا ، واندمج فى صفوف المسلمين وصار من كبار الصحابة المقربين .

* * *

استقر المقام برسول الله والذين آمنوا معه بالمدينة وتوافد المهاجرون عليها ، فعز على المشركين أن تجد الدعوة الإسلامية مكانا حصينا تأوى إليه ، وتخرج منه شعاعها ، فاشتبكوا مع المسلمين فى معارك حامية يذكرها التاريخ الذى سجل صفحات مشرقة خالدة للمسلمين ، ولم يكن المشركون وحدهم هم الذين يناوئون الإسلام ، بل كان هناك اليهود الذين يحقدون على النبى ودعوته ويعملون على استئصالها .

فى السنة الخامسة للهجرة ذهب وفد من بنى النضير وبنى وائل ليعقدوا مع قريش محالفة ضد محمد ، وقد رحبت قريش بالفكرة وفرحت أشد الفرح ، أن تجد من يعينها على حرب محمد وأصحابه ، فاستجابت لدعوتهم وانضم إلى قريش غطفان وفزارة وغيرهما من قبائل العرب ، وخرجت قريش وحلفاؤها

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى جيش كبير متجهين إلى مدينة الرسول آملين أن يستطيعوا دكها على من فيها وأحاطوا بها من كل جانب وفى ذلك نزل قول الله تعالى : « إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا . هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا ... » .

ولما علم النبي بذلك جمع أصحابه يستشيرهم فيما يعملون ، ثم أقنعهم أن الأفضل هو انتظار العدو وراء حصون المدينة لأنها محصنة من كل جانب بالسدود والقلاع والبساتين ، وليس على المسلمين إلا أن يحموها من الجانب الشمالى لأنه ضعيف التحصين .

عند ذلك انبرى سلمان مشيرا على النبي بأن يحفر من هذه الجهة الضعيفة خندقا كالذى رآه فى بلاده واستعرض محمد وأصحابه الفكرة وناقشوها وعندما اقتنع المسلمون بوجاهتها وقوة نفعها ، شمروا عن سواعدهم فى حفر الخندق ، وشارك النبي فى حفره مع بقية المسلمين .

وكان السائر بالقرب من المدينة تصافح أذنيه أصوات موسيقية تنبعث عن لحن واحد يبعث الخشية والروعة فى النفوس وهى تقول :

اللهم لولا أنت ما اهتدينا
ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا
وثبت الأقدام إن لاقينا
والمشركون قد بغوا علينا
وإن أرادوا فتنة أبينا

فإذا دنا من مصدر الصوت شاهد المسلمين يحفرون دائرة حول المدينة ، كل يؤدى عمله حتى الرسول يشارك فى الحفر ، فإذا سكت المسلمون سمعته عليه السلام يقول مرتجزاً :

باسم الله وبه بدينا
ولو عبدنا غيره شقينا
يا حبذا ربا وحسب دينا

واستمر المسلمون فى عملهم هذا حتى أتموا حفر الخندق ووقفوا خلفه على استعداد لصد أعدائهم بينما فى مكان آخر ليس بالقريب من المدينة وليس بالبعيد ، أقيم معسكر ضخم يضم المشركين وحلفاءهم الذين أخجل فرسانهم طول الانتظار فتهيئوا للقتال ، وخرجوا فى كوكبة مندفعة إلى المدينة كالسيل الجارف ، ولكن سرعان ما توقفوا أمام الخندق وقد جمد الدم فى عروقهم ، وهالهم ما رأوا فصاحوا مندهشين : والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها .

• • •

حدث سلمان قال :

كنت أضرب فى ناحية من الخندق فغلظت على صخرة عالجت كسرها مرارا فلم أستطع

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قريبا منى فلما رآنى أضرب ورأى شدة المكان على ، نزل فأخذ المعول من يدى ، وضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة ، ثم ضربة أخرى فلمعت تحته برقة أخرى ، ثم ضرب به الثالثة فلمعت برقة أخرى .

قال سلمان : فلما رأيت ذلك ، قلت بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، ما هذا الذى رأيت لمع تحت المعول وأنت تضرب .

قال رسول الله أوقد رأيت ذلك ياسلمان ؟.

قلت نعم .

فقال عليه السلام : ضربت ضربتى الأولى فبرق الذى رأيت أضاءت لى منها قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب ، فأخبرنى جبريل أن أمتى ظاهرة عليها ، ثم ضربت ضربتى الثانية فبرق الذى رأيت ، أضاءت لى منها قصور الحمر من أرض الروم كأنها أنياب الكلاب ، فأخبرنى جبريل أن أمتى ظاهرة عليها ، قال ثم ضربت ضربتى الثالثة فبرق منها الذى رأيت فأضاءت لى منها قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب فأخبرنى جبريل أن أمتى ظاهرة عليها .

فأبشروا ببلوغهم النصر ، وأبشروا ببلوغهم النصر ، وأبشروا ببلوغهم النصر .

فلما سمع المسلمون هذا الكلام استبشروا بنصر الله لهم .

وقد عاش سلمان حتى رأى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحقق ، فقد من الله على المسلمين وفتح عليهم مشارق الأرض ومغاربها ودخلت جيوشهم معاقل الفرس غازية منتصرة رافعة راية الإسلام ناشرة لواء الحرية والعدل .

فزلزلت عرش كسرى وبددت شمل جيوشه وأصبحت بلادهم تحت حكم المسلمين فنشروا فيها العدل والطمأنينة ، فاغتبط أهلها ورحبوا بالإسلام دين المساواة ، ودخل كثير منهم فى الإسلام .

رأى سلمان كل هذا سرت به نفسه ، وخاصته عندما بعثه الخليفة أميرا على المدائن فعاد إلى موطنه الأصلى ينشر بين قومه تعاليم الدين الذى ظل شطرا طويلا من حياته يبحث عنه .

وسار بين أهل المدائن سيرة حسنة مكنت حبه من قلوبهم ، فقد كان يتصدق بعطائه الذى كان يناله من الدولة ، وينسج الخوص ليأكل من عمله به وظل بها حتى مات سنة ٣٤ هـ .

لقد كان سلمان علما من أعلام الإسلام صحيح الرأى ، عالما بالشرائع قرأ الكتاب ووعاه وسمع الحديث ورواه ، وقد روى له البخارى ومسلم ستين حديثا رضى الله عنه وأرضاه .

عبد الموجود عبد الحافظ

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وقفة مع رمضان

للأستاذ عبد الرحيم فوده

يقترن شهر رمضان بذكريات لا يمل الحديث عنها ، وله فى تاريخ العرب والمسلمين شأن لا يرقى إليه شأن ، ولا شك أن أعظم تلك الذكريات ذكرى نزول القرآن فيه ، وفى ليلة مباركة من لياليه ، كما يفهم من قوله تعالى : « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » ، وقوله سبحانه : « إنا أنزلناه فى ليلة مباركة إنا كنا منذرين . فيها يفرق كل أمر حكيم أمراً من عندنا إنا كنا مرسلين . رحمة من ربك إنه هو السميع العليم » . والمتأمل فى وصف هذه الليلة بأنها مباركة كثيرة الخير وبأنها يفرق فيها كل أمر محكم فلا يلتبس به غيره ، وبأنها كانت زمن الرحمة المرسلة من الله يدرك أنها هى الليلة التى وصفها الله بأنها ليلة القدر ، وذكر أنها خير من ألف شهر ، وأخبر أن الملائكة والروح تتنزل فيها من أجل كل أمر ، ثم وصفها بأنها سلام ، وأنها إلى مطلع الفجر ، وأى شىء فى تاريخ العرب والمسلمين يعدل هذا القرآن الذى رفعهم إلى السماء ومكن لهم فى الأرض وجعلهم فى فترة لا يحسب لها حساب فى عمر الأمم « خير أمة أخرجت للناس » ، بل أى شىء فى تاريخ الوجود كله يعدل هذه المعجزة التى تحدى بها الله الإنس والجن ، وجعلها باقية على الزمن جديدة على الأيام يطالع فيها الناس جمال صنع الله ، وجلال قدرته ، ومنهج شريعته ، ويرون فيها دليلهم إلى الخير وسبيلهم إلى الفلاح .

ثم إن القرآن مع أنه للناس جميعاً كما يفهم من قوله تعالى : « يأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين » هو الذى ضمن للغة العرب الخلود وجعلها اللغة الرسمية التى يتخاطب بها المسلمون ، وزينها بالعلوم التى نبغت على شواطئه وتعهدها المسلمون من كل لون وجنس بالرعاية والعناية والتقديس .

وقد وصف الله القرآن بأنه نور حيث يقول سبحانه « وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا » ، ووصف الرسول الذى تلقاه بأنه نور فقال تعالى « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين » ، وقال جل شأنه

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

« يأيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً » وقد كان إشراق هذا النور على قلب محمد صلى الله عليه وسلم فى هذا الشهر . فكان وكان نور الله فيه كما يقول تعالى « مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء » .

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أن صحف إبراهيم أنزلت فى أول ليلة من رمضان ، وأن التوراة أنزلت لست مضين منه ، وأن الإنجيل أنزل لثلاث عشرة خلت منه ، وأن القرآن أنزله الله لأربع وعشرين مضت منه ، ومن ذلك ندرك مكانة هذا الشهر عند الله . وما ينبغى أن تكون عليه مكانته عند الناس ، وقد بين الله الليلة التى أنزل فيها القرآن ، فكانت أفضل ليلة فى هذا الشهر ، لأنها ليلة القدر ، ومن ثم كان الكتاب الذى أنزل فيها كما يقول الله « وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه » ، وكان الدين الذى نبع منه كما يقول الله « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا » .

ومن ذلك كذلك يتبين لماذا اختص الله هذا الشهر بالصيام ، ويمكن ملاحظة الصلة الوثيقة بين هذا الشهر وهو شهر رمضان وبين الكتاب الذى أنزل فيه وهو القرآن إذا تأملنا قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » فإن الثمرة المرجوة من الصيام هى التقوى ، والتقوى هى سبيل الهداية والاستمتاع بهذا الكتاب كما يقول الله « ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين » فإذا ذكرنا مع ذلك أن التقوى خير زاد كما يقول الله « وتزودوا فإن خير الزاد التقوى » وخير لباس كما يقول الله تعالى « ولباس التقوى ذلك خير » وخير مقياس تعرف به أقدار الناس كما يقول سبحانه « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ثم هى إلى ذلك مفتاح الخير والبركة كما يفهم من قوله تعالى « ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض » إذا ذكرنا ذلك وما إليه مما جاءت به السنة المطهرة من بيان فضل صيام رمضان عرفنا أى قدر يتمتع به هذا الشهر ، وقد روى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامه) يقول الصيام أى رب منعته الطعام والشهوة فشفعنى فيه ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعنى فيه

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

قال : فيشفعان . وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أتاكم رمضان، شهر مبارك فرض الله عز وجل عليكم صيامه ، تفتح فيه أبواب السماء ، وتغلق فيه أبواب الجحيم . وتغل فيه مردة الشياطين ، فيه ليلة خير من ألف شهر. من حرم خيرها فقد حرم) ، كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم (أن الصوم جنة وأن دعوة الصائم مستجابة ، وأن من صام رمضان إيمانا واحتسابا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وأن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك) .

وقد اقترن اسم هذا الشهر في تاريخ المسلمين بكثير من المواقف المشرفة والانتصارات الحاسمة ، ففيه كانت غزوة بدر . وفتح مكة . وغزوة تبوك ، وفيه كانت انتصارات المسلمين على القوط في الأندلس وعلى التتار في عين جالوت ، وعلى الفرنسيين في معركة المنصورة وهكذا نرى من آيات الله . وأحاديث رسوله ووقائع التاريخ الإسلامي ما يزيد نفوسنا إيمانا بيمن هذا الشهر وقيمته العظيمة بين الشهور والأيام ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يستقبل هلاله بهذا الدعاء الطيب الحبيب : « اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام ربي وربك الله هلال رشد وخير » فكان ما كان مما ذكرناه وأشرنا إليه. واستجاب الله لدعائه صلى الله عليه وسلم . فجعله شهر يمن ورشد وخير وبركة على المسلمين ، وقد اقترن مقدمه في هذا العام بهذا المؤتمر الموفق الميمون ، إذ اجتمع رؤساء الأمة العربية وملوكها في القاهرة العامرة ، وأجمعوا أمرهم على عمل حاسم يصد عدوان أعداء العروبة والإسلام والإنسانية والمسلمين، ولا شك أن جهودهم ستكلل بالنجاح، وأن حقهم سيدفع باطل الصهيونية ، ومن يمدونها بالعون . أو يمدون لها في الغي .

ولا شك أن واجب المسلمين في كل بلد يعيش فيه مسلم أن يقفوا مع الأمة العربية في كفاحها ضد أعدائهم وأعداء دينهم ، وأن يذكروا - إذا كانوا مسلمين حقا - أن الولاية لا تكون إلا لله ولرسوله وللمؤمنين . كما ينطق بذلك القرآن الكريم حيث يقول الله فيه: « إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا » وأن يذكروا - مع ذلك - أن الله وعدهم بالنصر ، والأمن ، والخلافة في الأرض . والتمكين لدينهم الذي ارتضاه لهم حيث يقول سبحانه : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا » والله لا يخلف وعده . وقد حقق ذلك للمسلمين الأولين ، وسيتحقق ذلك للمسلمين ما آمنوا بالله ، وعملوا صالحا .

عبد الرحيم فوده

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من دروس الصوم

صوم اللسان

للأستاذ على العمارى

وقفت طويلا عند قول النبي صلى الله عليه وسلم : (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه) . وجعلت أمعن النظر ، أى علاقة وثيقة بين الصوم والصدق فى القول والعمل حتى يجعل الرسول قائل الزور ، والعامل به بمجرد تاركه للطعام والشراب فى صومه ؟ وكأن الصوم ليس إلا أمرين : أحدهما ظاهر شكلى وهو ترك الطعام والشراب ، والآخر حقيقى خفى وهو ترك الزور ، والعمل به .

حقيقة أن المقصود الأسمى من الصوم هو تهذيب النفوس ، والارتفاع بها عن صغائر الرذائل وكبائرها ، وحقيقة أن الصوم - إذا كان صادقا - يروض النفوس على كثير من الفضائل ، التى منها الصبر على المكاره ، والإحسان إلى المحتاجين ، والصدق فى القول والعمل ، وكف الأذى باللسان أو باليد عن الناس ، ولكن لماذا لم يقل الرسول - مثلا - لا صوم لجزوع ، ولماذا لم يقل : لا صوم لبخيل ، وإنما شدد النكير على الكاذب حتى جعله بعيداً عن الله ، وجعل الحق - سبحانه - وهو الغنى عن كل شىء مستغنيا عن صومه ، وليست له - سبحانه - حاجة فى أن يدع هذا الكاذب طعامه وشرابه ؟

وقد ذهب بى التفكير مذاهب فى الإجابة عن هذا السؤال : قلت : إن الكذب من الرذائل التى تجمع بين الدلالة على تأصل الشر فى النفس ، وعلى حقارتها فى آن واحد ، لأن الذى يتخذ الكذب عادة له إنما يفعل ذلك للإضرار بالناس ، والاستهانة بهم ، ولأنه فى الوقت ذاته يهبط بنفسه ، ويرخص قدرها لأنه يعرف - حق المعرفة - أنه كاذب ، ومع ذلك لا يحملها على الصدق ، ولا يروضها على قول الحق ، وقد قيل : ليس لكذب مروءة ، ولعل مما يدل على ذلك أوضح دلالة قول ابن السماك - غفر الله لنا وله - ما أرانى أوجر على ترك الكذب لأنى إنما أتركه أنفة .

فهذا الزاهد الكبير صاحب نفس عالية ، وهو يتعالى بها أن تنزل إلى حضيض الكذب فهو حين يترك الكذب لا يكون فى نفسه

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إلا أنه غير لائق بمثله ، فهو لا يتركه لأنه رذيلة كسائر الرذائل ، وإنما يتركه لأنه لا يليق بالإنسان العارف قدر نفسه .

لا يكذب المرء إلا من مهانته

أو عادة السوء ، أو من قلة الورع

وقلت : لعل فى نفى الإيمان عن الكذاب كما ورد فى قول الرسول حاسما واضحا ما يصح أن يكون جوابا عن هذا السؤال ، قال عبد الله بن جراد : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يارسول الله ، هل يزنى المؤمن ؟ قال : قد يكون ذلك ، قلت : يا نبى الله ، هل يكذب المؤمن ؟ قال : لا . ثم أتبعها صلى الله عليه وسلم بقول الله تعالى : « إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله » . وفى رواية أخرى ، قيل يارسول الله ، أيكون المؤمن جبانا ؟ قال : نعم ، قيل : أفيكون بخيلا ؟ قال : نعم قيل : أفيكون كذابا ؟ قال : لا .

ومن ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم : كل خصلة يطبع أو يطوى عليها المسلم إلا الخيانة والكذب .

وقد كان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يضيقون أشد الضيق بالكاذب ، ويبغضونه أشد البغض ، قالت عائشة - رضى الله عنها - : ماكان من خلق أشد على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب .

ولكن نفسى قالت لى وأنا أحاول أن أقنعها بصرامة هذا الجواب ، وحسمه للتساؤل الذى يملك عليها حسها ، قالت : إن النبى صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يشدد فى النكير ، وفى التنفير من بعض الرذائل ، كى يحمل أمته على تركها ، فينفى الإيمان ، مثلا ، عن مقترف هذه الرذائل ، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : لا يؤمن ، أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه وقوله : والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، قيل : من ، يارسول الله ؟ قال : الذى لا يؤمن جاره بوائقه .

إلى كثير من هذه الإرشادات العالية .

قلت إنى ألمح إختلافا فى طبيعة هذه الأخبار النبوية الكريمة مما يجعل الكذب رذيلة متفردة من بين الرذائل ، فالنبى فى الأحاديث الأخرى ينفى الإيمان عمن يحب أن يستأثر بالخير ، وعمن يؤذى جيرانه . ولكنه فى أحاديث الكذب ينفى أن يطبع المؤمن على هذه الخصلة ، وكأنه يقول : إن الكذب يتنافى مع حقيقة الإيمان ، لأن طبيعة المسلم الذى يؤمن بالله ورسوله ، ويصدق بالمغيبات التى لم يرها ، والتى لا دليل عليها إلا ما يقرؤه فى كتاب الله وأحاديث رسوله ، طبيعة المسلم هذا أن يصدق فالصدق طبيعة فيه ، وبغير ذلك لا يسهل عليه التصديق

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بما جاء به الإسلام مما لا مشاهدة له فيه ، ومن السهل على من يتعود الكذب أن يكذب كل ما يساق إليه من خبر ، بل هذا هو الأشبه بطبيعته ، ولذلك يقولون : الكذاب يعتقد أن كل الناس كاذبون ، وما ذلك إلا لما وقر فى نفسه من الاستهانة بالصدق ، والاستعذاب للكذب ومن ذلك ماروى من أن رجلا قال الحكيم : ما رأيت صدقاء فقال له لو كنت صادقا لعرفت الصادقين .

ورذيلة الكذب تكمن فى أمر وراء كل هذه الأشياء ، ذلك أنه من الرذائل التى ترسخ فى النفس ، وتصبح طبيعة فيها ، فلا يتمكن الكذاب من التفلت ، والفكاك من أسر هذه الرذيلة ، وقد أكد لنا رسولنا الكريم هذا المعنى ، فى بيان واضح لا لبس فيه ، فى حديث مشهور هو قوله صلى الله عليه وسلم : عليكم بالصدق فإن الصدق يهدى إلى البر ، وإن البر يهدى إلى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ، ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا وإياكم والكذب فإن الكذب يهدى إلى الفجور ، وإن الفجور يهدى إلى النار ، ومايزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا

وإذا كتب عند الله كذابا فقد ثبتت نفسه على هذه الرذيلة ، وأصبح من العسير أن يتحول عنها ، بل ، إنه لا يحاول الخلاص منها .

وقد أدرك بعض العارفين هذا المعنى بوضوح فقال : الصدق والكذب يعتركان فى القلب حتى يخرج أحدهما صاحبه .

ومعنى هذا أن الذى يخرج بعد العراك ، والمدافعة لا يستطيع أن يعود ؛ لأنه قهر فاستكان ، وخرج من وطنه ، والذى ينتصر فى هذه المعركة النفسية العنيفة يثبت ، ويوطد أقدامه فى مكانه فلا تستطيع قوة بعد ذلك إخراجه .

والحكماء العارفون الذين صفت نفوسهم ووعوا ما يشاهدون ، وانتفعوا بالتجارب قد أدركوا هذه الحقيقة التى أخبر بها النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال أحدهم من استحلى الكذب عسر عليه فطام النفس ، وقال آخر وقد رأينا شارب خمر أقلع ، ولصا نزع ، ولم نر كذابا رجع ، وقال ثالث : من عرف بالكذب لم يجز صدقه .

على أن أوضح كلام وأشمله قرأته فى هذا المعنى قول العالم الأندلسى محمد بن حزم فى كتابه (طوق الحمامة) : « وما أحببت كذابا قط ، وإنى لأسامح فى إخاء كل ذى عيب وإن كان عظيما ، وأكل أمره إلى خالقه عز وجل ، وآخذ ما ظهر من أخلاقه ، حاشى من أعلمه يكذب فهو - عندى ماح لكل محاسنه ومعف على جميع خصاله ، ومذهب كل مافيه ، فما أرجو عنده خيرا أصلا ، وذلك لأن كل ذنب فهو يتوب عنه صاحبه ، وكل ذام فقد يمكن

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الاستتار به والتوبة عنه حاشى الكذب ، فلا سبيل إلى الرجعة عنه ولا إلى كتمانه حيث كان ، وما رأيت قط ، ولا أخبرنى من رأى كذابا وترك الكذب ولم يعد إليه ولا بدأت قط بقطيعة ذى معرفة إلا أن أطلع له على الكذب فحينئذ أكون أنا القاصد إلى مجانبته والتعرض لمتاركته » .

والصوم نفسه عرضة لخطر عظيم من الكاذب ، فإن الذى يتعود الكذب فى قوله يسهل عليه الكذب فى عمله ، فمن الهين عليه أن يظهر أمام الناس صائما قائما ، فإذا خلا إلى نفسه انتهك حرمة صومه ، وارتكب ما يتحاشى أمام الناس أن يجوم حوله ، أو يذكره حتى بلسانه ، وهو شر ممن يترك الصوم علانية ، لأن هذا يرتكب جريمة واحدة هى ترك فريضة من فرائض الإسلام التى لا يصح التهاون فيها ، أما الكاذب المرائى فيرتكب جريمتين : إحداهما ترك هذه الفريضة ، والأخرى رذيلة النفاق التى تعد من أشنع الرذائل ، ولذلك كان متعارفا مشهوراً أن المنافق فى العقيدة شر من الكافر .

وهذا الخلق لا يقتصر على المجاهرة بالصوم ، والإسرار بالإفطار ، بل يتعداه إلى كل مخالفة بين السر والعلانية ، وإذا اعتاد إنسان هذه العادة لم تذهب عنه حقيقة الإيمان فحسب ، بل حكم على نفسه بالتجرد من حقيقة الإنسانية ، وأى وجود لإنسان لا يصدق باطنه شيئاً من ظاهره ، وأى خطر عظيم يرزأ به المجتمع البشرى من مثل هذا المخلوق . .

أما إذا اعتاد المسلم أن يجاهد نفسه حين يخلو بها فتحدثه أن يمس صومه بأذى ، فإنه بذلك يروضها على الصدق ، ومن تكرار هذه الرياضة يصبح الصدق طبيعة فيه ، فكما أن الصوم يمنى من الكاذب بانتهاك حرمته هو كذلك يغرس فضيلة الصدق فى النفوس المتهيئة لها .

وبذلك تدرك العلاقة الوثيقة فى طبيعة النفس الإنسانية بين الصوم والصدق وأن أحدهما لا يكون على حقيقته إلا بصاحبه ، كما ندرك المعنى البعيد الذى يتضمنه قول الرسول الكريم فى حديثه الذى افتتحنا به هذه الكلمة .

على العمارى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أبو جعفر الطبري

شيخ المفسرين وإمام المؤرخين

للأستاذ الحسيني عبد المجيد هاشم

في ظلال بلدة « آمل طبرستان » في مطلع فجر سنة خمس وعشرين ومائتين من هجرة الرسول عليه السلام ولد أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب وازدهر وترعرع على لبان التقوى متزودا بخير زاد سائرا تجاه الهداية والرشاد توفرت له أسباب النبوغ في العلم وتحصيله .

عنصره الكريم الطيب ممثلا في والده يوجهه إلى طلب العلم واستعداده القويم وهمته العالية يطيران به في آفاقه ورياضه على حفظ القرآن الكريم في صدر حياته أشرقت آماله وبتلاوته تقوم لسانه ، وبنفحاته وأسراره زكت روحه وتفتحت ذاكرته ، وكبر الوليد وأدرك جلال القرآن وتلاقت روحه الصافية مع صفائه وقداسته فأصبح قرآنيا .

أتجهت طاقته الفكرية الهائلة إلى دراسة القرآن واستجلاء أسراره وتحصيل معارفه وعلم أن القرآن قد حلق في سماء البيان وتعددت أغراضه هداية وتشريعا وسمت مقاصده نبلا وإحسانا ، وقف بهدية الحق الإلهي فوق قمم العلوم والمعارف فلا بد من تحصيل البيان وأساليبه بمعرفة لغة العرب ودلالاتها وأوجه النحو وتوجيهاتها والعلوم وفروعها حتى تكون عونا على المهمة الجليلة ودراسة القرآن دراسة واعية فحصل ابن جرير علوم اللغة وآدابها وقواعدها وبيانها .

ونظرة واحدة في أي موضوع من تفسيره الزاخر بالشواهد العربية يتبين منها مقدار علمه وسعة معارفه ، ولم يقنع بهذه الثروة الطائلة لتكون عونا له على التفسير لكتاب الله فتقدم إلى ساحة السنة النبوية الفيحاء الزاخرة فهي المبينة للقرآن « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم » وبذهنه الواعي وإدراكه السليم عاش مع السنة حافظا لأسانيدها ومتونها مدققا في معانيها وجمالها راحلا يجوب البلاد طولا وعرضا في سبيل تحقيق غايته السامية تتلمذ على أعلام عصره طالبا لعلم الحديث رواية ودراية مستعينا بذلك على فهم كتاب الله ورسوله ومن أساتذته في مقتبل حياته محمد بن حميد الرازي وموطنه الذي بخراسان وأحمد بن حماد الدولابي يقول الطبري : كنا نكتب عند

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

محمد بن حميد الرازى فيخرج إلينا فى الليل مرات ويسألنا عما كتبناه وكنا نمضى إلى أحمد بن حماد الدولابى ، وكان من قرية من قرى الرى بينها وبين الرى قطعة ثم نعدوا كالمجانين حتى نصير إلى ابن حميد فنلحق مجلسه كما سمع العلم من محمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب وأحمد ابن منيع البغوى وأبا همام الوليد بن شجاع وأبا كريب محمد بن العلاء .

وحصل ما عند علماء خراسان وبغداد والشام ومصر من أدب ولغة وحديث وتاريخ ومذاهب فقهية وكلامية .

فتدفقت فى ذهنه ينابيع العلوم وجرت على لسانه واطمأن قلبه للقدوم على تفسير جامع لكتاب الله فكان ذلك العمل العظيم خالد فى سماوات التفكير الدينى الذى جعله شيخ المفسرين . « جامع البيان عن تأويل القرآن » .

كما تصدى للتأليف فى التاريخ من عهد آدم إلى وقته فكان ذلك العمل التاريخى الجليل الذى أصبح به أمام المؤرخين « تاريخ الأمم والملوك » .

مكانته العلمية :

ذكر ابن جرير بالعلم وامتاز بدقة الفهم وجمال الأسلوب فتوفرت له أسباب الثقة وعوامل علو الرتبة .

يقول ابن السبكى فى الطبقات الكبرى : « إن أباجعفر قال لأصحابه : أتنشطون لتفسير القرآن ؟ قالوا كم يكون قدره ؟ فقال ثلاثون ألف ورقة فقالوا هذا مما تفنى الأعمار قبل تمامه فاختصره فى نحو ثلاث آلاف ورقة ، ثم قال هل تنشطون لتاريخ العالم من آدم عليه السلام إلى وقتنا هذا ؟ قالوا : كم يكون قدره ؟ فذكر نحو مما ذكره فى التفسير فأجابوه بمثل ذلك فقال إنا لله مانعت الهمم ، فاختصره فى نحو ما اختصر التفسير » .

ويروى عن على بن عبد الله السمسار فى معجمه الأدباء ، أن ابن جرير مكث أربعين سنة يكتب فى كل يوم منها أربعين ورقة » .

ويحدث أبو على الحسن الأهوانى المقرىء فى كتاب الإقناع فى إحدى عشرة قراءة يقول : « كان أبو جعفر الطبرى عالما بالفقه والحديث والتفاسير والنحو واللغة والعروض وله فى القراءات كتاب جليل كبير ... ذكر فيه جميع القراءات من المشهور والشواذ وعلل ذلك وشرحه واختار بها قراءة لم يخرج بها عن المشهور » .

ويقول الطبرى : حفظت القرآن ولى سبع سنين وصليت بالناس وأنا ابن ثمانى سنين وكتبت الحديث وأنا ابن تسع ... وقد كان عازفا عن الدنيا تاركا لها ولأهلها يرفع نفسه عن التماسها وكان كالقارىء الذى لا يعرف إلا القرآن وكالمحدث الذى لا يعرف

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إلا النبوغ فى الحديث والفقيه الذى لم يعكف إلا على الفقه وكذلك فى علم النحو والحساب فهو العالم الجامع لشعب العلم المتفوق فى أقطار المعارف ويتجلى ذلك فى تفسيره العظيم .

(جامع البيان عن تأويل آى القرآن) .

إن أروع ما قد ابن جرير للإسلام وأهله كتابه الجليل جامع البيان عن تأوى آى القرآن فقد جمع البيان وأفاض بالتبيان فكم أفاد المفسرون من روائعه ودرره فساروا على هديه ونهجه إذ هو من أقدم التفاسير بالنسبة للكتب المتداولة بيننا كالألوسى وأبى السعود والبحر وغيرها وقد جمع فى كتابه الأسانيد بآثارها مرجحا القوى منها على غيره فى معنى الآى مدعما لها بالشواهد العربية مما جعل تفسيره مرآة لها مصقولة بالأدب العربى ولغته وأحاديث خير البلغاء وآثار الصحابة والتابعين بإحسان وإذا كان تفسير ابن جرير يعد فى مقدمة التفسير بالمأثور فهو أيضا فى مقدمة التفسير بالرأى ميزا عنها بأن الرأى والاجتهاد فيه منبثقا فى ضوء المأثور مستأنسا بهديه فكان عمدة المتأخرين وقدوة فى كتاب الله وهو شرف يقدره ويحمد عليه .

منهجه فى التفسير :

عند تفسيره لآيات الكتاب يبتدىء بقوله : « القول فى تأويل قوله تعالى كذا » ويفسر الآية عليها بما يروى من أسانيد عن الصحابة والتابعين ويستشهد بأشعار العرب لتوضيح المعنى للكلمات إذا كان ثمة شاهد على ذلك من كلامهم فيقول مثلا القول فى تأويل قوله عز ذكره : « ولكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » ، يقول تعالى ذكره : « لكل قوم منكم جعلنا شرعة » ، والشرعة هى الشريعة بعينها تجمع « الشرعة » و « شرعا » والشريعة « شرائع » ولو جمعت الشرعة شرائع كان صواباً لأن معناها ومعنى الشريعة واحد فيردها عن الجمع إلى لفظ نظيرها وكل ما شرعت فيه فهو شريعة ... وأما المنهاج فإن أصله الطريق البين الواضح يقال فيه : « طريق نهج ومنهج » كما قال الراجز :

من يك فى شك فهذا فلج
ماء رواء وطريق نهج

ثم يستعمل فى كل شىء كان بينا . فمعنى الكلام لكل قوم منكم جعلنا طريقا إلى الحق يؤمه وسبيلا واضحا يعمل به . ثم بعد هذا العرض الشائق يأتى بكلام أهل التأويل معددا لرواياتهم فى معنى الآية مثل حدثنا الحسن ابن يحيى قال : أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا معمر عن قتادة قوله : « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » ، قال الدين واحد والشريعة مختلفة ويتبع ابن جرير الرواية

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بروايات حتى يخرج الدارس من دراسة الآية بثروة علمية أدبية تقر بها ويطمئن لها قلبه وقد ابتدأ تفسيره بمقدمة جامعة لعلوم القرآن فى إعجازه وبلاغته والقراءات وناسخة ومنسوخة ومحكمة ومتشابهة إلى ما يتعلق به من أفانين العلوم فكانت مقدمة للدخول فى التفسير على هدى وبصيرة فهو بحق عمدة المفسرين ومنهل الراشدين .

تاريخ الطبرى :

برز ابن جرير الطبرى فى ميدان التاريخ فنسق كتابه « تاريخ الأمم والملوك » تنسيقاً فريداً وجمع فيه ما يدل على سعة الأخلاق وقوة البيان فكان حجة فى التاريخ الإسلامى ومرجعاً هاما من المراجع الكبرى يشرق فيه أسلوبه الأدبى معززاً وقائعه بأسانيد رواتها فيما يتعلق بالوقائع ابتدأه بالكلام على حدوث الزمان والأيام والليالى مدللا على أنها حادثة مربوبة للخالق سبحانه وتعالى وحده لا شريك له . وذكر أو ما خلق وهو القلم وما بعده مستدلا بالآثار الواردة فى ذلك . ثم تحدث عن قصة آدم وحواء عليهما السلام منذ كانا فى الجنة وما كان من موقف إبليس اللعين ثم ما كان بعد الخروج إلى الدنيا لآدم وزوجته وطرد إبليس واستمر الكتاب يحكى قصة الإنسانية ذاكرا قصص الأنبياء والمرسلين مع أقوامهم وأحوالهم فى أوطانهم مستنيراً بما فى القرآن كما ذكر أحوال ما وجد على ظهر المعمورة من ملوك وأحوالهم مع قومهم وموقفهم من الشرائع الإلهية إلى أن وصل إلى خاتم المرسلين نبينا عليه السلام فأرخ السيرة النبوية فصولا ممتعة فى مولد الرسول ونسبه وأولاده وأزواجه ومبعثه وسياسته وغزواته وسراياه وأحوال الصحابة رضى الله عنهم والتابعين وذكر الخلفاء الراشدين المهديين . ثم ما كان من أخبار بنى أمية وبنى العباس .

كما أن له كتاب (ذيل المذيل) به تاريخ من قتل من الصحابة وأحوالهم وأخبارهم وكل الكتابيين من المراجع التى طبقت شهرتها الآفاق فاستحق أن يكون إمام المؤرخين كما هو شيخ المفسرين .

وهذه لمحة خاطفة عن الإمام الجليل ابن جرير الطبرى المفسر المؤرخ المحدث اللغوى الرحالة فى طلب العلم الجامع لكثير من العلوم والمعارف السابق فى الفضل رضى الله عنه ونفعنا بعلمه ؟

الحسينى عبد المجيد هاشم
المدرس بمعهد الزقازيق

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

شرب الخمر وحده في التشريع الإسلامي

للأستاذ محمد عطية راغب

١ — شرب الخمر من الكبائر المنهى عن تعاطيها ، بالكتاب ، وبالسنة ، وبالإجماع .

أما الكتاب فقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون » .

وأما السنة فقول الرسول صلى الله عليه وسلم (كل مسكر خمر ، وكل خمر حرام) .

وقوله عليه الصلاة والسلام : (لعن الله الخمر ، وشاربها ، وساقيها ، وبائعها ، ومبتاعها ، وعاصرها ، ومعتصرها ، وحاملها ، والمحمولة إليه) .

وقوله صلوات الله عليه وسلامه : (لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن) .

وقوله صلى الله عليه وسلم : (مدمن الخمر كعابد وثن) .

وأما الإجماع فقد اتفقت كلمة المجتهدين من السلف والخلف على تحريم شرب الخمر .

٢ — وحكمة تحريم تعاطى الخمر قائمة فى التشريع الإسلامى على رغبة المشرع فى حفظ عقول البشر ، فضلا عن أنها تفسد الأبدان ، وتتلف الأموال ، ونتيجة ذلك هدم كيان المجتمع .

تعريف الخمر :

١ — ذهب أكثر علماء اللغة إلى أن الخمر هى ، كل شراب مسكر سواء أكان متخذا من ثمرات النخيل والأعناب أم من غيرهما . وذهب فريق آخر إلى أنها ما أسكر من عصير العنب خاصة .

ونحن نرى أن ما ذهب إليه أنصار الرأى الأول هو الأقرب إلى الصواب ، لقوله صلى الله عليه وسلم ، إن من الحنطة خمراً ، ومن الشعير خمراً ، ومن الزبيب خمراً ، ومن التمر خمراً ، ومن العسل خمراً ، فإنه يفيد أن الخمر كما يطلق على عصير العنب يطلق على غيره من كل مسكر . والأصل فى الإطلاق الحقيقة .

أما فى اصطلاح الفقهاء ، فقد اختلفوا فى بيان حقيقة الخمر . فذهب الشافعية ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والمالكية ، والحنابلة ، إلى أنها كل شراب مسكر ، سواء أكان عصيراً للعنب أو لأى مادة أخرى ، كالبلح ، والزبيب ، والقمح ، والشعير ، والأرز ، لما رواه أحمد ، وأبو داود ، والترمذى ، وابن ماجه ، عن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن من الحنطة خمراً ، ومن الشعير خمراً ، ومن الزبيب خمراً ، ومن التمر خمراً ، ومن العسل خمراً) ولما رواه مسلم من قوله صلى الله عليه وسلم (كل مسكر خمر) ولما رواه مسلم ، وأحمد ، وأبو داود ، والترمذى ، وابن ماجة ، والنسائى ، عن أبى كثير ، قال سمعت ، أبا هريرة يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (الخمر من هاتين والشجرتين النخلة والعنبة) .

وذهب الحنفية إلى أنها ما أسكر من عصير العنب ، لما رواه البخارى عن ابن عمر أنه قال : حرمت الخمر وما بالمدينة منها شئ . فإن ابن عمر أخبر أن الخمر حين حرمت لم يكن بالمدينة منها شئ مع وجود أنبذة كثيرة فيها حين نزلت آية التحريم ، فنفيه وجود الخمر مع وجود أنبذة كثيرة دل على أن الأنبذة لا تسمى خمراً ، وإلا ما ساغ له نفى وجود الخمر . فعلم من ذلك أن المراد بالخمر فى الآية الكريمة هى النئ من عصير العنب المشتد .

ونحن نأخذ بالرأى الأول ، لأن تسمية كل مسكر خمرا إنما جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم ، يؤيد ذلك ماروى البخارى عن أنس قال : كنت أسقى أبا عبيدة وأبا طلحة وأبى بن كعب ، من فضيخ زهو وتمر فجاءهم آت فقال ، إن الخمر قد حرمت ، فقال أبو طلحة ، قم يا أنس فاهرقها فهرقتها .

أركان جرم شرب الخمر :

٢ — لجريمة شرب الخمر ثلاثة أركان ، أولها فعل الشرب ، وثانيها الشارب ، وثالثها القصد الجنائى الواجب توافره لدى الشارب لإمكان عقابه .

فالركن المادى لجريمة شرب الخمر هو تعاطى الخمر عن طريق الفم فقط ، بحيث يصل إلى الحلق ولو لم يصل إلى الجوف .

فإذا كان التعاطى من طريق الفم ، ولم يصل إلى الحلق ، أو كان من طريق غير الفم كالأنف ونحوه ، أو الحقن ، سواء وصل إلى الحلق أو الجوف أم لم يصل فإنه لا يعتبر شربا للخمر يترتب عليه الحد .

ولا خلاف بين الحنفية والحنابلة ، والشافعية ، والمالكية ، فى أن من شرب من نئ عصير العنب المشتد يجب حده سواء شرب قليلا أم كثيراً ، وسواء سكر أم لا .

ولكنهم اختلفوا فيمن شرب النبيذ المسكر . فذهب الشافعية ، والحنابلة ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والمالكية ، ومحمد ، إلى أن من شرب النبيذ المسكر قليلا كان أو كثيراً يجب حده سكر أو لم يسكر ، لما رواه مالك عن ابن شهاب عن السائب بن يزيد أنه أخبره أن عمر بن الخطاب خرج عليهم فقال إنى وجدت من فلان ريح شراب فزعم أنه شراب الطلاء وأنا سائل عما شرب فإن كان يسكر جلدته فجلده عمر الحد تاما .

وذهب أبو حنيفة ، وأبو يوسف ، إلى أن العقوبة لا تجب فى الأنبذة المسكرة إلا بالسكر ، لما رواه الدار قطنى أن أعرابيا شرب من إداوة عمر نبيذا فسكر به فضربه الحد ، فقال الأعرابى إنما شربته من إدواتك ، فقال عمر إنما جلدناك على السكر .

وذهب أبو ثور إلى أن من شربه معتقدا تحريمه تجب عقوبته ومن شربه تأولا لا تجب عقوبته ، لأن التأويل شبهة كعدم العلم بالحرمة .

ونحن نرى أن ما ذهب إليه جمهور الفقهاء، هو الأقرب إلى الصواب ، لأننا لو لم نعاقب كل من شرب النبيذ المسكر من أى مادة اتخذ قليلا كان أو كثيرا سكر أو لم يسكر ، لفتحنا الباب للمفتونين الذين لا يردعهم عن المعاصى إلا أن يروا العذاب رأى العين . ولإمكان توقيع حد الشرب أوجب الحنفية ، والحنابلة ، والمالكية ، والشافعية، أن يكون الشارب ، بالغا عاقلا .

ولذا لا عقاب عندهم إذا كان الشارب صبيا ، أو مجنونا ، وذلك لعدم التكليف .

٣ — كما أوجب جمهور الفقهاء أن يكون الشارب مسلما لإمكان عقابه ، فلا حد عندهم إذا كان الشارب كافرا ، أو ذميا ، ولو رضى بحكمنا ، لاعتقاده إباحة الشرب، ولأنه لم يلتزم بالذمة ما لا يعتقده .

وذهب ابن حزم ، والحسن بن زيادة ، إلى أنه يحد إذا سكر .

ونحن نأخذ بالرأى الأول ، لأنه أقرب إلى الصواب .

٤ — كما ذهب جمهور الفقهاء إلى أنه لا حد عندهم على الحربى ، والمعاهد لأنهما لم يلتزما أحكام الإسلام .

٥ — واتفق الفقهاء على عدم اشتراط الذكورة ، والحرية ، والبصر ، فى إقامة الحد على الشارب .

ولذا يجب إقامة الحد على الشارب ، ذكراً كان أو أنثى ، حراً كان أو رقيقاً .

٦ — وذهب أبو يوسف ، ومحمد ، والحنابلة ، والشافعية ، إلى أن السكران الذى يجب عقابه هو الذى يخلط فى كلامه مخالفاً عادته حال صحوه ، لقوله عز وجل : « يأيها

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون » ، ولما روى أن علياً قال : إذا شرب سكر وإذا سكر هذى .

وذهب أبو حنيفة إلى أن السكران الذى يجب عقابه هو الذى لا يعرف السماء من الأرض ولا الأنثى من الذكر ، لأن عقوبة السكران حد والحدود يؤخذ فى أسبابها بأقصاها ، وأقصى السكر أن يغلب السرور على العقل فيسلبه التمييز بين شىء وآخر .

وذهب مالك إلى أن السكران الذى يجب إقامة الحد عليه هو الشخص الذى يستوى عنده الحسن والقبيح .

ونحن نرى أن ما ذهب إليه أنصار الرأى الأول ، هو الأقرب إلى الصواب .

ولإمكان إقامة الحد على الشارب ، أوجب جمهور الفقهاء ، أن يكون عالما بتحريم شرب الخمر .

فإذى ادعى الشارب الجهل بالتحريم ، فإن كان ناشئا ببلد الإسلام لم تقبل دعواه ، لأن هذا لا يكاد يخفى على مثله ، إما إذا كان حديث عهد بالإسلام ، أو ناشئاً ببادية بعيدة عن بلاد الإسلام ، قبل ادعاؤه لاحتمال ما ادعاه .

وذهب مالك إلى عدم قبول دعوى الجهل بالتحريم ، لأنه ظهور الإسلام وانتشاره يبعد معه جهل تحريم شرب الخمر ، وإلى هذا ذهب أيضاً فقهاء الشيعة .

ونحن نأخذ بما ذهب إليه مالك ومن وافقه لأنه أقرب إلى الصواب .

وذهبوا أيضاً إلى أنه يشترط أن يعلم الشارب أن ما يشربه خمر . ولذا لا حد على من جهل أن ما يشربه خمر ، لأن الشارب فى هذه الحالة يكون جاهلا بحقيقة المشروب .

وإذا شرب شيئاً يعتقد أنه خمر فتبين أنه غير خمر فلا حد عليه ، ولكن عليه إثم الجرامة .

٧ — ولتوقيع الحد على الشارب أوجب ، الشافعية ، والحنفية ، والمالكية ، والحنابلة ، والشيعة ، أن يكون مختارا ، لقوله صلى الله عليه وسلم ، (عفى لأمتى عن الخطأ والنسيان ، وما استكرهوا عليه) .

ولا حد على الشارب المكره ، لانعدام الرضا عنده ، سواء أكره بالوعيد من قادر أو بالضرب ، أو الجئ إلى شربها بأن يفتح فوه وتصب فيه .

٨ — وذهب الحنفية ، والحنابلة ، والشافعية وأكثر المالكية ، والشيعة ، إلى اشتراط ألا تكون هناك مزورة لشربها .

ولذا لا حد على من غص باللقمة ، وخاف على نفسه الهلاك ، ولم يجد سائغا يسيغها به ولو نجسا سوى الخمر ، لقوله عز وجل ، « فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه » .

وذهب ابن حزم إلى وجوب إقامة الحد فى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

هذه الحالة ، لعموم النصوص الدالة على النهي عن شرب الخمر .

ونحن نأخذ بالرأى الأول ، لأن العموم قد خص بحالة الاضطرار .

١٩ — وذهب الحنفية ، والظاهرية ، والشافعي فى رواية عنه ، إلى أنه لا حد إذا شربت الخمر لدفع الجوع أو العطش الشديد الذى يخشى صاحبه الهلاك على نفسه ولم يجد ما يسد به رمقه أو يزيل به ظمأه ولو نجسا إلا الخمر ، لقوله تعالى « وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم اليه » .

وذهب المالكية ، والشافعي فى رواية أخرى ، والحنابلة ، إلى وجوب اقامة الحد فى هذه الحالة ، لأنه لا فائدة فى شرب الخمر لدفع الجوع والعطش .

وذهب بعض الحنابلة إلى أن شرب الخمر لعطش ينظر فيه فإن كانت الخمر ممزوجة بما يروى من العطش أبيحت لدفعه عند الضرورة كما تباح الميتة عند المخمصة ، وإن كانت صرفا أو ممزوجة بشيء يسير لا يروى من العطش حرمت وعلى شاربها الحد .

ونحن نرى أن ما ذهب إليه بعض الحنابلة هو الأقرب إلى الصواب .

١٠ - وذهب الحنفية ، والحنابلة ، والمالكية ، والشافعي فى رواية عنه ، إلى وجوب إقامة الحد على من اضطر إلى شرب الخمر للتداوى ، وخاف على نفسه الموت ، سواء أكانت الخمر صرفا أم ممزوجة ، لما رواه أحمد عن طارق أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على أم سلمة وقد نبذت نبيذا فى جرة فخرج والنبيذ يهدر فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما هذا ؟ فقالت فلانه اشتكت بطنها فنقعت لها . فدفعه برجله فكسره ، وقال عليه الصلاة والسلام ، إن الله لم يجعل فيما حرم عليكم شفاء ، ولما رواه أبو داود عن أبى الدرداء قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله أنزل الداء والدواء وجعل لكل داء دواء فتداووا ولا تداووا بالحرام .

وذهب الشافعي فى رواية عنه ، والظاهرية إلى جواز التداوى بالخمر صرفا كانت أو ممزوجة ، لقوله عز وجل « وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه » ، ولأن المضطر إلى التداوى بها كالمغصوص المضطر إلى شربها فكما أبيحت للثانى فتباح للأول .

ونحن نرى أن ماذهب إليه أنصار الرأى الأول هو الأقرب إلى الصواب ، لعموم النصوص الواردة فى تحريم الخمر ؟

— للبحث بقية —

محمد عطية راغب

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من معاني القرآن

« وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون » . قرآن كريم

الاستماع : إدراك الأصوات بحاسة السمع والإنصات حسن الاستماع .

والرحمة : رقة في القلب تقتضي التفضل والإحسان ، وهي من الله تفسر بما ينشأ عنها من النعم .

المعنى : إذا تلي القرآن عليكم أو قرىء أمامكم أو بعيداً عنكم فاستمعوا له وأحسنوا الاستماع إليه ، فإن ذلك يرجى منه أن تنالوا رحمة الله ، فالواجب عند قراءة القرآن هو الاستماع له والإنصات إليه ، لأنه كلام الله . فيجب أن نتلقاه حين يقرأ بما ينبغي له من خشوع وإصغاء وانتباه ، ثم إن الاستماع إليه فوق أنه واجب يمليه الشعور بالواجب أمام الله ، وضرورة امتثال أمره هو كذلك السبيل إلى رجاء رحمته ونعمته كما يفهم من قول الله : « وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين » . وقوله : « يأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين » .

فالقرآن شفاء لما تصاب به النفوس من علل الشك والشبهات ، وموعظة مؤثرة ترطب المشاعر الجافة وتلين القلوب الجامدة ، وهدى لا يضل من اتبعه ، ونعمة تنبع من رحمة الله وتطيب بها حياة المؤمنين .

وقد ذكر الله أن فيه أحسن القصص حيث قال : « نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن » . وأنه أحسن الحديث كما يفهم من قوله : « الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني » ، وأنه كما يقول سبحانه « تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله » ، بل هو كما يقول تعالى: « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله » .

ويفهم من قوله: « فاستمعوا له وأنصتوا » وجوب الاستماع له والإنصات عند قراءته في كل زمان ومكان لا في الصلاة وحدها كما قيل ، أما الإعراض عنه وصد الناس عن الاستماع إليه . ومحاولة تعكير جوه باللغو فيه فإنه من أعراض الكفر وعمل الكافرين ، كما يفهم من قوله تعالى : « وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه » ، وقوله فيهم « ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم » .

نسأل الله أن يفتح قلوبنا للقرآن ، ويشرح صدورنا بنوره ، وينفعنا بخيره وبركته ، فإنه كما يقول الله: « كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب » .

عبد الرحيم فودة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الموروثات والأدب عند ت.س. اليوت

للأستاذ رشاد محمد خليل

— ٢ —

سبق أن تكلمنا عن الدين وعلاقته بالأدب عند ت . س . إليوت [١] وبينا فيه حق العلاقة التى تربط بين الأدب والدين فى رأى اليوت ، وكان هذا العرض جانبا واحداً من الصورة ، أما الجانب الآخر فهو رأى إليوت فى العلاقة بين الموروثات « Traditions » وبين الأدب المعاصر ؛ وهو الأساس الذى تقوم عليه نظرية المعادل الموضوعى ؛ وقد ذكر إليوت رأيه فى مقال له وقد ترجم الدكتور رشاد رشدى فى كتابه « مختارات من النقد الأدبى المعاصر » كلمة « Traditions » بكلمة التقاليد ، بينما قصد اليوت بهذه الكلمة مدلولا أكثر اتساعا وعمقا ، ومن الأفضل أن نحتكم إلى إليوت نفسه فى تفسير هذه الكلمة ؛ يقول إليوت « إن ما أعنيه بالتقاليد يشمل كل عادات السلوك . عادة فردية ، أو عرفا سائداً شعبية تعبدية أو طريقة فى التحية ... » [٢] ، وهو ينقل الكلمة بمفهومها المتسع من استعمالها الاجتماعى إلى استعمالها الأدبى » ، فلا تقتصر كما ذهب الدكتور رشاد رشدى على مجرد التقاليد الأدبية ؛ وإنما تتسع لتشمل التراث جملة ؛ ويعبر عنها إليوت تعبيراً دقيقا فيسميها « الحس التاريخى » .

« فالتقاليد لها معنى أوسع من هذا وأشمل وهى لا يمكن أن تورث وتحتاج منك فى الحصول عليها إلى جهد شاق ، فهى تتطلب أولا وجود الحس التاريخى اللازم لاستمرار كيان الشاعر فيما بعد الخامسة والعشرين من عمره ، وهو يتطلب بدوره إدراك الماضى فى الحاضر ؛ ويضطر الكاتب وهو يكتب إلى ألا يحس بجيله فحسب بل بالأدب الأوربى عامة ، وأدب شعبه خاصة خلال الأجيال التى سبقته من عهد هوميروس إلى عهده ، وهذا الحس التاريخى الذى يتضمن الإحساس بالماضى والحاضر وبهما معا هو الذى يجعل الكاتب تقليدياً ، وهو فى الوقت ذاته ما يجعله يشعر بمكانه بالنسبة إلى من سبقه ومن يعاصره ... » [١] .

---

(١) مجلة الأزهر ص ١٠٢٩ مقال الدين وعلاقته بالأدب .

(٢) Seelcted prose, tradition T.S. Eliot

(١) مختارات من النقد الأدبى المعاصر ص ٤٦ د : رشاد رشدى .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والتقاليد فى تعريف إليوت هى ما يعبر عنه بالحس التاريخى ، وهو تعبير أوسع كثيراً من المدلول اللغوى لكلمة التقاليد ، ومن المدلول الاجتماعى والأدبى لها لأن هذا التعبير يدخله عنصر زائد عن مجرد وجود الشىء ألا وهو الإحساس بوجوده ، وهذا الإحساس لا يرصد الشىء فى حالة سكونه وإنما فى حالة حركته ليس فى الماضى فقط وليس فى الحاضر فقط ، وإنما عبر الأجيال إلى أن يصب فى الحاضر ويتحرك فيه.

ونظرية « الحس التاريخى » عند إليوت لم تلق عند أدبائنا ونقادنا حتى المغالون منهم فى التعصب لإليوت وآرائه ما هو جدير بها من الاهتمام ، فالدكتور رشاد رشدى رغم ترجمته لمقال إليوت الذى تعرض فيه لهذه النظرية لم يدخلها فى اعتباره وهو يتحدث عن « المعادل الموضوعى » فى كتابه « ما هو الأدب » ، وعندما تعرض الأستاذ صلاح عبد الصبور فى مقال له تحت عنوان « مختارات فى فهم الشعر ونقده » إلى هذه النظرية ذهب إلى شىء آخر ليس هو المقصود بالدرجة الأولى ، فقد أخذ منها الجانب الذى وضعه إليوت كاحتراز فى التطبيق حتى لا يتبادر إلى الذهن أن إليوت يدعو إلى اتباع الماضى اتباعا أعمى ؛ فدعا إلى نقد الماضى وأخذ الصالح منه ، فإذا فعل الأستاذ عبد الصبور ؛ لقد أخذ الجزء النقدى من النظرية قائلا « ماذا نصنع بأدب العصور السالفة ... هنا أسبق القول فأستفيد من ت . س . إليوت نظريته فى الموروث الأدبى Tradition لأستعين بها أوسع مما استعان بها إليوت ، إن نظريته فى الموروث ليتلخص أحد وجوهها فى محاكمة آثار الماضى فى ضوء التجربة الحاضرة . ولقد نظر إليوت إلى التراث الانجليزى فأعجبه ملتون وبليك ودن وبروك فضلا عن شكسبير ولم يعجبه بوب وسوينبرن . وقد قاسهم جميعا بمفهومه المعاصر ، واستخرج منهم ما يصلح - من وجهة نظره - ليعيش من جديد وإلى الأبد »[1].

ثم يطالب بتطبيق النظرة على تراثنا من امرئ القيس إلى إبراهيم ناجى لنستبق من هذا التراث ما نراه ملائما لأذواقنا وأنفسنا .

ثم يعقب على ذلك قائلا : « متى نفهم أن حق الحياة على الأحياء ، أعظم من الموتى حق عليهم » وهذه الدعوة فى ذاتها لا غبار عليها ، فنقد الماضى عملية ضرورية لا بالنسبة لهذا الماضى وحده ، ولكن بالنسبة لوجودنا الحاضر أيضا ، فلكى ينمو هذا الحاضر نمواً سليما ، لا بد من عمليات

(١) المجلة عدد ٧٧ مختارات فى فهم الشعر ونقد . صلاح عبد الصبور .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

المراجعة الدائبة للماضى ، وكشف العناصر التى فقدت صلاحيتها للاستمرار وعزلها ، وتطوير الصالح للاستمرار منها ، وإعطاؤه روح العصر ، وقد أكد إليوت ضرورة النقد للموروثات لأنه « يختلط فيها الخير بالشر ، وكثير منها يستحق النقد كما أن الموروثات ليست مجموعة من المشاعر فقط ، وليس من الممكن أن نربط أنفسنا بمجموعة من الموروثات النامية دون أن نمتحنها امتحانا عسيراً فما هو صالح لعصر من العصور - ما لم يكن من القواعد الأساسية - قد يكون صارماً بعصر آخر ... إن ما نريده هو أن نستعمل عقولنا ، لأن الموروثات بدون ذكاء لا تستحق شيئا ، وعلينا أن نعرف ماذا يستحق الاحتفاظ به من الماضى وما يستحق الإهمال ... » (١)

لكن إليوت لا يحتصر هذا الماضى ، ولا يعبر عنه بروح الازدراء التى عبر بها الأستاذ عبد الصبور ، بل على العكس من ذلك ينظر إلى هذا الماضى باحترام ، بل يربط مصير الحاضر به ويلزم الشاعر كما يقول بأن « يحس بالتيار الرئيسى الذى يسرى سريان الشريان عبر الأجيال والعصور السابقة ، وأن يدرك أن الفن لا يتقدم . ولكن المادة التى يصاغ منها لا تستقر على حال ... وعليه أن يدرك أن هذا التطور أو الارتقاء أو التعقيد على الأصح لا يعنى أى تقدم فى نظر الفنان أو العالم النفسانى . وأنه ربما كان فى النهاية نتيجة لعصر الآلات والاقتصاد المعقد الذى نعيش فيه ، على أن الفرق بين الحاضر والماضى هو أن الحاضر المتيقظ ليس إلا وعيا بالماضى فى شكل وإلى مدى لا يمكن وعى الماضى بنفسه أن يبين عنه ... فالمهم أن يحس الشاعر بالماضى إحساسا عليه ألا يكف عن تنميته خلال أطوار حياته المختلفة » (١) .

إن الماضى مرتبط بالحاضر بصورة متبادلة لدرجة « أن ما يحدث ساعة خلق أثر فنى جديد يحدث فى نفس الوقت لكل ما سبقه من آثار وهى الآثار التى تكون فيما بينها نظاما قائما يغيره دخول الأثر الجديد ضمنها ، ويترتب على هذا أن يتبدل وضع كل أثر فنى بالنسبة للمجموع من حيث قيمته وصلته به ، وهذا ما نسميه بالتوفيق أو التناسق بين القديم والجديد ، وإن كل من يؤمن بأن هناك نظاما يسود الأدب العربى أو الأدب الانجليزى لا يصعب عليه تصديق أن الماضى يتغير بالحاضر قدر ما يتأثر الحاضر بالماضى ،

(1) Selected Prose ; Trodition. T.S.Eliot.

(١) مختارات من النقد الأدبى المعاصر د : رشاد رشدى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والشاعر الذى يدرك هذا يدرك أن أمامه مسئوليات وصعوبات جمة ، لأنه لايمكن لشاعر أو لفنان ما أن يكون له معناه مستقلا عن كل شيء وآخر ، فقيمته يجب أن تقوم على تقدير المصلحة عن سبقه من الشعراء والفنانين، فأنت لاتستطيع أن تقدره وحده بل يجب ، لأن تفهمه ، أن تقارن أو تفرق بينه وبين أسلافه ، على ألا يكون هذا مبدؤنا من الناحية التاريخية فحسب ، وبل من الناحية الجمالية أيضا (١) .

فنحن إذن أمام نهر يتدفق فيه تيار من الآن السحيق ، وهذا التيار لا يتوقف لحظة عن الجريان ، ولا تفتأ تصب فيه كل لحظة روافد من الحاضر الذى يتحول باستمرار إلى ماضى ، وهذا التيار يتدفق بالماضى فى الحاضر باستمرار ، فيتغير شكله بالحاضر ، كما يتغير شكل الحاضر به .

لقد رأينا كيف تجاهل نقادنا نظرية الموروث عند اليون كما تجاهلوا من قبل نظرية الدين والأدب ، لا عن جهل طبعا بهذه النظرية فقد ترجمت إلى العربية .

ورأينا حين تعرضوا لها كيف انحرفوا بها عن مدلولها الأساسى إلى مدلول فرعى يرضى نزعاتهم الخاصة .

والآن نحب أن نتسائل ،لماذا تجاهل نقادنا مع سبق الاصرار نظرية الموروثان رغم تحمسهم لنظرية المعادل لموضوعى هل لأن موروثاتنا أعجز من أن تتخطى عتبة الحاضر؟

أم لأننا نرى أن حاضرنا يمكن أن يقوم وحده وأن ذواتنا لا تحتاج إلى جذور ؟

أم أننا اكتشفنا مسائل أخرى نستورد منها جذورا أقدر على تنمية الحاضر ، ألا يستوقف هذا الصمت المريب النظر . ! ! ؟

إن موروثنا يعيش فينا ولا نملك خلعه أو استبداله بإرادتنا ، وقد حاولت أوربا مرة يوم أرادت أن تخلع مسيحيتها فماذا كانت النتيجة ؟ لقد ثارت فرنسا على الكنيسة باسم الروح المسيحى ، وكان الشعار الذى أعلنت تحت لوائه تمردها ، الحرية ، والإخاء والمساواة ، هو صوت المسيح الذى صرخ به فى البرية .. ؟

إن الماضى يتكشف فى أصلابنا منذ اللحظة التى نبضت فيه الحياة نبضها الأول على ظهر الأرض ، وكلما عبرت الأجيال خالقا أو ارتادت مجهولا ازداد التكشف تركيزا ، وتعمقت خطوط الماضى فى نسيج الحاضر.

إن لنا موروثنا كما أن لإليوت وجيله فى الغرب موروثه الإنجليزى الأوربى إن لنا مثله موروثنا العربى الإسلامى، لا أقصد بذلك الموروث الشعرى وحده الذى يبدأ بامرئ القيس وينتهى بإبراهيم ناجى ،

(١) المصدر السابق

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

كما يذهب الأستاذ عبد الصبور ، فذلك جزء من رصيد هائل هو موروث الحضارة العربية الإسلامية بكل ما فيه من أدب وعلم ودين وفلسفة الخ . من قفا نبك إلى فاتحة الكتاب.

ومن شعائر الصلاة إلى ترنيمات المتصوفة، إلى تقسيمات بن رشد إلى نقوش « الأربسكو » لقد كشف الغربيون تراثهم من قرون وراجعوه ورتبوه وحللوه ، وأخذوا منه ما يصلح لهم .

ونحن ماذا صنعنا بتراثنا ؟ هل كشفناه وراجعناه ورتبناه وحللناه ، وأخذنا منه ما يصلح لنا .

إن بعضا من العناية قد بذل للشعر ـ بعضاً فقط ـ فالشعر يحتاج إلى أضعاف الجهود التى بذلت وتبذل فى دراسته .

ولكنا نسأل ؟ هل يعرف جيلنا عن مالك والمسيب ، والغزالى ، وابن سينا ، والطبرى وابن خلدون .. بعضا مما يعرفه جيل الغرب عن هوميروس وسوفوكليس ، وهيرودت ، وهيرودت وأرسطو وتوماس الأكوينى ! !

وهل يعرف جيلنا عن الموطأ ، وسيرة ابن هشام ، وإحياء علوم الدين ، وتهافت الفلاسفة ، وتهافت التهافت ، ومقدمة ابن خلدون ، بعضا مما يعرفه جيل الغرب عن الإلياذة ، وأوديب ، والكون ، والفساد ، والمدينة الفاضلة ؟ ! !

هل يعرف جيلنا شيئاً عن حركة التاريخ العربى الإسلامى وعوامل المدد والانحسار وعن الصورة التى أخذتها كل مرحلة من مراحله ، كما عرف جيل الغرب تاريخ أوربا ووضع يده على نبضه فى جميع مراحله ؟ !

ثم هل قدر جيلنا بصورة واعية مكانة القرآن فى تاريخ الأمة العربية الإسلامية والحركة الهائلة التى وضعها فى هذا التاريخ ، ثم هل قدروا أى مسئولية يتحملها جيلنا حين يستهين بقوة الدفع التى يستطيع هذا الكتاب أن يضعها فى حاضرنا ؟ ! !

هذه أسئلة أضعها تحت الأنظار ؛ ولكنى أكتفى الآن بأن أقول بأنه لو لم يكن فى موروثاتنا شىء سوى القرآن يجب أن يوضع فى وعى الحاضر بكل طاقاته وانفجاراته ، لكان وحده كافياً لأن تحمل بإزائه مسئولية خطيرة لا بالنسبة لحاضر جيلنا وحده ، وإنما بالنسبة للأجيال التى سوف تخلفنا ، وبالنسبة لمستقبل الإنسانية التى تتفتح فيه اليوم هوة رهيبة تطل على العدم لا يستطيع شىء أن يملأها غير كتاب الله : « وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ، ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا ، وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم » .

رشاد محمد خليل

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من شخصيات فجر الإسلام
ابن أبي

للأستاذ محمد فاوي عبد

في حديث (بصراحة) الذي يكتبه الأستاذ محمد حسنين هيكل في جريدة الأهرام كتب ما يأتي : في اليمن مثلا كان ابن الشيخ الزايدي شيخ حدواح هو الذي تقدم وقطع رأس أبيه بخنجره بعد أن غدر بضابط مصري وعشرة من جنوده وأطلق النار عليهم من الوراء بعد أن كان بينه وبينهم عهد الأمان . وحمل الابن رأس أبيه بيده ومشى بها فوق الجبال من صرواح إلى صنعاء وعلقها بنفسه على باب العاصمة المشهور باسم باب اليمن لكي يراها الناس .

ودلل الكاتب بهذا الحادث على قوة العقيدة وأنها فوق كل اعتبار - صحيح أنه ليس من السهل على الابن أن يقطع رأس أبيه لأنه خان ، ولكنه من الصعب أن يتحلل الإنسان من عقيدة آمن بها وملكت عليه كل حواسه وكان لهذه العقيدة في نفسه مركز الأفضلية لما تنطوي عليه من خير عام للناس كافة . وفي مجال المفاضلة يمكن الجزم بأن التضحية بالمصلحة الشخصية ميسور في سبيل الحفاظ على المصلحة العامة .

ولا شك أن هذا العمل البطولي قليل في سير التاريخ . ولا يكاد تظهر إلا في فترات قليلة متباعدة . فترات يظهر فيها في منطقة ما دعوة دينية أو سياسية لها من القوة ورسوخ القدم ما يمكنها من قلوب أصحابها فتظهر على مسرح الأحداث مثل تلك البطولات التي يسجلها التاريخ وكأنها قطع فنية نادرة تزيد على مر الأيام وضوحا وجلاء وتتخلص بمرور الوقت من تلك الشوائب النفسية التي تعلق بها . فيظهر العمل على حقيقته مجردا من كل اعتبار على أساس أنه العمل المثالي الكامل الذي كان يجب أن يحدث حتى يتم الفناء الحتمي بين الشعوب والعقيدة الواحدة والمصير الواحد.

والإسلام — كعقيدة دينية وسياسية واجتماعية - ملك على أنصاره أنفسهم ومشاعرهم . لم تقف في سبيله عقيدة أخرى معارضة ولم يبق أمامه أي تقليد من تلك التقاليد البالية التي ورثها العرب والتي كانت لها في نفوسهم مكان التقديس والافتخار . لقد كان أشراف المسلمين أسبق في التضحية من عامتهم بأرواحهم وأموالهم ، ولم تكن التضحية بالمال مهما كثر مما يكون مجالا للمن والافتخار ، ولم تمنع أي علاقة عائلية

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أو شخصية من التضحية بها فى سبيل الدعوة .

وتاريخ صدر الإسلام حافل بأروع الأمثلة على ذلك والتى لم تكن أقل روعة وجلالا مما أورده الأستاذ هيكل .

وقد اخترت لنفسى بين هذه الأمثلة شخصية ابن أبى الأب والابن ، مع عرض موجز لكل منهما .

لقد كان عبد الله بن أبى بن سلول الأب من أشراف المدينة وزعماء الخزرج ودخل فى الإسلام ، إلا أنه كان منافقا غاية النفاق مصلحته الذاتية لها الدرجة الأولى من تفكيره وفى سبيل بلوغ غايته كان يخادع ويناقق ، منتهزا لغدره ونفاقه أسوأ أوقات المسلمين وأشد الفترات حرجا فى حياة النبى بالمدينة .

أما ابنه عبد الله فكان مؤمنا خالص الإيمان ، صفت نفسه للإسلام وامتلأ قلبه بدعوة الإيمان ، وكان فى مجال العمل الإسلامى يسمو بنفسه وبعاطفته فوق كل علاقة واعتبار .

بعد انتهاء النبى صلى الله عليه وسلم من غزوة بنى المصطلق ، ازدحم أجير لعمر بن الخطاب مع أحد رجال الخزرج على الماء ، ثم اقتتلا وتصايحا . يقول الخزرجى : يا معشر الأنصار ويقول أجير عمر : يا معشر المهاجرين وسمع عبد الله بن أبى النداء وكان قد خرج مع المنافقين فى هذه الغزوة ابتغاء الغنيمة ، فثار ما فى نفسه على المهاجرين وعلى محمد من حفيظة وقال لجلسائه .

لقد كاثرنا المهاجرون فى ديارنا ، والله ما عدنا وإياهم إلا كما قال الأول (سمن كلبك يأكلك) (أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل) ثم قال لمن حضر من قومه (هذا ما فعلتم بأنفسكم ، أحللتموهم بلادكم . وقاسمتوهم أموالكم ، أما والله لو أمسكتم عنهم بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم)

ولما بلغ النبى صلى الله عليه وسلم مقالته ؛ قال عمر بن الخطاب (مر به بلالا فليقتله) هنا ظهر النبى كبد أبه القائد المحنك ، والحكيم البعيد النظر ، والتفت إلى عمر وقال (فكيف يا عمر إذا تحدث الناس وقالوا إن محمدا يقتل أصحابه) .

وتراءى إلى عبد الله بن أبى ما بلغ النبى عنه فأسرع إلى حضرته ينفى ما نسب إليه ، ويحلف بالله ما قاله وما تكلم به ، ولما بلغ المسلمون المدينة وأقام ابن أبى بها لا تهدأ له نفس حسدا لمحمد وللمسلمين وإن تظاهر بغير ذلك كما أصر على إنكار ما نقل عنه لرسول الله أثناء ذلك نزلت سورة المنافقين وفيها قوله تعالى : « هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا . ولله خزائن السموات والأرض . ولكن المنافقين لا يفقهون . يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين . ولكن المنافقين لا يعلمون » .

هنالك فهم قوم أن فى هذه الآية قضاء

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

على عبد الله بن أبي وأن محمداً لا ريب آمر بقتله . فذهب عبد الله بن عبد الله بن أبي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال له (يا رسول الله ؛ إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه . فإن كنت فاعلا فمرني به فأنا أحمل إليك رأسه . فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها من رجل أبر بوالده مني . وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل أبي يمشي في الناس فأقتله . فأقتل رجلا مؤمنا بكافر) . فأجابه رسول الله (إنا لا نقتله بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا) .

هذا الحادث يدلنا على ما كان عليه الأب من نفاق وكذب . وكم أعماه حقده وحسده فجعله يختار أحرج أوقات المسلمين للنيل منهم أما الابن فكان شديد الإيمان صادقا غاية الصدق فما ذهب يعرض على الرسول من قيامه شخصيا بتنفيذ حكم الإعدام في والده وألا يدع لغيره أن يقوم بهذا العمل . فهو يشعر أن قتله لأبيه في سبيل إحقاق الحق أهم عنده من عاطفة الأبوة حتى ولو كان معروفا عنه أنه أبر الناس بوالده . وقد كان رسول الله كريما كبير القلب فترفق بالابن والأب .

وليقين النبي من صدق إيمان الابن فقد ولاه أمر المدينة عند ما خرج لملاقاة قريش في غزوة بدر الثانية .

ولم تكن الحادثة التي ذكرتها آنفا هي الأولى والأخيرة في حياة عبد الله بن أبي . فقد كان تاريخه حافلا بالمؤمرات والكيد . وكان الله ورسوله يفضحان أمره . وفي حديث الإفك وجد ابن أبي فيه مرعى خصيبا لشفاء ما في نفسه من غل وجعل يذيعه جهد طاقته .

قدمت امرأة مسلمة إلى سوق اليهود من بني قينقاع عند صائغ منهم . وثبت واحد من اليهود طرف ثوبها بشوكة إلى ظهرها . فلما قامت انكشفت سوأتها . فضحكوا بها . فصاحت . فقام أحد المسلمين فقتل اليهودي . فقام عليه اليهود فقتلوه . فلما استصرخ المسلمون بالنبي طلب من اليهود أن يكفوا عن أذى المسلمين وأن يحفظوا عهد المرادعة حتى لا ينزل بهم ما نزل بقريش ببدر . فاستخفوا بوعيده وتحدوه . فحاصر المسلمون بني قينقاع في ديارهم حتى نزلوا على حكم محمد وسلموا بقضائه . فأشار عليه نفر من أصحابه بقتلهم جميعا . وهنا قام عبد الله بن أبي - وكان حليفا لليهود كما كان حليفا للمسلمين - وطلب من النبي عدم تنفيذ ذلك في حلفائه من اليهود . وألح في طلبه . فرأى النبي في إلحاحه ما جعله يعود إلى سكينته وأن يمد هذه اليد إلى ابن أبي ومن معه من المشركين موالي اليهود حتى يصبحوا مدينين لإحسانه ورحمته ، واكتفى بمغادرتهم المدينة إلى الشام .

وفي غزوة أحد أشار عبد الله بن أبي على النبي أن يبقى بالمدينة ويقوم بتحصينها .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ورغب غالبية المسلمين فى الخروج لملاقاة العدو ، ونزل النبي عند رأيهم وخرج معهم . حتى إذا بلغوا مكانا يسمى الشيخين رأى النبي كتيبة من اليهود من حلفاء ابن أبي . فقال (لا يستنصر بأهل الشرك على أهل الشرك ما لم يسلموا) . فانصرف اليهود عائدين إلى المدينة . إذ ذاك جعل حلفاء ابن أبي يقولون له (لقد نصحته واشرت عليه برأى ثم أبى أن يقبله وأطاع الغلمان الذين معه) . فصادف قولهم هوى فى نفسه . فلما أصبحوا انخذل مع كتيبته من أصحابه وبقى النبي ومعه المؤمنون حقا .

وبعد غزوة أحد وما أصاب المسلمين فيها ، ضعفت هيبة محمد والمسلمين فى نفوس اليهود . ورأى النبي ببصيرة السياسى الثاقبة أن يمتحن هؤلاء اليهود فذهب فى عشرة من كبار المسلمين إلى يهود بنى النضير الذين تظاهروا بحسن استقباله . وقد أحس النبي أنهم يأتمرون به فانسحب من مجلسهم وعاد إلى المدينة دون أن يشعروا به . ثم أمرهم بمغادرة البلاد فى مهلة عشرة أيام . وقال لهم رسوله (إن رسول الله أرسلنى إليكم أن اخرجوا من بلادى . لقد نقضتم العهد الذى جعلت لكم بما هممتم به من الغدر بى . لقد أجلتكم عشرا فمن رؤى بعد ذلك ضربت عنقه) .

وأثناء تجهيز بنو النضير أنفسهم لتنفيذ أمر النبي جاءهم رسولان من عند عبد الله ابن أبي يقولان : « لا تخرجوا من دياركم وأموالكم . وأقيموا فى حصونكم . فإن معى الفين من قومى وغيرهم من العرب يدخلون معكم حصونكم ويموتون عن آخرهم قبل أن يوصل إليكم) . وتشاور بنو النضير فى مقالة ابن أبي . وانتهوا إلى التحصن بحصونهم وقاتلهم المسلمون عشرون ليلة . وكان عبد الله بن أبي كاذبا منافقا فلم يقدم اليهود شيئا ولم يكن حظهم معه بأحسن من بنى قينقاع قبلهم فتصالحوا على أن يتركوا المدينة حسبما رأى النبي .

وكان لهذا النصر أثر كبير فى قطع دابر الفتنة وأثر على المنافقين حتى لا يرفعوا رؤسهم كلما أصاب المسلمين شر ومن قيام التهديد بالحرب الأهلية إذا غزا المسلمين غاز من الأعداء . وقد نزل فى ذلك قوله تعالى : « ألم إلى تر الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبدا . وإن قوتلتم لننصرنكم ، والله يشهد إنهم لكاذبون . لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون . لأنتم أشد رهبة فى صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون » .؟

الرائد محمد فاوى عصر
مفتش دائرة الأحوال المدنية مرسى مطروح

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

دولة الإسلام والعالم

على الحدود ... بين دولتين وحضارتين

مناطق الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري

للأستاذ فتحي عثمان

— ٢ —

وهكذا بلغ نظام الدفاع الإسلامي عن حدود الدولة في أعالي الشام والجزيرة مرحلة النضوج ، وتميزت ثغور الشام عن ثغور الجزيرة ، وكان الخط من ملطية إلى عين زربة (عين زربي) يمثل تحصينات الدفاع عن الجزيرة ويتضمن مرعش والحدث ، بينما كانت المراكز الرئيسية في تحصينات الدفاع عن الشام هي المصيصة وأذنة وطرسوس ، وكانت هذه المواقع العسكرية الهامة وثيقة الصلة بالممرات الجبلية عبر جبال طوروس ، وقيل أن معاوية هو الذي جعل قنسرين في شمال الشام وحدة إدارية حربية مستقلة بعد أن كانت داخلة في نطاق جند حمص ، كما أن عبد الملك ابن مروان هو الذي جعل الجزيرة جندا مفردا بذاته ، ثم تزايد الإحساس بأهمية مناطق الحدود في عهد العباسيين ، فأفردوا العواصم عن قنسرين والجزيرة وجعلوها ولاية بذاتها ، ويفسب الطبري بداية ذلك التطور إلى معاوية ، بينما ينسبه البلاذري إلى ابنه يزيد ، وهو يتابع التطور في مراحله المتتالية فيقول « واستتم أمر حمص ، فكانت حمص وقنسرين شيئاً واحداً ، وقد اختلفوا في تسمية الأجناد ، فقال بعضهم : سمي المسلمون فلسطين جنداً لأنه جمع كورا ، وكذلك دمشق وكذلك الأردن وكذلك حمص مع قنسرين وقال بعضهم سميت كل ناحية لها جند يقبضون أطعامهم بها جندا ، وذكروا أن الجزيرة كانت إلى قنسرين فجندها عبد الملك بن مروان أي أفردها فصار جندها يأخذون أطعامهم بها من خراجها وأن محمد بن مروان كان سأل عبد الملك تجنيدها ففعل ، ولم تزل قنسرين وكورها مضمومة إلى حمص حتى كان يزيد بن معاوية فجعل قنسرين وأنطاكية ومنبج وذواتها جندا فلما استخلف أمير المؤمنين الرشيد هارون ابن المهدي أفرد قنسرين بكورها فصير ذلك جنداً واحداً ، وأفرد منبج ودلوك ورعبان وقورس وأنطاكيه وقنسرين وسماها العواصم لأن المسلمين معتصمون بها فتعصمهم وتمنعهم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إذا انصرفوا من غزوهم وخرجوا من الثغر وجعل مدينة العواصم منبج فسكنها عبد الملك ابن صالح ابن علي في سنة ثلاث وسبعين ومائة وبنى بها أبنية » ، « ... كانت بنو أمية تغزو الروم بأهل الشام والجزيرة صائفة وشاتية مما يلي ثغور الشام والجزيرة ، وتقيم المراكب للغزو وترتب الحفظة والسواحل ، فلما ولي أبو جعفر المنصور تتبع حصون السواحل ومدنها فعمرها وحصنها وبنى ما احتاج إلى البناء منها ، وفعل مثل ذلك بمدن الثغور ، ثم لما استخلف المهدي استتم ما كان بقي من المدن والحصون وزاد في شحنها ، وقد رأينا من اجتهاد أمير المؤمنين هرون في الغزو ونفاذ بصيرته في الجهاد أمراً عظيماً ، أقام من الصناعة ما لم يقم قبله ، وقسم الأموال في الثغور والسواحل ، وأشجى الروم وقصمهم وأمر المتوكل على الله بترتيب المراكب في جميع السواحل ، وأن تشحن بالمقاتلة ، وذلك في سنة سبع وأربعين ومائتين » .

* * *

على أن الحدود الإسلامية البيزنطية في أعالي الجزيرة والشام لم تكن ميدان قتال بين الدولتين فحسب . لقد كانت مجال اتصال بين حضارتين أيضا ...

يذكر الفارابي السعودي وابن أبي أصيبعة نبأ انتقال « مدرسة الاسكندرية » إلى أنطاكية وحران في عهد عمر بن عبد العزيز ويعلل ما يرهوف ذلك بأن هذا الموقع نفسه قد جعل من السهل إحضار المخطوطات اليونانية من آسيا الصغرى لأن حركة التبادل كانت نشيطة على الحدود في الفترات الخالية من الحروب .

وكانت هناك سفارات علمية توفد خصيصاً لجلب المخطوطات من بلاد الروم ، وفي (أخبار الحكماء) أن الرشيد « ولى يوحنا بن ماسويه ترجمة الكتب الطبية القديمة لما وجدها بأنقرة وعمورية وسائر بلاد الروم حين افتتحها المسلمون » ، كما يروي ابن النديم في (الفهرست) أن المأمون كتب إلى ملك الروم « يسأله الإذن في إنفاذ ما يختار من العلوم القديمة المخزونة المدخرة ببلاد الروم فأجاب إلى ذلك بعد امتناع » . وقد سافرت بعثة في عهد الواثق لزيارة موضع أهل الكهف كما كان الأسرى من وسائط للتبادل الثقافي بين المسلمين والبيزنطيين ، فقد كان لمسلم ابن أبي مسلم الجرمي وهارون بن يحيى فضل لا ينكر في تقديم مادة طيبة للمسلمين عن الروم ويعزو ابن النديم في (بغية الطلب) كيف تخللت احتكاكات القتال اتصالات الحضارة فيقول: « كنا معشر أهل الشام وإخواننا من أهل مصر وإخواننا من أهل العراق نغزو فيعرض على الرجل منا أن يحمل من أرض الروم قفيزا بالصغير من قسيفساء ، وذراعا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى ذراع من رخام ، فيحمله أهل العراق إلى العراق ، وأهل حلب إلى حلب ، ويستأجر على ما حملوا إلى دمشق

وجاء أدب الحرب سجلا لمعارك الفريقين ، ونحن نجد مثلا نموذجياً للبطل القوى عند الروم فى شخصية مجاهد الحدود البيزنطى ديجنيس أكريتاس Digenis Akritas الذى دارت حول بطولاته فى منطقة الثغور ملحمة شعبية ويفترض مافرو جورداتوا Wavrogordato لوقائع الملحمة القرن الواقع بين عامى ٨٦٠ ، ٩٦٠ م وقد جرت أحداثها فى أعالى الجزيرة بين سميساط وملطية وفى كبادوكيا . ومن سلالة عرب الشام وحلفائهم النصارى البيالقة (البولسيين Poulicians الذين اضطهدهم الروم لخلاف مذهبى وكان مركزهم تفريك وهى أبريق عند العرب) .

جاء والد البطل ديجنيس الذى أنجب ولده هذا من زواجه برومية . وهكذا جاءت الملحمة بمثابة « رسالة الإسلام » على حد تعبير مافروجورداتو ، إلى الحدود التى أكلتها الحروب فى شرق الأمبراطورية البيزنطية ، وإن تغنت بأمجاد البطولة البيزنطية فى جهاد المسلمين . كما نجد قصص البطولة العربية فى أخبار حصار القسطنطينية أيام الأمويين ، وفى القصص التى تدور حول شخصية عبد الله البطال من مجاهدى العصر العباسى ، وقد وصلت آثارها إلى قصة الفروسية العربية (ذات الهمة) ، (ألف ليلة وليلة) فضلا عن القصص الشعبى التركى كما أثبت ماريوس كنار Marius Conard على أن معارك الروم قد نالت اهتماما أكبر فى الشعر العباسى ، وسجل أبو تمام والمتنبى وأبو فراس كثيراً من صفحات الجهاد الإسلامى على الحدود . وجاء شعر الحرب سجلا للمعالم الجغرافية والوقائع الحربية وكثيراً ما استند إليه ياقوت فى مادته الجغرافية عن بلدان الثغور . وظهر فى الأدب الرسمى للدولة الإسلامية (كتب الجهاد) التى ترسل إلى الأطراف للاستنفار للقتال وكانت العمارة الإسلامية الأولى بيزنطية فى تصميمها وزينتها بقدر ما تسمح بذلك تعاليم الإسلام - على حد رنسيمان Runciman ، كما كانت قصور الأمويين نفسها أحيانا قلاعا بيزنطية .

* * *

هذا هو خطط الحدود الإسلامى البيزنطى فى أعالى الشام والجزيرة .

أرض تموج بالحركة ، وحياة تجد فى روح الجهاد المقدس أسباب القوة لا عوامل الفناء .

وهذه صورة طرسوس كما أبرزها الاصطخرى وابن حوقل تكاد تنطق :

« فأما مدينة طرسوس : فالمدينة المشهورة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

المستغنى بشهرتها عن تحديدها ، كبيرة عليها سوران من حجارة ، كانت تشتمل على خيل ورجال وعدة وعتاد وكراع ، وكانت من العمارة ـ والخصب بالعناية ، إلى رخص عام على مر الأيام وتعاقبت الأعوام . وكان بينها وبين حد الروم جبال متشعبة من اللكام كالحاجزين العملين . ورأيت غير عاقل يميز ، وسيد حصيف مبرز ، يشار إليه بالدراسة والفهم واليقظة والعلم ، يذكر أن بها مائة ألف فارس ، وكان ذلك عن قريب عهد من الأيام التي أدركتها وشاهدتها . وكان السبب في ذلك : أنه ليس من مدينه عظيمة من حد سجستان وكرمان وفارس وخوزستان والجبال وطبرستان والجزيرة وأذربيجان والعراق والحجاز واليمن والشامات ومصر والمغرب إلا وبها لأهلها دار ينزلها غزاة تلك البلدة ويرابطون بها إذا وردوها ، وتكثر لديهم الصلاة وترد عليهم الأموال والصدقات العظيمة الجسيمة ، إلى مما كان السلاطين يتكلفونه وأرباب النعم يعانونه وينفذونه متطوعين متبرعين ، ولم يكن في ناحية ذكرتها رئيس ولا نفيس إلا وله عليها وقف من ضيعة ذات مزارع أو مسقف من فنادق . . .

هكذا كانت الحدود . . . بين دولتين ، وحضارتين !

حدود تموج بالحياة . . . لأنها تقف على أطراف أرض تسكنها أمة حياة ، وحضارة كلها حياة !

« ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين » ؟

فتحي عثمان

من امثال العرب

* « لم يذهب من مالك ما وعظك » معناه : إذا ذهب من مالك شيء فحذرك أن يحل بك مثله فتأديبه إياك عوض من ذهابه .

* « رب عجلة تهب ريثا » ومعناه : أن الرجل يعمل العمل فلا يحكمه للاستعجال به ، فيحتاج إلى أن يعود فينقضه ثم يستأنف عمله .

* « أن ترد الماء بماء أكيس » يقال لمن مر بماء فلا يحمل منه اتكالا على ماء آخر يصير إليه ، فيقال له : أن تحمل معك ماءاً أحزم لك ، فإن أصبت ماءاً آخر لم يضرك ، فإن لم تحمل خففت من الماء عطبت .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أبغض الحلال إلى الله

للأستاذ أحمد علي منصور

شرع الإسلام الزواج لأغراض سامية ، في مقدمتها التناسل ، وبقاء النوع الإنساني لعمارة الأرض ، وليسكن كل زوج إلى زوجته وتقوى بينهما أواصر المودة والرحمة ؛ وبهذا يتم الوئام بين الزوجين . ويتعاونان على السراء والضراء ، فتصلح الأسرة وبصلاحها يصلح المجتمع ، ويبلغ أعلى الدرجات .

ولا يتحقق ما يهدف إليه الإسلام من الزواج ، إلا إذا بنيت الحياة الزوجية ، على الائتلاف والإخلاص ، وتوافق الطباع ، وحسن المعاملة ، أما إذا تنافرت الطباع ، واستحكمت أسباب النزاع ، وعز الوفاق ، بات الفراق أسلم السبل ، وأبعدها عن الضرر والإرهاق . وقضاء على هذه الأمور التي يجوز أن تعترض الحياة الزوجية ، فتعكر صفوها ، وتجعلها أشبه بأتون مستعر ، أباح الإسلام الطلاق ، لأن سد بابه عند الحاجة إليه ، إضرار بالزوجين ، وإعنات يجر إلى الأذى ، ويجعل الحياة بغيضة ، ثقيلة الوطأة ، كثيرة الشرور والآثام .

على أن الإسلام ، مع إباحته الطلاق ، اعتبره علاجا قاسيا ، ودواء مرا ، وحث الأزواج على عدم طرق بابه ، إلا عند الضرورة القصوى ، كما يفهم من قول الرسول الأعظم ، صلى الله عليه وسلم : « أبغض الحلال الى الله الطلاق » ، وقد صح عنه ، عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم ، أنه قال « ما أحل الله شيئا أبغض إليه من الطلاق » ، ويتبين من هذا أن الشرع الشريف ، لا يحب فصم عرا الحياة الزوجية ، ولا يدعو إليه ، بلا موجب قوى ، لأن فى التفريق بين الزوجين ، بلا مبرر تفريقا لشمل أسرة كانت آمنة مجتمعة ، وتخريباً لبيوت كانت آهلة عامرة .

ولقد حرص الدين كل الحرص ، على الوفاق بين الزوجين وحسم ما قد ينشأ بينهما من خلاف أو نزاع ، بوسائل شتى ، حتى فى الأحوال التى تركب المرأة فيها رأسها وتخرج عن طاعة زوجها ، فقد دعا الرجال إلى التزام جانب الحكمة والروية ، وأرشدهم إلى سلوك السبيل المحقق للأمل المنشود ، بحزم وأناة ، وفى ذلك يقول الله جل علاه :

« واللاتى تخافون نشوزهن ، فعظوهن ، واهجروهن فى المضاجع ، واضربوهن ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ، إن الله كان عليا كبيرا » (١)

فالعلي القدير ـ سبحانه ـ يأمرنا بالتدرج في المعاملة والتأديب ، بالوعظ ، ثم بالضرب الشرعي غير المبرح ، فإن أدى ذلك إلى الطاعة والوفاق ، فليس وإلا فالتحكيم الذي أمر به تبارك وتعالى ـ بقوله .

« وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله ، وحكما من أهلها ، إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما ، إن الله كان عليما خبيرا » (٢) .

أما إذا كان النشوز أو الأعراض ناشئا من جانب الزوج ، فقد حث العزيز الحكيم على الوفاق ، بقوله عز من قائل : « وإن أمرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا ، فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا ، والصلح خير ، وأحضرت الأنفس الشح ، وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا . (٣) .

فالإسلام جد حريص على الوفاق ، ودوام الألفة بين الزوجين ، واستمرار الحياة الزوجية ، ولا يبيح الطلاق ، إلا إذا استفحل الشقاق ، وأمسى لم الشمل مستحيلا ، أو في حكم المستحيل ، وقد تكون المرأة عقيما لا تلد فللزوج في هذه الحالة أن يجمع بين زوجتين إن كان قادرا ، فإن عجز عن ذلك فليس هناك ما يؤدي إلى التناسل ، الذي عليه عمارة الكون ، إلا مفارقة زوجه العقيم وقد تكون الزوجة سيئة الخلق لا ترعوي ، فتحيد عن أوامر الدين ، فالطلاق حينئذ أضمن وسيلة للابتعاد عن الوقوع في أحضان الشر .

ومن هذا يتضح جليا أن الشرع الشريف لم يجز الالتجاء إلى الطلاق إلا عند الضرورة الملحة ، ولقد كان كثير من الأمم غير المسلمة يعيبون نظام الطلاق في الشريعة الإسلامية ، ويرون فيه حطا من كرامة المرأة ، وتلاعبا من جانب الرجل بالحياة الزوجية ، ولكن الأيام كشفت لهم عن صوابه والحكمة منه ، فأيقنوا أن منعه منعا باتا مخالف لسنة الاجتماع وقواعده ، وتضييق . وخطر على الحياة الزوجية ، وفتح لباب الجرائم الخلقية ، واختلاق الأسباب التي تزلزل كيان الزوجين ، فأخذوا به وأباحوه ، وأصبحوا يطلقون ، ولا يرون في ذلك غضاضة ولا عيبا .

والدين الأغر حين أباح الطلاق ، أجاز رده مرة ومرة ، وفي ذلك يقول مولانا جلت حكمته : « الطلاق مرتان ، فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان » (١) فإن جاوز المرتين إلى

---

(١) الآية رقم ٣٤ من سورة النساء .

(٢) الآية رقم ٣٥ من سورة النساء .

(٣) الآية رقم ٢٢٨ من سورة النساء .

(١) الآية رقم ٢٢٩ من سورة البقرة .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الثالثة ، دل هذا على أن الحياة الزوجية قد باتت مصدعة الأركان ، وأن المعاشرة قد أمست عسيرة ، فلا يجوز الرجوع إلا بشروط أخرى شديدة ، هى بمثابة التأديب لكل من الزوجين ، وفى هذا يقول اللطيف الخبير : « فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره ، فإن طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا إن ظنا أن يقيما حدود الله ، وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون [1] » .

وبهذ التشريع الحكيم قضى الإسلام على فوضى أهل الجاهلية ، فقد كان الرجل منهم يطلق زوجته ثم يراجعها ، ويفعل ذلك مراراً ، لا لغرض سوى التنكيل بها ، فجاء الدين بهذا النظام المتين ، الذى يرفع الظلم عن كاهل المرأة ، ويجعل الحياة الزوجية أكثر ثباتا واستقرارا .

وإنما جعل الدين الشريف الطلاق بيد الرجل ، لأنه أصبر على المكاره ، وأملك لنفسه عند الغضب ، وبقدر التبعات الناجمة عن الفرقة ، ويحرص على بقاء الزوجية ، ويقدر على معالجة الخلاف بحزم وبعد نظر ، وما يتحمله من أعباء مالية فى الإنفاق على مطلقته أثناء العدة ، ودفع مؤخر الصداق ، وما يتكلفه من مهر جديد إذا أراد التزوج ثانية ، كل ذلك يجعله أكثر حذراً وتبصراً فى العواقب .

أما المرأة فإنها سريعة الانفعال والتأثر ، تستسلم كثيراً للأهواء وليس عليها من الأعباء المالية ما يدعوها إلى الإحجام عن الطلاق ، ولم يرض لها الدين أن تقيم فى أحضان الذل والهوان وسوء المعاملة ، بل أمر الزوج أن يعاملها بالحسنى ، ويترفق فى معاشرتها ، فإن نأى عن ذلك جاز لها أن تطلب من القاضى الفراق .

وأخيراً - فإن من أهم الوسائل التى تجعل الحياة الزوجية ثابتة مستقرة ، أن يعنى من يرشح نفسه للزواج ، العناية الكبيرة باختيار زوجه ، وأن يتقارب الزوجان فى السن ما أمكن ، وأن تتحقق الكفاءة بينهما بقدر المستطاع .

ولا يند عن أذهان الرجال ، قول الرسول عليه الصلاة والسلام : « تنكح المرأة لأربع لمالها ، وجمالها ، وحسبها ، ودينها ؛ فاظفر بذات الدين تربت يداك » ؟

أحمد على منصور

---

(١) الآية رقم ٢٣٠ من سورة البقرة :

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

رسالة المسجد في نشر الثقافة والحضارة

للأستاذ أحمد الشرباصي

— ٢ —

مساجد ذات أثر :

إن نظرة سريعة نلقيها على تاريخ المساجد الكبرى في المجتمعات الإسلامية ترينا أنها كانت مناهل ثرارة للثقافة والتعليم والحضارة ، فجامع عمرو الذي بناه سنة إحدى وعشرين ، ثم زيد فيه بعد ذلك ، صار مدرسة ثقافية ، ومحكمة للقضاء ، وكان سليمان بن عتر التجيبي يسرد فيه القصص الوعظ ، وشاهد فيه محمد ابن عبد الرحمن الحنفي - قبل سنة تسع وأربعين وسبعمائة - أربعين حلقة لتدريس العلوم .

وكان فيه - كما يروي المقريزي - ثمان زوايا لتدريس العلوم ، منها زاوية الشافعي المنسوبة إلى الإمام الشافعي ؛ لأنه درس فيها ، وكان قد سمع بجامع عمرو قبل مجيئه إلى مصر ، وتطلع إلى التدريس فيه ، بسبب شهرته وحديث الناس عن الأئمة الذين يدرسون فيه ، ولما جاء الشافعي إلى مصر ، جلس في المسجد ، وعرض على الناس مذهبه وفقهه ، وتكاثر من حوله التلاميذ والمستمعون والمستفتون ، وذاعت شهرة الشافعي ، وكان يملي ما يريد في تعمق وتوسع ، ومن وراء هذه الدروس كان كتاب « الأم » الجليل في الفقه ، وكتاب « السنن » في الحديث .

وكان يبدأ تدريسه عقب صلاة الصبح ، فيجلس إليه أولا طلبة الحديث ، فإذا ارتفعت الشمس انصرفوا ، وعقدت حلقة المناظرة والمذاكرة ، فإذا ارتفع النهار أقبل عليه طلاب اللغة والشعر والنحو ، ويظلون هكذا حتى الظهر .

* * *

وبقي الشافعي يفيض على الناس من علمه في جامع عمرو حتى مرض مرضه الأخير ، ولم يستطع الانتقال إلى المسجد ، وتنافس على أن يخلفه في التدريس « البويطي » و « ابن عبد الحكم » ، واستاء أبو بكر الحميدي من هذا الصراع ، وكان من المقربين إلى الشافعي ، فذهب إليه الحميدي ، وسأله عن أحق الناس بمجلسه ، ورجع ليقول للقوم : إن الشافعي يقول : ليس أحد أحق بمجلسي من يوسف بن يحيى ، وليس أحد من أصحابي أعلم منه ! .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وغضب البويطى وابن عبد الحكم ، واتهما الحميدى بالكذب ، وحدث بين الثلاثة صراع وجدال ، وأعرض ابن عبد الحكم ، واتخذ له مجلسا ، واستقبل البويطى الفرصة وجلس مكان الشافعى ، وواصل التدريس للناس !.

* * *

ومن الزوايا الثمانية المشار إليها الزاوية المجدية التى درس بها قاضى القضاة عبد الوهاب البهنسى ، والزاوية الصاحبية لمذهبى المالكية والشافعية .

ويروى ياقوت أن شيخ المفسرين ابن جرير الطبرى جلس فى هذا الجامع - يطلب من أبى الحسن بن سراج - وأملى دروساً فى التفسير والفقه والحديث واللغة والشعر والنحو . كما أنه قد درس فى هذا المسجد طائفة من الأئمة الأعلام : أمثال عبد الله ابن وهب ، والليث بن سعد ، ويوسف ابن يحيى ، وأبو بكر الحميدى .

* * *

وهذا جامع الكوفة نراه يؤثر تأثيراً واضحاً فى الحضارة العراقية ، إذ كان مركزاً من مراكز الحياة العامة - كما يقول بعض المؤرخين - ويجتمع فيه الناس ، وتذاع منه قرارات الدولة ، ويعلن منه الحاكم سياسة حكمه ، كما كان لهذا الجامع أثر واضح فى الحياة الأدبية والعلمية ، إذ كان الشاعر « الكميت » يقوم بالتدريس فيه ، وكان الشاعر نصيب ابن أبى رباح ينشد أشعاره فيه ، وكذلك أمر عبد الملك بن مروان الشاعر الأخطل بأن يمدحه على منبر هذا المسجد .

* * *

وكان المسجد الأموى بدمشق مركزاً ثقافيا ضخما ، فيه زوايا للتدريس ، ومساكن للطلبة الغرباء ، ومقاصير لتدريس المذاهب الفقهية ، وزوايا للانفراد ولنسخ الدروس فيها ، وكان للخطيب البغدادى حلقة كبيرة بهذا المسجد سنة ست وخمسين وأربعمائة للهجرة وكانت حلقة تنعقد كل يوم .

وكان جامع المنصور ببغداد مدرسة كبيرة تتجه إليها عيون العلماء والطلاب ، حتى إن الخطيب البغدادى ذكر فى كتابه « تاريخ بغداد » أنه لما حج وشرب من ماء « زمزم » سأل ربه تبارك وتعالى أن يحقق له ثلاث أمنيات ، من بينها أن يملى الحديث فى جامع المنصور ببغداد .

وكان الكسائى يقرأ علوم اللغة فى هذا المسجد ، ومن تلاميذه فيه الفراء ، والأحمر ، وابن السكان ، وفى هذا الجامع أملى أبو عمرو الزاهد كتابه « الياقوت » وقد بدأ تدريسه ومحاضرته فيه فى شهر المحرم سنة ست وعشرين وثلاثمائة للهجرة ، ولما أتم إملاء الكتاب المذكور

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

رجع فأعاد قراءته ، وهذبه ونقحه وزاد عليه .

وفى هذا المسجد كان الشاعر المعروف أبو العتاهية يملى شعره - كما ذكر ذلك أبو الفرج الأصفهانى فى كتابه « الأغانى » - ولقد قص علينا أبو الفرج فى الجزء الثالث من كتابه مثلا أن أبا العتاهية أنشد فى جامع المنصور على جماعة من الناس الأبيات التالية :

لهفى على ورق الشباب
وغصونه الخضر الرطاب
ذهب الشباب ، وبان عنى
غير منتظر الإياب
فلأبكين على الشبا
ب ، وطيب أيام التصابى
ولأبكين من البلى
ولأبكين من الخضاب !

وكان ينشدها والدموع تسيل على خديه ، والناس من حوله تكتب الأبيات !

* * *

وأما الجامع الأزهر الشريف فالحديث عنه يطول ويطول ، ولو أردنا أن نلخص ماكان له من آثار فى نشر الثقافة الإسلامية خلال أكثر من ألف عام لاحتاج التلخيص إلى مؤلف مستقل ، فكيف بحديث التفصيل والتحليل ؟ .

ويمكن أن ندرك ملامح هذه الآثار إذا رجعنا ، إلى ما كتبه الأساتذة محمد عبد الله عنان ، وعبدالحميد يونس ، ومحمود أبو العيون ومحمد عبد المنعم خفاجى ، وغيرهم من مؤلفات عن الأزهر الشريف .

وحسبنا على سبيل المثال أن نعرف أنه قد درس فى الأزهر الشريف حلقة فى كل علم إسلامى ، ومنهم أبو القاسم الرعينى الشاطبى ، وابن خلدون ، وابن الدماميني ، والفخر البلبيسى ، وابن الملقن ، وابن حجر ، والسيوطى ، والمقريزى ، والقلقشندى ، وشرف الدين المناوى ، والبلقينى والسخاوى وغيرهم ، وغيرهم .

ولجلال الرسالة التاريخية الممتدة للأزهر الشريف خلال التاريخ الإسلامى نجد « ميثاق العمل الوطنى » يقول عن الشعب المصرى : إنه « تحمل المسئولية الأدبية فى حفظ التراث العربى الحضارى وذخائره الحافلة ، وجعل من أزهره الشريف حصنا للمقاومة ضد عوامل الضعف والتفتت » .

ويقول : « ولم تكن الحملة الفرنسية مع مطلع القرن التاسع عشر هى التى صنعت اليقظة المصرية فى ذلك الوقت كما يقول بعض المؤرخين - فإن الحملة الفرنسية حين جاءت إلى مصر وجدت الأزهر الشريف يموج بتيارات جديدة تتعدى جدرانه إلى الحياة فى مصر كلها » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وأما جامع قرطبة فحسبنا أن ننقل عنه ما جاء فى الجزء الثانى من كتاب « مساجد ومعاهد » وهو :

« إن جامع قرطبة كان يعد أعظم جامعة غربية فى أوربا فى العصر الوسيط ، وقد قيل إن الراهب (جيربير) الذى أصبح فيما بعد (البابا سلفستر الثانى) أتم دراسته فى جامع قرطبة . ولا نشك فى أن كثيرين من نصارى الأندلس الذين كانوا يعيشون تحت ظل المسلمين قد تعلموا فيه علوم العربية ، واستعربوا - أى تثقفوا بالثقافة العربية - إذ وجدوا أنفسهم مضطرين إلى مشاركة المسلمين فى حياتهم ، رغبة فى تقلد المناصب الكبرى فى الإدارة ودواوين الحكومة ، وقد نبغ بعضهم فى آداب اللغة العربية ، وظهر منهم الشعراء والكتاب » .

* * *

ولو انتقلنا إلى جنوب وادى النيل - السودان - لوجدنا أن المسجد هناك قد قام برسالة كبيرة فى مجالات الثقافة والتوجيه ، فقد عرف السودان - كما جاء بكتاب دور المساجد التاريخى - نظام « الخلاوى » وهى أمكنة يؤمها الطلاب لحفظ القرآن المجيد ، وتعلم أحكام التجويد ، فإذا انتهى الطالب من حفظ القرآن ، وتعلم أحكام ترتيله ، شرع يتلقى العلم والتصوف من بعض العلماء .

ثم جاء من عمل على أن تختص « الخلاوى » بتحفيظ القرآن وتعليم التجويد ، وأن تختص المساجد بتدريس العلوم الأخرى ، فصارت المساجد معاهد علمية يقوم بالتدريس فيها علماء أجلاء لم يكونوا من أبناء السودان فقط ، بل رحل إلى السودان علماء من أقطار شتى ، وجلسوا فى المساجد هناك يعلمون الناس ، ومن هؤلاء محيى الدين بن عربى ، والجنيد ، والحلاج ، وأبو الحسن الشاذلى ، ولما كان الكثير من هؤلاء من أعلام الصوفية فقد انتشر التصوف فى السودان انتشاراً كبيراً ؟

أحمد الشرباصى

بين ربيعة الرأى وأعرابى

تكلم ربيعة الرأى يوما بكلام فى العلم فأكثر ، فكأن العجب داخله ، فالتفت إلى أعرابى إلى جنبه فقال : ما تعدون البلاغة يا أعرابى ؟ قال : قلة الكلام وإيجاز الصواب . قال : فما تعدون العى ؟ قال : ما كنت فيه منذ اليوم ! فكأنما ألقمه حجراً .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الثورة الثقافية في الإسلام

للأستاذ حسن فتح الباب

— ٢ —

العلوم الإسلامية تتناول الدين والدنيا :

لا يقتصر مفهوم العلم في الإسلام على الجانب الديني منه ، بل يشمل جانبه الدنيوي كذلك ، تشهد بذلك حقائق العقيدة الإسلامية وتاريخها المجيد ، ذلك أن الإسلام يتميز عن الرسالات السماوية السابقة بأنه دين ودولة ، فلا رهبانية فيه وهو دين العمل والكفاح الإيجابي في سبيل العيش الكريم ، حتى لقد رفع قيمة العمل على قيمة العبادة وحدها لأن العمل نفسه عبادة . والعمل مرتبط بواقع الإنسان ، وقد حث الإسلام على العمل الصالح في سبيل سعادة الإنسان في الحياة الدنيا والآخرة ؛ وجاءت الآيات القرآنية في أكثر من موضع تشير إلى هذا المضمون وتؤكده .

ومن ثم كانت الدعوة العلمية في الإسلام تنصرف إلى الحث على تحصيل العلوم الدينية والدنيوية جميعا ، لأن الهدف من نشر العلم هو هداية الفرد وإصلاح المجتمع ، وما في ذلك من تحقيق لمصلحة العمران في العالم . وإذا تأملنا تلك الحكمة التي وردت في الأثر : « اطلبوا العلم ولو في الصين » ، وجدنا دلالة أخرى على هذا المعنى ، إذ لا يستقيم في المنطق أن يتكبد المسلم مشاق الرحلة إلى الصين والبعد عن مهبط الوحي في الجزيرة العربية ليلتمس التفقه في الدين على أيدي قوم لم تبلغهم دعوة الرسول ، وإنما القصد أن يحيط بما أوتيه أهل الصين من علوم ومعارف تصلح بها أمور الدنيا .

كما نجد مصداق ذلك في حث الرسول صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة على تعلم السريانية ، وهي لغة أجنبية لا يستزيد بها المسلم علما بدينه وإنما ينتفع بها في دنياه . وفي قوله ، عندما سئل عن النخل وتلقيحه ، ما معناه أن هذا من أمور الدنيا التي يرجع فيها إلى التجارب والعقل ، وأن الناس أعلم بأمور دنياهم .

ولقد نبغ كثير من المسلمين الأوائل في العلوم الدينية والدنيوية معا ، فكانوا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فقهاء فى الشريعة وعلمـــاء فى الفلسفة والرياضيات ، ومنهم من كان يجمع بين التفقه فى الدين والعلم الراسخ فى الطب .

والإسلام دين حضارة ، فلا غرو أن يدعو إلى التعمق فى شتى العلوم والفنون وأن يفتح النوافذ ويفسح المجال للأخذ من كل علم بطرف .

ولقد أستندت الحضارة الإسلامية إلى دعائم من علوم الدين والدنيا معا ولا تفضيل لعالم على آخر بنوع ما يحصله من علم ، وإنما بإخلاصه فيه واستخدامه فى سبيل خير الناس ورخائهم ، ذلك أن العلم فى الإسلام سبيل لخدمة الدين والمجتمع معا ، فأما علوم الدين فهى تبين أحكامه للهداية إلى حقيقة العبادات وأما علـــوم الدنيا فللإرشاد إلى أصلح المعاملات .

الفتوح الإسلامية أحداث ثقافية كبرى

ولقد أثمرت تلك التعاليم الرائدة التى بثها الرسول فى نفوس المسلمين تمجيداً للعلم وتكريما للعلماء فيما أعقب العهد الأول للإسلام من عصور زاهرة ارتفعت فيها أعلام دولة فى أقاصى العالم وطبقت حضارته الآفاق .

فالواقع أن الفتوح الإسلامية لم تكن أحداثا سياسية أو حربية فحسب ، إذ تبلورت فى شكلها إلى أحداث ثقافية رائعة . وآية ذلك ما أعقب الفتح العربى لشبه جزيرة أيبريا « الأندلس » من نهضة علمية أعملت العقل البشرى لاكتشاف الكثير من المجاهل التى لم يطرقها من قبل ، ثم حفزت هذا العقل على التنقيب والاختراع والابتكار وأفسحت له الطريق ليسير بأبحاثه واكتشافاته بما لم يتيسر للإنسان فى يوم ما ، يشهد بذلك ما أنتجته العبقرية الإسلاميه فى أسبانيا تحت رعاية الخلفاء وأرباب الدولة الأموية فى أعوام قلية إذا قيست بمر التاريخ المديد .

ومن الثابت كذلك أن من العناصر الأساسية التى جعلت سرعة الفتوح الإسلامية أشبه ما تكون بالأساطير ، أن العرب كانوا يحملون لواء حضارة جديدة تفوقت على حضارة الدول المغلوبة فانساب الفتح الإسلامى فى طريقه كالسيل الدافق فى أفريقيا وآسيا ، وحطم دولتين عظيمتين كان بيدهما زمام العالم ومصيره إذ ذاك ، ثم اتجه إلى أوربا فأمدها بحضارة إنسانية زاخرة ظل يحمل مشعلها فى جميع أرجاء العالم عشرة قرون من الزمان .

المبادىء والقيم العلمية والثقافية فى الإسلام

لم يكد يبزغ فجر الإسلام ، حتى بهرت

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

العالم إشراقته الفكرية ، فكانت الدعوة إلى التأمل فى خلق السموات والأرض أساس الدعوة إلى الإيمان بالله واعتناق شريعته السمحة وكان منهاج الإسلام فى نشر المعرفة بث التوعية بحقائق الحياة والعقيدة فى النفس البشرية بقصد تهذيب هذه النفس ورفعها من ظلمات الجهالة إلى آفاق الفكر المستنير ، حتى تصبح طاقة قوية قادرة على مشاركة مجتمعها فى معركة الإيمان والبعث والتقدم .

ومن أجل تحقيق هذا الغرض وهو إصلاح النفس والجماعة فى سبيل إصلاح العالم كوحدة واحدة متماسكة ، نهج الإسلام سبيل العمل الشورى فى نشر رسالته الفكرية حتى يتكافأ أسلوب العمل مع أهمية تلك الرسالة وخطرها .

وإذا كان المقصد الأسمى للعلم والثقافة فى الإسلام هو جعلهما سبيلا إلى هداية الفرد واتصاله بالله ، وإلى تقويم الأسرة البشرية جميعا وتحقيق آمالها فى العيش الحر الكريم ، فلا عجب أن تساير هذه الغاية الحميدة وسيلتها بين الناس ، فتحاط تلك الوسيلة بسياج من المثل العالية يحميها من التردى فى وهدة الإثم والانحراف .

وهكذا وضع الإسلام للنهضة العلمية والثقافية دليلا للعمل منبثقا من دعوته السماوية وغايته المثالية فى الدين والدنيا . وأقام هذا الدليل على أسس ثابته ودعائم وطيدة حتى يرتفع البناء شامخا خالدا على مدار الأجيال والأحقاب .

وكان هذا المنهاج فى سداده وقوته مرشدا أمينا قادرا على الدلالة على أهدافه الصالحة ، باعثا على الإيمان بها ؛ ومن ثم أرسى الرسول الكريم مستلهما كتاب الله عز وجل أصلح المبادىء وأشرف القيم والتقاليد للنهوض بالجانب الثقافى من رسالته ، فأمر بمكارم الأخلاق فى طلب العلم ، ونهى عن دنايا الخلال وقبائح الفعال .

فالإسلام يحرم الرأى القائل بأن الغاية تبرر الوسيلة ، ويضرب على أيدى الآخذين بتلك « الميكافيلية » الخادعة ، لأنه دين الحق والخير والفضيلة . ومهما عظم الهدف ودعت الحاجة إلى العجلة فى بلوغه ، فلا سبيل إلى ذلك إلا بانتهاج الطريق القويم وإن كلف السائرين فيه ضروبا من المشقة والعناء ، بل إن القصور أو التأخير فى تحقيق الأهداف السامية لأهون فى الإسلام من أن يسعى إليها على مركب وعر يحط بشرف الإنسان ويزرى من شأنه ، فما قيمة العلم والثقافة بغير رصيد من نبل السجايا وسمو المناقب ؟ .

وإذا كانت رسالة البعث العلمى ترمى إلى تحرير العقل البشرى وتطهيره من رواسب الجهل وزيف الباطل وخداع الأوهام وتيسير

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الطريق له للاهتداء إلى الحق ، فكيف يستقيم أن يكون السبيل إلى تأدية هـذه الرسالة هو اطراح المثل الفاضلة والانحراف عن القيم الخلقية الرفيعة ؟ .

وليس أدل على ذلك من أن انتشار الثقافة الصحيحة لا يصحبه أزمات اجتماعية ، فإذا نشأت هذه الأزمات برغم النهوض العلمى والثقافى كانت تلك ظاهرة على قلق العصر ودليلا على أن العلم لم يقم بدوره فى تأمين البشرية فى مواجهة الأخطار التى تتعرض لها .

وقد نبعت الأسس والشروط التى وضعها الإسلام صونا لشرف الرسالة التى يضطلع بها العلم والثقافة ، من المبادىء الإسلامية العليا التى جاءت بها شريعته الغراء ، والتى استقرت أصولها فى ظل الدولة الإسلامية الأولى ، ثم آتت ثمارها فى الدولتين العباسية والأندلسية فأبدعت للعالم حضارة زاهرة خصبة أغنت وجدان العالم كله لقرون طوال ، ودفعت سلالات من الأحياء فى طريق التقدم وأكتشفت آفاقا جديدة من طبيعة الكون والحياة .

ويجمل بنا قبل أن نتناول تلك القيم والتقاليد التى أرساها الإسلام فى رسالته الثقافية أن نقدم ملامح من مبادىء الإسلام الخالدة التى شكلت التربة الصالحة لهذه القيم والجو الذى لتلك التقاليد .

فقد كانت تلك المبادىء بمثابة الأسس والقواعد التى التزم بها المسلمون الأوائل فى طلب العلم والضمانات التى استوحوها من عقيدتهم السمحة للنهوض بالثقافة فى البيئة الإسلامية وفقا لروح الإسلام وشريعته .

ومن هذه القواعد والضمانات التى تقوم عليها الثقافة ما تلتزم به السلطة الحاكمة أو الدولة ، ومنها ما يلتزم به الأفراد أو الشعب .

المبادىء الإسلامية
فى المجال العلمى والثقافى

إن العلم حق للفرد وواجب على الدولة . وينبثق هذا المبدأ من القانون الدستورى الإسلامى الذى يلزم الحاكم بالعمل على إشباع الحاجات المادية والمعنوية المشروعة للرعية ، فلا يحجم عن كفالة هذه الحقوق الدستورية للجماعة ـ ومنها حق العلم والثقافة ـ غير الحاكم الظالم ولا طاعة لمخلوق فى معصية .

والإسلام شريعة الحق والعدل ، ومن العدل أن تتحقق المساواة بين الناس فيما تخلعه عليهم الدولة من حقوق ، فلا تمييز فى حق التعلم والتزود بالثقافة بين فرد وآخر ، وإنما الفرصة متاحة للجميع على قدم التكافؤ

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والمساواة ، ولا تفرقة بين فئة وغيرها لأنه لا طبقية ولا عنصرية ولا امتياز لجماعة دون غيرها فى الإسلام ، بل الأكرم والأفضل عند الله هو الأتقى .

والضمان الحقيقى لعدم استغلال هذا الحق أو التمتع بتلك المساواة هو الإخاء والتعاون ، فى ظل التكافل والمشاركة تعم وسائل العلم والمعرفة وتؤتى ثمارها لصالح الأفراد والجماعات ، ومن ثم دعا الإسلام إلى اشتراكية الثقافة وخطط لهذا الاتجاه فى كافة الميادين كيلا يصبح العلم وقفا على أفراد معينين ، وسداً لمنافذ احتكار العلم والانتفاع به فى تحقيق مغانم ذاتيـــة أو أطماع طائفية .

تلك هى المبادىء الإسلامية الإساسية التى تلتزم بها الدولة فى المجال الثقافى ، وتحرص على كفالتها وحمايتها ودعمهما فى المجتمع إيمانا برسالتها وتحملا لمسئوليتها غير أنها فى سبيل إرساء هذه المبادىء ، وتأكيدها لا تعمد إلى القهر والعسف ، ولا تقيم من نفسها وصية أبدية على الناس فى جميع شئونهم الفكرية ، وإنما تكتفى بالإشراف الأعلى ضماناً لهذه المبادىء ، فلا تتدخل إلا حيثما تدعو الحاجة إلى الذود عن هذا البناء فى مواجهة خطر طارىء أو شر يطل برأسه ولا طاقة للرعية بدفعه ومكافحته ، ومن ثم حرصت الدولة الإسلامية فى ضوء تعاليم دينها الحنيف على أن تبث فى نفوس رعيتها الإيمان بقيمة الثقافة فى النهوض بالفرد والمجتمع من طريق الإقناع بالحسنى ، حتى تستقر فى نفوسها تلك المفاهيم وتتبلور قيما وتقاليد يستطيع بفضلها الشعب أن يشارك دولته فى تحقيق أهدافها العلمية والثقافية منبثقاً من إرادته الحرة ودوافعه الوجدانية .

القيم والمقاييس العامة:

فى الثقافة

وقامت فلسفة الإسلام فى هذا المجال على أساس أن الفرد من أجل المجموع ، والمجموع من أجل الفرد ، فلا ارتفاع لأحدهما على حساب الآخر ، فالمجتمع بناء هرمى متماسك فى قمته أجهزة الدولة الموجهة ، وفى قاعدته الأفراد العاملون ، ولا قيام للقمة بغير قاعدة كما أنه لا قاعدة بغير قمة .

وتطبيقاً لهذه الفلسفة جعل الإسلام من التربية الاستقلالية التى تهدف إلى بث الثقة بالنفس والاعتماد عليها منهاجا لتقويم الأفراد حتى ينشئوا كراما أعزة فى ظل مجتمع حر ، يفتدونه بأرواحهم إيماناً منهم بعظمة الحرية التى تشبعت بها نفوسهم فجرت فيها مجرى الدماء فى العروق .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الإسلام بين العلم والعمل :

وهكذا دعا الإسلام إلى التوسل فى طلب الثقافة بالقيم الأخلاقية المثلى فهى الدرع الواقى لمبادئه والباعث على تحقيق غاياته . وتتسق هذه الوجهة التى انتهجتها الدعوة الثقافية مع روح الدعوة الإسلاميه وطبيعتها ذلك أن الإسلام ينفرد دون سائر الديانات السماوية بهذا المنهاج البين الرشيد الذى رسمه لعلاج ما يعانيه المجتمع من مشكلات علاجا موضوعيا جذريا يقوم على العلم والعمل فلم يكن اهتمام الإسلام بوضع النظرية أقل منه فى ملاحظتها فى مرحلة التطبيق ، إذ كان من توجيهات الرسول التى أتبعها الخلفاء والأئمة من بعده أن يتسلح المؤمن بالوعى الذى يتاح له من التأمل فى عالم فى عالم النفس والكون ، والخبرة التى يحصلها من ممارسته للحياة وما يخوضه من علاقات مع الآخرين .

ومن هنا كان الإسلام ديناً ودولة ، عبادة ومعاملة ، وكان العلم - وهو من دعائم هذا الدين وأركان هذه الدولة - يجمع بين النظرية والتطبيق فلا غرو أن يحدد الإسلام الملامح الرئيسية للمفهوم العلمى والثقافى حتى لا ينحرف به مريدوه عن مقاصده الجليلة ، وأن يوجه طلاب الثقافة وقادتها إلى الطريق الصحيح الذى يصل بهم إلى غاياتهم فى إطار الروح الإسلامية ، وأن يبين لهم المناقب النبيلة التى ينبغى أن يتحلوا بها ، وفى وصف العلم الحق الذى يحث الرسول على انتهاجه ، يقول صلى الله عليه وسلم : « إنه الأنيس فى الوحشة ، والصاحب فى الغربة ، والمحدث فى الخلوة ، والدليل على السراء والضراء ، والسلاح على الأعداء ، وبه يعرف الحلال من الحرام وهو إمام العمل والعمل تابعه » ؟

حسن فتح الباب

بلاغة إياس المبكرة

دخل إياس بن معاوية الشام وهو غلام : فقدم خصما له إلى قاض لعبد الملك ، وكان خصمه شيخاً كبيراً ، فقال له القاضى : أتقدم شيخاً كبيراً ؟ فقال له إياس : الحق أكبر منه . قال له : اسكت . قال : فمن ينطق بحجتى ؟ قال : ما أظنك تقول حقاً حتى تقوم . قال : أشهد أن لا إله إلا الله . فقام القاضى فدخل على عبد الملك فأخبره بالخبر . فقال : اقض حاجته الساعة ، وأخرجه من الشام حتى لا يفسد على الناس .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

موقف الإسلام من النظريات الإنسانية في أصل الكون ونشأة الحياة

للأستاذ سعد السيد عمر

من المسلم به أن البحث والنظر ، وإعمال الفكر فى الكون أرضه وسمائه هو طريق المعرفة الصحيح ، والكشف عن بعض ما أودع الله فى هذا الكون من أسرار هو الذى أدى إلى السير بالحياة ، فى طريق النهوض والكمال .

والدين الإسلامى لم يحجر على العقول أن تنظر وتفكر فى هذا الكون ، بل هو على العكس من ذلك فقد حطم الحواجز والسدود من طريق الفكر الإنسانى ، ودفعه إلى النظر فى ملكوت الله من هذا الكون بأقوى ما عرف فى تاريخ الأديان السماوية . يقول الله تبارك وتعالى فى سورة العنكبوت : « قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة إن الله على كل شئ قدير » ، ويقول فى آيات أخرى « قل انظروا ماذا فى السموات والأرض » و « إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب ، الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا » .

هذا وغيره من أساليب الدفع إلى النظر وإعمال الفكر قد وصل إلى حد أنه وجه اللوم والتقريع إلى الذين يهملون استخدام وسائل المعرفة والنظر فشبههم بالأنعام بل وسمهم بأنهم أضل منها فى قوله تعالى فى سورة الأعراف : « لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون » .

وما ذلك إلا لأن إعمال فكر الإنسان فيما حوله ونظره الصحيح قد يهديه فى النهاية إلى الإيمان برب هذا الكون ، والإسلام ينظر إلى المعرفة على أنها طريق الإيمان الثابت الراسخ ، فكلما قطع الإنسان فى طريقها الصحيح شوطا حصل بنفس النسبة على القدر المناسب لذلك من اليقين ، فإذا كنا نعيش فى عصر طفرت فيه العلوم والمعارف وسارت إلى أبعد مدى فى دنيا البحوث والكشوف والتطبيق والنهوض بالحياة ، فإننا نأمل

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أن يكون فى مجال هذا التقدم مدد من اليقين يزداد به المؤمن إيمانا ، ويشهد فيه غير المؤمن ناحية من نواحى التقاء العلم بالدين حين يفصح الكشف العلمى عن حقيقة من الحقائق العلمية التى تضمنها نص من النصوص الدينية ، فمثلا نقرأ قول الله تعالى من سورة الحجر : « وأرسلنا لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين » ثم نربط بين ما نفهمه من الجزء الأول من الآية وبين ما أثبته الكشف العلمى من تلقيح النبات عن طريق حمل الرياح مواد التلقيح من الذكور للإناث ليتم الإخصاب .

وفى ضوء ما تقدم وأشباهه ندرك موقف الإسلام من الكشوف العلمية الصحيحة التى وصل إليها الإنسان عن طريق البحث والنظر ومدى تحريره للعقل الإنسانى فى البحث فهو لا يحول بينه وبين البحث لمعرفة أصل الأرض أو نشأة الكون وأصل الحياة ، بل إنه ليطلق له العنان لينظر ويبحث ، وقد يصل وقد لا يصل .

كذلك ندرك على قدر فهمنا وجه تكريم القرآن للعلماء فى قول الله تعالى من سورة فاطر : « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ومن الجبال جدد وبيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ، ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء » . وكثيراً ما يتساءل الناس عن وجود نص فى القرآن وهو دستور الإسلام ، يصل الإنسان فى ضوئه إلى معرفة أصل الكون ونشأة الحياة .

ونحن بادئ ذى بدء نوجه الأنظار إلى ما هو معروف من أن القرآن وغيره من الكتب السماوية لها رسالة أبان القرآن الكريم عنها هى الهداية والإرشاد والتذكير والإنذار كما أنه دستور لتنظيم الحياة المثلى للمجتمع الإنسانى .

وإذاً : فليس القرآن مرجعاً علميا لجغرافية الأرض ومعرفة أصلها وتاريخ نشأة الحياة عليها بالمعنى الذى يفهم من كلمة المراجع ، كما أنه ليس مرجعا لعلم الطبيعة أو الكيمياء أو الجيولوجيا يبحث فى قياس الإشعاعات وتحليل الضوء أو فى العناصر وامتزاجها وتحللها أو يبحث فى طبقات الأرض ، وإنما المراجع الصالحة لذلك كله هى مجموعة البحوث الإنسانية التى كان لها نتائجها والتى عن طريقها نهض الإنسان بأعباء الحياة ، فكان جديراً بالخلافة على هذه الأرض .

فإذا كان قد اشتمل على قدر من الحقائق التى شرحتها هذه العلوم فإننا نلحظ أنه قد اكتفى بالإشارة أو التلميح إلى هذه الحقائق فى الجملة بالقدر الذى يحتاج إليه صاحب الرسالة أو الداعى لعرضه فى مقام العظة والتذكر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الأرضى للحياة ، وأهم المدارس المتعددة لهذا الرأى تلك المدرسة التى تقول بظهور الحياة على الأرض ابتداء من مادتها عن طريق تدخل قوى غير عادية خارقة للطبيعة لا تخضع لسيطرة قوانين المادة ولا للصادفة . هذه القوى أرادت النشأة للحياة على هذه الأرض فهيئت السبيل إليها وجعلت الحياة تندفع فى هذا السبيل الذى سلكته من التطور حتى الآن . وأنه لولا تدخل هذه القوى لما نشأت الحياة على الأرض من تلقاء نفسها كما يزعم الماديون .

ولعل هذه النظرية لهذه المدرسة أقرب إلى الحقيقة التى يعتنقها أصحاب العقائد الدينية من أن الحياة على الأرض تكونت من عناصرها وأن سرها نفحة من الله البارئ جل وعلا ، وليس ذاتياً كما يزعم الماديون .

وبعد ما تقدم نعود إلى القول بأن الأبحاث الإنسانية فى أصل الكون ونشأته ، وأصل الحياة على الأرض لم تتخلص هذه الأبحاث فى مرحلة من مراحلها من أغلال الاحتمالات والفروض التى يضرب فى بيدائها خيال الباحث . وهذا ما يجعل نتائجها لا تقوى على الثبوت الجازم ، كما يجعلها دائما عرضة للنقض بأبحاث أخرى تكون أوفى وأشمل .

وإذاً فمن يدعى الوصول إلى الحقيقة فى هذا المضمار يكون ادعاؤه ضرباً من المبالغة الممقوتة التى لا يرضاها البحث العلمى الصحيح وصدق الله إذ يقول فى كتابه الكريم : « ما أشهدتهم خلق السموت والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا » . فسبحان من أعطى كل شىء خلقه ثم هدى .

سعد السيد عمر
عضو المكتب الفنى لمجمع البحوث الإسلامية

إخوان الصدق

قال الأحنف بن قيس :

خير الإخوان إن استغنيت عنه لم يزدك فى المودة ، وإن احتجت إليه لم ينقصك منها ، وإن كثرت عضدك ، وإن استرفدت رفدك وأنشد :

أخوك الذى إن تدعه لملة يجبك وإن تغضب إلى السيف يغضب

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مفهوم العدل فى الاسلام

للأستاذ عباس طـــه

إن الدراسات الدينية التى توالت فى العالم المتمدن كشفت عن أمور كثيرة جديرة بإنعام النظر ، أولها أن التدين صفة عامة لجميع بنى البشر حديثهم وقديمهم فلم يعثر على أمة لا دين لها ، ولا على قبيل من القبائل البائدة قبل أن يدون التاريخ إلا ولها آثار تدل على أنها كانت تدين لنحلة ، وأنها كانت تعرف أن وراء المحسوسات عالماً محجوباً عن الأنظار فيه كائنات ترجى معونتها ، وتستدر رحمتها . وقد استغلت العقائد الدينية فى أنظمة الحكم آماداً طويلة حتى قام الكتاب والفلاسفة بالدعوة إلى التخلص من حكم الملوك الذى كان يستند على العقيدة الدينية . وكانت النظريات التى تبرر السلطة للملوك تغفل ناحية العدل ، أما الإسلام فيعتبر بحق دين العدل .

العدل فى مفاهيمه الإسلامية :

مفهوم العدل التساوى بين الناس :

وهو ضد الجـــور والعنف والظلم غير أن علماء الأخلاق بحثوا فى معنى العدل بشتى مناحيه فقرروا : أنه صفة من الصفات النفس الخلقية الفاضلة التى يترتب عليها أداء الحقوق المشروعة لمستحقيها كاملة بحيث لا يظلم أحد فى شىء من الأشياء التى أقرها له الدين وجعلها مقصورة عليه .

وهذه الصفة الخلقية الفاضلة تظهر آثارها فى ثلاث قوى نفسية : وهى القوة الشهوية ، والقوة الغضبية ، والقوة العقلية ، ولهذا عرفوا العدل بأنه التوسط بين طرفى الإفراط والتفريط فى هذه القوى الثلاث ، فمتى اعتدلت هذه القوى كان صاحبها عادلا ، مثال التوسط فى الشهوات هو أن يقف معها عند الحد الذى أمره به الدين والعقل ، فلا تحمله شهوته على الاعتـــداء على أعراض الناس وأموالهم وأنفسهم ، ولا تذهب به إلى ما يضره فى خلقه أو دينه أو بدنه ، ولا تحمله على ما نهاه عنه الدين من حقد وحسد وغير ذلك . فمن توسط فى هذه الشهوة سواء كانت شهوة جاه أو مال أو منصب أو لذة من اللذات البدنية ، واقتصر على ما هو مشروع منها ، فقد ملك زمام العدل مع نفسه ومع الناس . أما إذا طغت عليه شهوته فحملته على

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الخروج عما أمره الله به ، وزينت له الاعتداء على الناس وأعراضهم وأموالهم وحقوقهم العامة والخاصة فقد باء بأقبح الآثام وكان من الظالمين الباغين الطاغين ، هذا هو نتيجة الإفراط فى الشهوات ويسمى عند علماء الأخلاق خلاعة أو مجوناً .

وأما الإفراط فى ترك الشهوات الطبيعية التى خلقها الله تعالى لمصالح وحكم ، كإهمال الجسم من الغذاء الحلال الضرورى والنظافة وغيرهما ، فإنه يترتب عليه السقم الذى يحول بين المرء وبين أداء وظيفته المطلوبة منه للمجتمع الإنسانى .

ومثال التوسط فى الغضب ، هو أن يضبط نفسه ولا يطيع غضبه فى الخروج عما يقتضيه العقل والدين ، فلا يغضب إلا إذا انتهكت الأعراض العامة أو الخاصة ، والتوسط فى الغضب يسمى شجاعة ، والشجاعة وسط بين الجبن والتهور ، ومن كان كذلك فإنه يملك نفسه ويصرفها عن إيذاء الناس وظلمهم ، والتعدى على أموالهم وأعراضهم وأنفسهم ويحمله على إعطاء كل ذى حق حقه ، ويدفع عن نفسه ودينه وعرضه عدوان الناس ، وبذلك ينجو من عار الجبن وعدم الغيرة على عرضه وماله ودينه .

ومثال التوسط فى القوة العقلية هو أن يقف الإنسان مع عقله وتفكيره موقف المتدبر للأمور على ما هى عليه ، المتأمل فى أسرار الكون ونظمه وما جاءت به الشرائع الإلهية من حكم واعتقاد ، فمن وقف مع عقله هذا الموقف كان وسطاً بين البلادة والغرور ويشتمل ذلك على أمور ثلاثة : حكمة الاعتقاد ، وحكمة العمل ، وحكمة الأخلاق .

فأما حكمة الاعتقاد : فأولها توحيد الله وتنزيهه عن كل ما لا يليق به . وهذا متوسط بين رذيلتين : الأولى نفى الألوهية رأساً ، أو اعتقاد الإلهين أو أكثر .

وأما حكمة العمل : فهى أداء الواجبات بلا إفراط أو تفريط ، وهذا متوسط بين ترك العمل رأساً والمبالغة فيه كما إذا ترك التمتع بما أباحه الله من حلال طيب .

وحث الدين الإسلامى رجاله على القيام بالعدل فى كل صغيرة وكبيرة ، فكان الرئيس منهم ينسى شخصه وولده وأعز شىء عليه فى سبيل إقامة العدل وإعطاء كل ذى حق حقه . ولو شئنا من ذلك أن نذكر أمثلة لذلك من عدل حكام المسلمين الأولين لطال بنا المقام

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

كثيراً . ولكن لا بأس من أن نورد شيئاً من ذلك عسى أن يكون فيه عظة وعبرة للمسلمين الذين ينالون حظاً من الرياسة .

فمن ذلك ما روى عن الحسن قال : جيء إلى عمر رضى الله عنه بمال فبلغ ذلك حفصة أم المؤمنين ، فجاءت ، فقالت : يا أمير المؤمنين أنشدك حق أقربائك من هـــذا المال ، وقد أوصى الله بالأقربين . فقال : يا بنية : حق أقربائى فى مالى ، وأما هذا فمال المسلمين ، غششت أباك ، ونصحت أقرباءك ، قومى ! فقامت والله تجر ذيلها .

ومن ذلك ما روى أنه رضى الله عنه جمع عماله ، وجمع رؤساء القبائل معهم ، ثم قال لهم : إنى والله ما أرسل عمالى إليكم ليضربوا وجوهكم ولا ليأخذوا أموالكم ، ولكن أرسلتهم إليكم ليعلموكم دينكم ، ويحفظوا دماءكم وأعراضكم ، ويقسموا بينكم فيئكم ، فمن فعل معه سوى ذلك فليرفعه إلى ، فوالذى نفس عمر بيده إذن لأقصنه منه ! فوثب عمرو بن العاص وقال : أفرأيت إن كان رجـــل من المسلمين على رعيته فأدب بعض رعيته إنك لمقصه منه ؟ قال : إى والذى نفس عمر بيده إذن لأقصنه منه ! وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه . ألا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم ، ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم ، ولا تنزلوهم الغياض فتضيعوهم (الغياض جمع غيضة ، والغيضة مكان يجتمع فيه الماء ثم يقل فينبت فيه الشجر) ، وكان رضى الله عنه يباشر أحوال رعيته بنفسه ليقيم بينهم العدل بقدر ما يستطيع ، وكان يؤثر رعيته على نفسه وولده عند نزول الشدائد والإحن .

وما نحن بقادرين على أن نذكر فى هذا المقام ما كان عليه عمر رضى الله عنه من عدل شامل لجميع أفراد الرعية .

ولكن من آثار هـــذا العدل أن قامت الدولة الإسلامية فى عهده على أثافث ثابت قد وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل ، فقوى الإسلام فى عهده وانهارت الدولتان اللتان كانتا تسودان العالم يومئذ ، وهما والفرس والرومان .

وبالجملة ، فالدين الإسلامى قد أمر المسلمين بإقامة العدل بينهم أمراً صريحاً ، وعدد الظالمين تهديداً شديداً ، ولعنهم لعناً كبيراً ، قال تعالى : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى » . والله يهدى المسلمين إلى سواء السبيل ؟

عباسى طه

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الكتب

الإمام الدهلوى
فى حجة الله البالغة

للأستاذ محمد عبد الله السمان

كان لقبه : « شاه ولى الله » أما اسمه فهو أحمد بن عبد الرحيم الفاروقى الدهلوى ، إنه أحد علماء الهند الأفذاذ ممن تعمقوا فى مفاهيم الفكر الإسلامى ، وأسهموا بأكبر قسط فى تمكين العقل من أن يؤدى دوره فى صياغة الشريعة الإسلامية داخل إطار من المنطق والحجة .

ولد وتوفى بدهلى ، وكان مولده عام ١١١٠ هـ ووفاته عام ١١٧٦ أو ١١٧٩ هـ ، ولم يغادر مسقط رأسه إلا حين رحل إلى الحجاز فى طلب العلم عام ١١٤٣ ، وظل هناك قرابة عامين يتلقى العلم ويتزود بالمعرفة من كبار علماء الحجاز .

له مؤلفات عديدة ترجمت إلى لغات كثيرة من البلاد الإسلامية منها : الفوز الكبير فى أصول التفسير ، وفتح الخبير مما لابد من حفظه فى علم التفسير ، وإزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء ، والانتباه فى سلاسل أولياء الله ، وإنسان العين فى مشايخ الحرمين ، والقول الجميل والدر الثمين فى مبشرات النبى الأمين ، وفيوض الحرمين وأنفاس العارفين والتفهيمات الإلهية ، والإنصاف فى أسباب الخلاف وعقد الجيد فى أحكام الاجتهاد والتقليد ، ثم هذا الكتاب النادر : حجة الله البالغة .

كان الدهلوى فقيها حنفى المذهب وكان محدثا بارعا ، له مؤلفات وأعمال فى الحديث النبوى له الإرشاد إلى مهنة الإسناد ، والنوادر من أحاديث سيد الأوائل والأواخر والمسوى فى فقه الحديث باللغة العربية رتب فيه أحاديث الموطأ ، والمصفى باللغة الفارسية شرح فيه الموطأ ، وله شرح تراجم أبواب صحيح البخارى ، وبالاضافة إلى عمله فى الحديث النبوى قام بترجمة القرآن الكريم إلى اللغة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الفارسية على شاكلة النظم العربي وسمى : فتح الرحمن فى ترجمة القرآن . كما نسج ابنه عبد القادر من بعده على منواله فقام بترجمة القرآن إلى اللغة الهندية .

الحق أن العلامة الدهلوى كان ذا باع واسع فى الحديث الشريف ، حتى عده صاحب اليانع الجنى رئيس المحدثين فى عصره ، وقال عنه الكتانى صاحب : فهرس الفهارس .

« أحيا الله به وبأولاده وأولاد بنته وتلاميذهم الحديث والسنة بالهند بعد موتهما وعلى كتبه وأسانيده المدار فى تلك الديار » .

واهتمام الإمام الدهلوى بالحديث النبوى كان دافعا أساسيا له إلى تأليف كتابه العظيم الذى بين أيدينا (حجة الله البالغة) حتى إنه يقول فى أول مقدمته :

« إن عمدة العلوم اليقينية ورأسها ، ومبنى الفنون الدينية وأساسها هو علم الحديث الذى يذكر فيه ما صدر من أفضل المرسلين من قول أو فعل أو تقرير » .

ولم يكن العالم الجليل مقلدا غيره ممن سبقه من علماء الحديث والمشتغلين به ، فتراه يرتب أعمالهم فيقول :

« وإن أقرب المشهور إلى الظاهر فن معرفة الأحاديث صحة وضعفا واستفاضة وغرابة وتصدى له جهابذة المحدثين والحفاظ من المتقدمين ... ثم يتلوه فن معانيه الشرعية واستنباط الأحكام الفرعية والقياس على الحكم المنصوص فى العبارة والاستدلال بالإيماء والإشارة ومعرفة المنسوخ والمحكم والموجوح والمبرم وهذا بمنزلة اللب والدر عند عامة العلماء ، وتصدى له المحققون من الفقهاء .

وإن أدق الفنون الحديثة بأسرها عندى وأعمقها عندى وأرفعها منارا ، وأولى العلوم الشرعية عن آخرها - فيما أرى - وأعلاها منزلة وأعظمها مقدارا ، هو علم أسرار الدين الباحث عن حكم الأحكام ولمياتها [1] . وأسرار خواص الأعمال ومكانها فهو والله أحق العلوم بأن يصرف فيه من أطاقه نفائس الأوقات » .

وكان أن سلك الإمام الدهلوى المرتبة الأخيرة ، وأفنى حياته فيها ، وما كتابه : (حجة الله البالغة) إلا دليلا وشاهدا .

إن العلامة الدهلوى يشير فى مدخله إلى الكتاب قضية وهو يقول : « قد يظن أن الأحكام الشرعية غير متضمنة لشىء من المصالح ، وأنه ليس بين الأعمال وبين ما جعل الله جزاء لها مناسبة ، وأن مثل التكليف بالشرائع كمثل سيد أراد أن يختبر طاعة عبده فأمره برفع حجر أو لمس شجرة مما لا فائدة فيه غير الاختبار ، فلما أطاع

(١) لمياتها : حقائقها ، مفردها : لمية .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أو عصى جوزى بعمله ، وهذا ظن فاسد تكذبه السنة وإجماع القرون المشهود لها بالخير ، ومن عجز أن يعرف أن الأعمال معتبرة بالنيات والهيئات النفسية التى صدرت منها ... فإنه لم يمسه من العلم إلا كما يمس الإبرة من الماء حين تغمس فى البحر وتخرج .

وإزاء هذه الشبهة التى دحضها الدهلوى بقوة منطقه ، نراه يجعل كتابه فى قسمين كبيرين اختص الأول منهما بالقواعد الكلية التى تنتظم بها المصالح المرعية فى الشرائع ، وأكثرها - كما يذكر - كانت مسلمة بين الملل الموجودة فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن فيها اختلاف بينهم وكان الحاضرون مستغنين عن سؤالها ، فنبه النبى عليها كما ينبه على الأصول المفروغ عنها عند إفادة الفروع فتمكن السامعون من إرجاع الفروع إليها لما ما رسوا من نظائرها فى العرب المنتسبين إلى الملة الإسماعيلية ، واليهود والنصارى والمجوس .

وفى هذا القسم ، يرى الدهلوى أن أسرار الشرائع ترجع إلى أصلين مبحث البر والإثم ومبحث السياسات الملية ، والبر والإثم لا تكتنه حقيقتهما إلا بعد أن يعرف قبلهما مباحث المجازاة وطرق الانتفاعات والسعادة النوعية .

أما القسم الآخر من الكتاب فقد اختص بشرح أسرار الأحاديث من أبواب الإيمان وأبواب العلم وأبواب العبادات ، وأبواب الإحسان ، وأبواب المعاملات ، وأبواب تدبير المنازل ، وأبواب سياسة المدن وأبواب آداب المعيشة وغير هذه من الأبواب

يبحث الإمام الدهلوى فى القسم الأول من الكتاب أسباب التكليف والمجازاة ، وكيفية المجازاة فى الحياة وبعد الممات ، وكيفية استنباط طرق الانتفاع ، ثم حقيقة السعادة ، والسياسات الملية ، واستنباط الشرائع من حديث النبى ، وبيان أسرار ما جاء عنه صلوات الله عليه تفصيلا .

أما القسم الثانى ، فيبحث فيه حكمة التشريع فى العبادات كلها ، والمقامات والأحوال جميعها وفقه المعاملات ، والخلافة والقضاء ، والجهاد والفتن وأشراط الساعة .

وفى شتى جولاته فى كتابه هذا ، يبدو فقيها متمكنا ، وفيلسوفا متأملا ، ومنطقيا متعمقا ، وصوفيا متنسكا ، وباحثا متدفقا .

إن الكثير من الفقهاء تركوا موضوعات فى الفقه ، ولكنهم قدموا الفقه جسدا لا روح فيه ، أما الإمام الدهلوى فقد امتاز عليهم بأن قدم فى كتابه روح الفقه ، وأبان عن أسراره وفلسفته ، وأزاح عنه كل جمود ألصق به . ورفع عن كاهله عبء الخلافات العديدة فى شكليات الفروع وتوافه الأمور .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وكون الإمام الدهلوى فقيها حنفى المذهب ليس معناه تجريده من الاجتهاد ، أو طبعه لطابع التقليد ، فهو يرى : أن البحث عن المسائل الاجتهادية أو تحقيق الأقرب منها للحق ليس بدعا من أهل العلم ، ولا طعنا فى أحد منهم ، كما يرى أن أولئك الباحثين بالتخريج والاستنباط من كلام الأوائل المنتحلين مذهب المناظرة والمجادلة ، لا يجب علينا أن نوافقهم فى كل ما يتفوهون به ، ونحن رجال وهم رجال ، والأمر بيننا وبينهم سجال .

وأسلوب الدهلوى الأدبى الرائع ، لا يجعلك تحس بشىء من الثقل حين تقرأ له ، ولا يجنح بك إلى الغموض فتنفر منه ، فهو يجمل ويفصل فى عبارات سهلة لا تكلف فى ألفاظها ، متلاحقة المعانى حتى لا يتداخل بعضها فى بعض فيشق عليك استيعابها .

إن الذى لا ريب فيه أن الإمام الدهلوى فى كتاب (حجة الله البالغة) متأثر بعض التأثر بمدرسة الإمام الغزالى فى روحانيته ومنطقه ، كما هو متأثر بعض التأثر أيضا بشيخ الإسلام ابن تيمية فى عقيدته وليس فى عنف أسلوبه وقسوة جدله ، وقد دافع عنه أيما دفاع فى كتابه (التفهيمات الإلهية) قائلا :

« فإنا قد تحققنا من حاله أنه عالم بكتاب الله ومعانيه اللغوية والشرعية ، أستاذ فى النحو واللغة ، محرر لمذهب الحنابلة فروعه وأصوله فائق فى الذكاء ، ذو لسان وبلاغة فى الذب عن عقيدة أهل السنة ، لم يؤثر عنه فسق ولا بدعة اللهم إلا فى هذه الأمور التى ضيق عليه لأجلها ، وليس شىء منها إلا ومعه دليله من الكتاب والسنة وآثار السلف ، فمثل هذا الشيخ عزيز الوجود فى العالم ، ومن يطيق أن يلحق شأوه فى تحريره وتقريره ، والذين ضيقوا عليه ما بلغوا معشار ما آتاه الله تعالى » .

إن اتجاه ولى الله الدهلوى إلى الدفاع عن فقهاء المسلمين الأمجاد فى غير تعصب لهم أو تجن على مخالفيهم ، يقدم لنا صورة مضيئة لفقيه مستنير واسع الأفق ، وإن كتابه حجة الله البالغة موسوعة فقهية ذات طابع خاص لم يسبق إليه ، فقد فلسف الفقه الإسلامى ، وبعث فيه الحركة والحياة ، وقدمه فى صورة أدبية رائعة امتزجت بالمنطق السليم والحجة القاطعة .

رحم الله الإمام الدهلوى لقد كان أبرز فقهاء القرن الثانى عشر ومحدثيهم وفلاسفتهم وإن آثاره التى تركها ولا سيما (حجة الله البالغة) لتحتل اليوم مكانا مرموقا فى المكتبة العربية والإسلامية ، فى شتى بقاع العروبة والإسلام ؟

محمد عبد الله السمان

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أنباء وآراء

تهنئة مشيخة الأزهر للمسلمين

بشهر رمضان المبارك :

أيها الإخوة المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها .

لقد شرف الله رمضان بنزول القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان وكرم عباده فكلفهم أن يصوموا نهاره ، ويقوموا ليله ، ليصحبوا زمان نزول الهدى بصفاء نفس وإشراق روح ، وبذلك يفهمون عن الله مراده ، ويعشقون تكاليفه ويقبلون على أوامره وبهم إقبال من يعلم الخير فيها لدنياه ويتيقن حسن الجزاء عليها فى أخراه .

وليس لله حاجة فى ان يدع عباده الطعام والشراب ، لكنه سبحانه راض عباده بهذا الشهر فى كل عام ليدربهم على جهاد نفوسهم جهاداً يقويها فلا تضعف أمام الشهوات ، ولا تنقاد للنزوات ، وحينئذ يتخلى المؤمن عن الرذائل التى نهى الله عنها ، ويتحلى بالفضائل التى أمر الله بها .

وإن مشيخة الأزهر ليسرها أن تهنئ المسلمين جميعاً به ، وتستزيدهم حسن استقبال له بالعمل الصالح وتأمل أن يجعلوا احتفاءهم به تهذيب نفس ، وتقوى قلب ، وورع سلوك وطموح آمال

وإن بشائر الخير كانت على ميعاد مع هذا الشهر المبارك ، فجمع الله حكام العرب على قلب رجل واحـــد ليسدوا على الأعداء ثغرات التفرقة ويسودوا بأمة العرب لتصبح كما أراد الله خير أمة أخرجت للناس تحمل الدنيا كلها على فضائل دينها القويم وصراط الله المستقيم .

(دكتور محمد عبد الله ماضى)
وكيل الأزهر

الإسلام فى القرن العشرين

من صدى قاعة الشيخ محمد عبده

لقد كان العنوان المذكور أعلاه محاضرة الدكتور عبد الحليم محمود . تحدث فيها عن واقع المسلمين اليوم وما هم عليه من بعد عن روح الإسلام ، وحدد أسباب هذا البعد وأرجعها إلى حقيقة واحدة وقال إن التخلى عنها كان مصدر العلل التى لحقت بالأمة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الإسلامية ، ألا وهي العبودية الخالصة لله ، ومن هذه العبودية تتحدد مكانة الإنسان في هذا الوجود - بأنه عابد ، وتتجلى عظمة الرب - بأنه معبود وهذا هو الوضع اللائق بالإنسان بوصفه أفضل مخلوقات الله « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » آية كريمة ترى فيها صدق العقيدة الإسلامية ، والمعين الذي انبثقت منه عالميتها منذ فجر الإسلام فرأيناها ، توحيداً في الإلهيات ورحمة في الأخلاق وعدالة في الحكم وبهذه المبادىء جاء الإسلام وعليها لايزال في القرن العشرين لا تغيير فيه ولا تبديل ، شهد بذلك أعداء الإسلام أنفسهم حين قرروا « أن القرآن الموجود الآن بين المسلمين هو نفسه القرآن الذي نزل على « محمد » في مهد الدعوة » هذه هي شهادة المستشرقين ، وذلك هو التصور الحقيقي الذي تقوم بمثله عالمية الإسلام .

فما موقف المسلمين من هذه الحقيقة التي شهد بها الأعداء ، وما مكانتهم على ضوء ذلك التصور والجواب على ذلك يؤخذ من واقع المسلمين أنفسهم وفي هذا القرن بالذات . حقيقة إنهم لازالوا يعتقدون أن قرآنهم هو نفس القرآن الذي تلاه نبيهم وصحابته وذلك حق ، أما وإن الشك قد أخذ يساور نفوسهم في صحة أحاديث الرسول عليه السلام فذلك باطل يجب أن يقفوا به عند حد على أن يحكموا بصحة الحديث أولا وبعد النظر فيه إن تبين ضعفه - لسبب من الأسباب المعروفة في مكانها لمن أراد ذلك ضعفوه - لا أن يحكم على الحديث بالضعف سلفاً ثم يلتمس له أسباب الصحة . وهنا أشاد المحاضر بالجهد الذي كان يبذله المحدثون في جمع الأحاديث ومعرفتها كما كشف عن نوايا المتحاملين على الأحاديث وهي المصدر الثاني بعد القرآن ، هذا من ناحية ومن أخرى فإن ما عليه المسلمون اليوم من تدهور في السلوك والأخلاق يحدد موقفهم تجاه العبودية الخالصة لله فلو كانوا على صلة تامة بالله لما ساورهم الشك الدائم في مصادر دينهم ولما لحق بهم الضعف والوهن . وهذا البعد هو الذي حداهم إلى أن يستجيبوا لمبادىء الثورة الفرنسية والتي لا تزال رواسبها راسخة في عقلية القرن العشرين .

والمبادىء التي قامت عليها الثورة هي: الحرية المساواة : وهنا كان المستمعون يتوقعون من المحاضر أن يقول إن الإسلام قد جاء منذ أربعة عشر قرنا ومن مبادئه الحرية والمساواة ولذلك فالثورة الفرنسية لم تأت بجديد « هذه بضاعتنا ردت إلينا » وهنا يصفق الجميع ولكن المحاضر فاجأ المستمعين

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وأتى بالغريب على أسماعهم عندما قال « إن الحرية والمساواة كلاهما مبدأ فاسد لأنه قام على أساس فاسد » فليس الإنسان حراً ما دامت هناك عوامل تخضعه لها حينا فيهبط إلى مستوى الحيوانية ويتمرد عليها حيناً فينتصر ويرتفع إلى الملائكية . وليست هناك مساواة ما دامت فى الطبيعة البشرية جملة فروق تلتقى فى أفراد لتفترق عند آخرين وحتى الذين تلتقى فيهم إذا أمعنا النظر وجدناها عادت كما كانت افتراقا لا التقاء واختلافا لا مساواة ومثال ذلك الذكاء الذى نجده مختلفاً بين شخصين مرت بهما نفس الظروف وقطعا مراحل تعليمية واحدة .

وكصورة مادية لفساد مبدأ الحرية والمساواة استشهد المحاضر بالوجودية فى مقابل الحرية وقال عنها إنها فلسفة اللامبالاة والهروب من المسئولية ولذلك فهى مذهب فاسد لا قاعدة له واستشهد بالشيوعية فى مقابل المساواة وقال « إنها فلسفة القطيع والرعاة » فهى أعجز من أن تحقق أبسط صور المساواة لأنها قامت على الإلحاد . ورغم هذه الصورة والدلائل المادية تبدو آراء المحاضر عن الحرية والمساواة غير مقبولة ولكننا أخيراً نراها على حق عندما نسمع المحاضر يقرر وفى صوفية بدت لنا متزنة نستشف منها طريقته فى عرض أفكاره حين يقول « إن وظيفة الإنسان فى هذه الحياة عبودية خالصة لله تنتهى به إلى التوحيد بالحق المطلق ومن هنا تبدأ الحرية الحقيقية من كل شىء سوى التزامات العبودية لله وحده » ومن هنا أيضا تنبعث الرحمة من كل قلب أسلم وجهه لله ، وبذلك يتحقق التكافل بين الناس وتبطل المساواة ويبقى العدل » .

ما تقدم كان هو التصور السليم لمكانة الإنسان ولعالمية الإسلام ولتصحيح مفهوم الحرية والمساواة ، ولذلك أدى بعد المسلمين عن هذا الفهم إلى تدهورهم نظرياً وعملياً .

ومن ذلك أنهم جاروا الحركات العلمية التى تبحث عن أى شىء وتريد أن تخضعه للعقل سواء كان فيما وراء الطبيعة أو فى الأخلاق ولهذه النزعة رأينا « علم الكلام » قام ليبحث عن التوحيد فاختلف المسلمون فى هذا العلم وكان الأجدر بهم أن يقفوا بالعقل أمام النص القرآنى موقف المتفهم أولا والمؤيد له ثانياً والمدافع عنه أخيراً ، وكالمجاراة التى دفعت المسلمين على كتابة تاريخ للإسلام وللعقيدة نفسها وهنا يجب أن يقال إن الإسلام كعقيدة وكدعوة لا يؤرخ له من البشر لأنه قد أرخ لنفسه بمجرد ظهوره أما الإسلام كواقع يعيشه المسلمون يترجم لنا بطولاتهم فى الحق ، فهذا ما لا ينقضه أحد من المسلمين ؟

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فتاوى مختارة ..

باب يقدمه:

ابراهيم محمد الأصيل

فرضية الصيام :

السؤال :

يشكك بعض المضللين فى هذه البلاد فى فرضية الصيام على المسلمين فالمرجو الكتابة عن هذا بما يرد كيدهم .

عبد الله سيانج - كولومبو

الجواب :

قال الله تعالى : يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . أياما معدودات فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيراً فهو خير له ، وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون . شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه . الخ الآية الكريمة .

ليس فى بلاد الإسلام من يجهل معنى الصوم الذى طلبه الله من المسلمين فى هذا الشهر وليس فيها من يجهل أن صومه ركن من أركان الإسلام ، وفريضة من فرائضه الأولى التى بنى عليها . وقد عبر القرآن عن فرضيته « بمادة » لا تحتمل غير الإثبات والإيجاب والتحتيم ، بمادة لم تعرف لغير الصوم من أركان الإسلام . بمادة كان أكثر ما ورد التعبير بها فى الدلالة على التحتم والثبوت لمقتضيات الذات الإلهية ، أو لمقتضيات النظام الكونى الذى قدره الله فى سابق علمه للكائنات . ولا يعتريه فى سننه تغيير ولا تبديل . وإنك إذا قرأت فى الدلالة على تحتم تلك المقتضيات قوله تعالى : « كتب ربكم على نفسه الرحمة » وقوله : « كتب الله لأغلبن أنا ورسلى » . وقوله : قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا » . وقوله : « أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه » فإنك ترى القرآن لم يقف فى شرح الصوم وطلبه من المؤمنين عند « المادة » المألوفة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى طلب الشيء ، أو الأمر به نحو « فليصمه » أو نحو « أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » أو نحو « ولله على الناس حج البيت » . بل سما به إلى مادة « الكتب والكتابة » التى عرفت عنه فى مقام التعبير عن مقتضى الألوهية ، أو مقتضى التقدير الإلهى فى النظام الكونى ، الثابت المتقرر ، ترى القرآن سما بالصوم إلى هذه المادة . ممهدا له بالنداء الموقظ للشعور ، وبوصف الإيمان الباعث على الامتثال ، ومشيراً فى الأسلوب نفسه إلى أن الصوم تكليف الله العام لهؤلاء ولمن مضى من عباده السابقين « يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم » ثم حدد وقته وفصل أعذاره على نحو لم يوجد فى غيره من الفرائض والأركان .

ومن هنا أجمع المسلمون من عهد التشريع على أن من أنكر فرضية الصوم أو أول طلبه ، أو حرف وضعه ، أورده إلى مجرد الشوق إليه والرغبة فيه خارجا عن ربقة الإسلام ، لا تجرى عليه أحكامه ولا يعد من أهله . وهذا هو حكم الله فى الصوم وفى سائر ما ثبت فرضيته أو حرمته بمصدر تشريعى قطعى فى ثبوته عن الله ، ودلالته على معناه . وتناقل جميع المؤمنين العلم به هكذا ، جيلا عن جيل ، وطبقة عن طبقة ، ولقد استقر فى ضمير المؤمنين أن ما ثبتت فرضيته أو حرمته على هذا النحو ليس محلا للرأى ، ولا مجال للاجتهاد الذى أباحه الله للعباد ؛ واستقر كذلك فى ضميرهم أن من يعبث بشيء من تلك الأحكام القطعية ، ويتخذ ذلك العبث باسم « حرية الرأى » أو بتوجيه خارجى مدبر ـ سبيلا إلى فتنة الناس فى دينهم أو زعزعة إيمانهم للحصول على شهرة زائفة مفتعلة ، أو للتمهيد بالقضاء على أركان الإسلام لصرف المؤمنين به عن الاعتقاد فيه كل من يريد ذلك جدير بالمؤمنين الصادقين أن يتصدوا له بالحجة أولا لكشف تزييفه ثم محاربته بعد ذلك بالطرق الممكنة والمشروعة ، فهم حينئذ فى موقف دفاع عن عقيدتهم التى من أجلها بذل المؤمنون السابقون الأرواح رخيصة حفظا لها فوصلت إلينا سليمة كما شرعها الله .

* * *

السؤال :

تعجيل الفطر وتأخير السحور :

أرجو بيان مدى صحة الأحاديث الدالة على تعجيل الفطار وتأخير السحور .

محمد الشيبانى ـ العامرية

الجواب :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يزال

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الناس بخير ما عجلوا الفطر : متفق عليه من حديث سهل بن سعد .

وروى أحمد من حديث أبي ذر أنه صلى الله عليه وسلم قال : ما تزال أمتي بخير ما أخروا السحور وعجلوا الفطر ، ولكن في إسناده سليمان بن أبي عثمان قال أبو حاتم مجهول . وقال صلى الله عليه وسلم : « يقول الله تعالى : إن أحب عبادي إلى أعجلهم فطرا » رواه أحمد والترمذي ، وقال حسن غريب .

وعن أبي هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا يزال الدين ظاهراً ما عجل الناس الفطر لأن اليهود والنصارى يؤخرون » . رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه .

وروى عبد الرزاق عن عمرو بن ميمون الأودي قال : كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أسرع الناس إفطاراً وأبطأهم سحوراً قال الحافظ ابن حجر إسناده صحيح .

ولقد حسم الحافظ ابن عبد البر التردد في هذا الباب حين قال : أحاديث تعجيل الإفطار وتأخير السحور صحاح والعمل بها متواتر .

* * *

السؤال :

حكم الصيام في البلاد الذي يطول النهار فيها طولا غير عادي .

هل يصام رمضان حيث النهار ستة أشهر وكيف يصام ؟ .

أحد زوار المجلة

الجواب :

الصوم فرض على جميع المؤمنين دون فرق بين قطر وقطر وعلى أهل البلاد المشار إليهم في السؤال أن يقدروا أيامهم ولياليهم وأشهرهم بحساب أوقات أقرب البلاد المعتدلة إليهم ، أي بحساب البلاد القريبة منهم التي تتميز فيها الأوقات ويتسع كل من ليلها ونهارها لما فرض من صوم وصلاة على الوجه الذي يحقق حكمة التكليف دون مشقة أو إرهاق . ولا ريب أن أهل هذه الجهات لا بد أن يكونوا قد اتخذوا طريقا لتقدير الأيام والأشهر فيما يختص بحياتهم العامة من أعمال وعقود .

وإذن فمن السهل أن يتخذوا في تحديد أوقات عبادتهم ما عرف في أقرب البلاد المعتدلة إليهم ؛ وبهذا يستطيعون أداء فروضهم الدينية من صلاة وصوم على وجه محدد كامل لا عسر فيه ولا إرهاق : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » .

* * *

السؤال :

صدقة الفطر :

أرجو بيان الأحكام المتعلقة بصدقة الفطر .

عبد المعطي سالم - طنطا

الجواب :

كلمة صدقة اسم لما يخرجه المسلم من ماله

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

سدا لحاجة أخيه الفقير بقصد التقرب إلى الله وكلمة فطر يقصد بها الإفطار من صوم رمضان . وهو إنما يكون بغروب شمس يومه الأخير ومن هنا كان الانتهاء من صوم رمضان ، هو السبب الظاهر لوجوب تلك الصدقة .

والحكمة التي قصدت من تشريعها تبين من قول ابن عباس رضي الله تعالى عنه : « فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين » .

وتجب على الصائم عن نفسه وعمن تلزمه نفقته ، فتجب عن زوجته وأبنائه وخدمه الذين يلي أمرهم وينفق عليهم ولا يتوقف وجوبها على أن يكون الصائم مالكا لنصاب الزكاة المفروضة ، بل يكفي أن يكون عنده ما يفضل عن قوت يوم وليلة لنفسه وأهله ، ومن المأثور في ذلك : « أما غنيكم فيزكيه الله وأما فقيركم فيرد الله عليه أكثر مما أعطى » .

وفي هـــذا التشريع إشعار بوجوب عموم التضامن وأنه كما يطلب أن يكون بين الغني والفقير ، يطلب أن يكون أيضاً بين الفقير والفقير ، وفيه أيضاً إشعار الفقير بمعنى العزة حين يعطى ، ويد يده عالية بالعطاء ، فيدفعه ذلك إلى العمل على التخلص من ظاهرة الفقر التي يمد بها يده متواضعة للأخذ ، واليد العليا خير من السفلى » .

ويندب إخراجها بعد فجر يوم العيد وقبل الذهاب لصلاة العيد ويجوز إخراجها قبل يوم العيد بيوم أو يومين ليتمكن الفقير من الانتفاع بها في يوم العيد والمقصود تحقيق قوله صلى الله عليه وسلم : « اغنوهم في هذا اليوم عن السؤال » .

والقدر الذي يخرج على مذهب الإمام الشافعي صاع (قدحان بالكيل المصري) . أي تجزئ الكيلة عن أربعة أشخاص ولا تجزئ القيمة عنده .

ومذهب الإمام مالك يؤول الصاع (بقدح وثلث بالكيل المصري) فتجزئ الكيلة عنده عن ستة أشخاص .

ومذهب الإمام أبي حنيفة المقدار الواجب إخراجه قدح وسدس عن كل فرد فتجزئ الكيلة عنده عن سبعة أفراد إذا زيد عليها سدس قدح .

ويجوز على مذهبه أن يخرج المزكي قيمة الزكاة الواجبة نقوداً وهذا أفضل ولا بأس بتقليد غير الحنفي للحنفي فيه إذ أنه أكثر نفعا للفقراء وأكثر تمشيا مع حاجة الزمن .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بين الصحف والكتب

اختيار وتعليق : عبد الرحيم فودة

علوم القرآن :

... ويمكن أن نجتزئ الكلام . ونلتزم حدود ما وقف عنده أسلافنا فنقول : إن علوم القرآن هي كل علم يخدمه أو يعتمد عليه ، وبذلك يشمل علم التفسير وعلم القراءات وعلم الرسم العثماني ، وعلم أسباب النزول . وعلم الناسخ والمنسوخ وعلم إعراب القرآن . وعلم غريب القرآن . وعلوم الدين واللغة على كثرتها كما ذكر الشيخ الزرقاني ، وقد نقل عن السيوطي أنه توسع فيها حتى اعتبر منها علوم الهيئة والهندسة والطب ونحوها .

وهكذا لا نكاد نجد ضابطا يمكن أن نحصر به العلوم التي تدخل في مفهوم علوم القرآن ، وقد كان من الخير ألا يكلف الباحثون أنفسهم عناء التحديد ، فالقرآن كتاب الله وقد جعله الله كتاب الكون والحياة ، وها نحن أولاء نجده يشغل اهتمام العلماء الطبيعيين ، ونجد سيلا دافقا من الكتب العلمية التجريبية الكونية تكشف عن جوانب فيه لم تكن معلومة . وتفسر حقائق فيه لم تكن مفهومة .

فإذا حدثك إنسان بأنه رأى شجرة تحمل من الثمر الشهي والزهر الندي ما يوجد في كل أنواع الشجر من ثمر حلو الطعم طيب المذاق فتذكر القرآن . وتذكر أن السورة منه سميت سورة لأنها تضم ألوانا من الفنون والعلوم كما يضم السور مدينة سعيدة يجد أهلها فيها كل ما يشبع حاجاتهم ويمتع حياتهم . أو كما يضم السور بستانا ناضر الزهر . ناضج الثمر . موشى بمختلف روائع الألوان . فإذا نظرت إلى سورة منفردة ومجتمعة فاذكر قوله تعالى : « ما فرطنا في الكتاب من شيء » ، وقوله : « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد » ، وقوله تعالى : « ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله » .

ع . ف

عن دائرة معارف الشعب

تشويه الثقافة العربية الإسلامية :

رأى المبشرون والمستعمرون عظمة الثقافة العربية الإسلامية . وأنها مصدر عزة الشرق والعرب والمسلمين ، ثم إنهم أيقنوا أن أمة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لها هذه الثقافة لا يمكن أن تخنع أو تذل أو تبيد ، فعمدوا إلى تشويه وجه هذه الثقافة وإلى الحط من شأنها فى نفوس أصحابها ، وكان العمل عليهم سهلا . أو هكذا ظنوه . فقسموا العمل قسمين : قسما يتناول حقيقة الرسالة التى أديناها نحن الشرقيين العرب والمسلمين . وما فيها من أوجه العظمة والحقائق التى كانت أساس الرقى الإنسانى . أو ما فيها من الآراء الصحيحة الخالدة على الدهر . ثم قسما من الحقائق التى لم تعرف قبل العصر الحاضر .

أما القسم الأول فساروا فيه ينحلون حقائقه الصحيحة وآراءه الصائبة لغير العرب ولغير المسلمين ، يجمع هذا كله قول أرنست رينان الفرنسى : « الفلسفة العربية هى الفلسفة اليونانية مكتوبة بأحرف عربية » فكل مظهر عزيز فى الفلسفة الإسلامية عند رينان وأتباع رينان إنما هو للفرس أو لليونان أو للنساطرة ولليعاقبة ، أو أنه مشكوك فيه ، وكتب المبشرين والمستعمرين مملوءة بمثل هذا الإنكار على العبقرية العربية ...

ونحن لا ننكر أن يكون العرب - فى الفلسفة - قد بنوا فلسفتهم على أساس ما قدمه اليونان للعالم ، ولكن من غير الإنصاف أن نقول إن العرب لم يكونوا سوى نقلة . سوى حمالين حملوا الفلسفة كما هى من اليونان إلى العالم . إن العرب قد زادوا فى الفلسفة وناقشوا ونقحوا وصححوا وشرحوا وأدوا رسالة قل أن أدت مثلها أمة فى التاريخ ، وأى قول أوضح وأصوب فى العلم من قول الدكتور جورج سارطون أحد ثقات « تاريخ العلم فى العالم » حينما قال فى هذا الشأن نفسه :

« غير أن أولئك الذين ينكرون محاسن العرب ويبخسونها قيمتها ليحتجون مرة ثانية بقولهم : إن الأخذ من مصادر متعددة ليس - على كل حال - خيراً من الأخذ من مصدر واحد . تلك طريقة فى المجادلة مضللة . وخصوصاً إذا كان الكلام يتناول الرياضيات ، ثم إن الرياضيين العرب فى تينك الحالتين المذكورتين آنفا - لم ينسخوا من المصادر اليونانية والسنسكريتية نسخا ، ولو أنهم فعلوا ذلك لما جاءوا بفائدة ، ولكنهم جمعوا بين المصدرين . ثم لقحوا الآراء اليونانية بالآراء الهندية . وإذا لم يكن هذا الذى فعله العرب ابتكاراً فليس فى العلم إذن ابتكار على الإطلاق ، فالابتكار العلمى فى الحقيقة إنما هو حياكة الخيوط المتفرقة فى نسيج واحد ، وليس ثمت ابتكارات مخلوقة من العدم » .

الدكتور مصطفى خالد
والدكتور عمر فروخ
من كتاب التبشير والاستعمار
فى البلاد العربية

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فهـرس

صفحة

٧٦٩ مدى التجديد للقبول فى الأدب
للأستاذ أحمد حسن الزيات

٧٧٣ الشيوعية عند قدماء اليهود
للاستاذ الدكتور على عبد الواحد وافى

٧٧٦ من ذكريات النصر فى تاريخ الإسلام
للأستاذ محمد محمد المدنى

٧٨٠ تأليف القلوب وتوحيد الصفوف مقصد من مقاصد الزكاة
للأستاذ عبد اللطيف السبكى

٧٨٥ من أبجاد العلماء : قضاة للذاهب يجبهون الطغاة للأستاذ محمد رجب البيومى

٧٩١ تداخل المذاهب الفقهية
الدكتور علاء الدين شلبى

٧٩٥ الملاحم والمطولات الإسلامية فى الشعر العربى ـ ٤ ـ
للدكتور سعد الدين الجيزاوى

٧٩٩ بحث فى علم الجلس
للأستاذ ع . الله كامل

٨٠٥ عباد الرحمن للأستاذ محمود الشرقاوى

٨١٠ تطور التصوف
للأستاذ محمد إبراهيم الجيوشى

٨١٣ رأى فى بعض القواعد النحوية : مفاعل ومفاعيل للأستاذ أحمد مختار عمر

٨١٨ عبد القاهر الجرجانى وآراؤه فى الشعر والشعراء ـ ٣ ـ
للأستاذ الدكتور أحمد أحمد بدوى

٨٢٣ الدعوة الزاحفة للأستاذ محمد محمد خليفة

٨٢٨ حياة سلمان الفارسى وإسلامه ـ ٢ ـ
للأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

٨٣٣ وقفة مع رمضان للأستاذ عبد الرحيم فودة

٨٣٦ من دروس الصوم : صوم اللسان
للأستاذ على الهادى

صفحة

٨٤٠ أبو جعفر الطبرى شيخ المفسرين وإمام المؤرخين للأستاذ الحسينى عبد المجيد هاشم

٨٤٤ شرب الخمر وحده فى التشريع الإسلامى
للأستاذ محمد عطية راغب

٨٤٩ من معانى القرآن للأستاذ عبد الرحيم فودة

٨٥٠ الموروثات والأدب عند إليوت ـ ٢ ـ
للأستاذ رشاد محمد خليل

٨٥٥ من شخصيات بجر الإسلام : ابن أبى
للأستاذ محمد فاوى مصر

٨٥٩ على الحدود . . . بين دولتين وحضارتين
للأستاذ فتحى عثمان

٨٦٣ أبغض الحلال إلى الله
للاستاذ أحمد على منصور

٨٦٦ رسالة للمسجد فى نشر الثقافة والحضارة ـ ٢ ـ
للأستاذ أحمد الشرباصى

٨٧٠ الثورة الثقافية فى الإسلام ـ ٢ ـ
للأستاذ حسن فتح الباب

٨٧٦ موقف الإسلام من النظريات الإنسانية
للأستاذ صمد السيد عمر

٨٨١ مفهوم العدل فى الإسلام
للاستاذ عباس طه

٨٨٤ المكتب : للأستاذ محمد عبد الله السمان
الإمام الدهلوى فى حجة الله البالغة

٨٨٨ أنباء وآراء : تهنئة مشيخة الأزهر للمسلمين بشهر رمضان ـ الإسلام فى القرن العشرين

٨٩١ الفتاوى : للأستاذ إبراهيم محمد الأصيل
فرضية الصيام ـ تعجيل الفطر وتأخير السحور ـ حكم الصيام فى البلاد التى يطول النهار فيها طولا غير عادى ـ صدقة الفطر

٨٩٥ بين الصحف والكتب : علوم القرآن ـ تشويه الثقافة العربية الإسلامية

مطبعة الأزهر

الثمن أربعون مليما